

# الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير: طه حسين

## فهرس

١٨٩	بين العدل والحرية .....	طه حسين .....
٢٠٥	مشاكل البلقان .....	محمد رفعت .....
٢١٣	القضية المصرية وهيئة الأمم المتحدة ...	محمود عزمى .....
٢٢٣	سوانح الغروب - على النيل ( قصيدة )	عبد الرحمن صدق .....
٢٢٤	دوافع الحرب وأهدافها في أوروبا ...	سليمان حزين .....
٢٣٨	التقدم والفن .....	سيد قطب .....
٢٤٧	جيمس جويس .....	لويس عوض .....
٢٦٥	كتاب القيمة .....	طه الحاجري .....
٢٧٤	المابد المثالي - الفجر ( قصيدة )	إبراهيم محمد نجما .....
٢٧٧	جان بول سارتر ومواقفه .....	نجيب بلدى .....
٢٨٤	مأساة بنى سراج .....	محمد عبدالله عنان .....
٢٩٢	القاهرة فيما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٧ ...	سلامة موسى .....
٣٠١	آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية	محرم كمال .....
٣١٣	الطفول الماشقان .....	علي الجندي .....
٣١٥	عدنى بن زيد .....	يحيى الخشاب .....

من هنا وهناك ( توفيق رضا ، حبيب الزحلاوى )

شهرية العلم - شهرية السياسة الدولية - شهرية الفن - شهرية السينما  
من كتب الشرق والغرب - من وراء البحار - ظهر حديثاً  
في مجلات الشرق



تصدرها دار الكاتب المصري  
شركة ساهمة مسندة  
القاهرة

من ظهور باكورة انتاج دار الكاتب المصري  
بعد أربعة أشهر



**بذت** جهود دار الكاتب المصري  
في مختلف نواحي الثقافة  
والادب من قصص مؤلفة وكتب مترجمة  
لمؤلفين فرنسيين وانجليز وروسين فضلاً  
عن نقل كتاب مشهور للمستشرق العظيم  
جولدسبر إلى اللغة العربية .

وستسير الدارق إنتاجها على نهج وضمه  
عميد الادب العربي الدكتور طه حسين بك  
فتقدم كتباً أخرى قيمة في طبقات أئمة  
تخطو خطوات واسعة في إخراج الكتاب  
العربي إخراجاً فنياً رائعاً .

احرصوا على اقتناء كتب دار الكاتب المصري  
فتزيد مكتبكم قيمة ورونقاً

تباع كتب دار الكاتب المصري  
في المكتبات الشهيرة



# نابليون

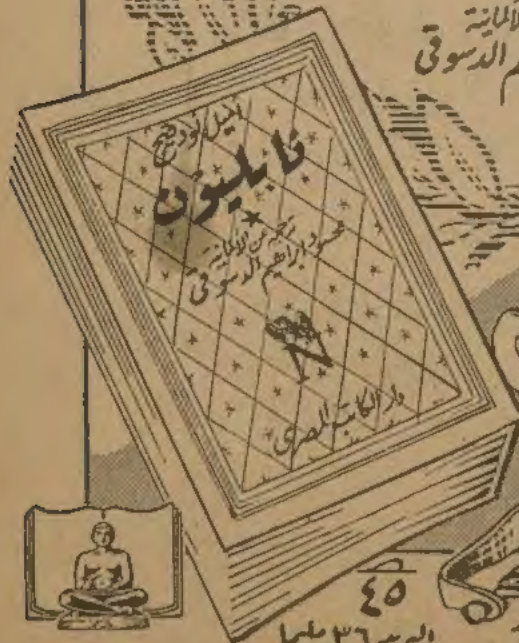
لاميل لودفيج



الشخصية التي استوحى الإسكندر  
وقيصر وشارلمان ، واوحت بماخو ومخلد  
إلى آخر الزمان .

البطل الذي اكتشف لودفيج وراء قناع  
بطولته مجا الانسان ، فتجلت بطولته  
في انسانيته ، وفاقته كل  
ما عرف إلى الآن .

ترجمه عن الألمانية  
محمود ابراهيم الدسوقي



٤٥  
البريد ٣٦ مليا

ظهر الجزء الأول  
طبعة فاضرة مزينة بالصو

# العقيدة والتشريع

## في الإسلام

تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية

للمستشرق العظيم إجناس جولدتسيهر

تقبله إلى اللغة العربية  
وعلق عليه

محمد يوسف موسى	عبد العزيز عبد الحق	علي حسن عبد القادر
المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر	المدرس بكلية الشريعة بجامعة الأزهر	دكتور في العلوم الإسلامية مدير المركز الثقافي الإسلامي بلندن

أبواب الكتاب :

محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام — تطور الفقه  
نمو العقيدة وتطورها — الزهد والتصوف  
الفرق — الحركات الدينية الأخيرة  
ولكل باب حواش من المؤلف وتعليقات من المعربين

كتاب ضخيم يقع في ٤٠٠ صفحة

التمن ٨٥ قرشا (البريد ٤٠ مليما)





مَدُونِيَّةُ جُوسْتِنْيَانِ

فِي الْفِقْهِ الرَّومَانِيِّ

INSTITUTES DE JUSTINIEN

يَتِمُّهَا

نِظَامُ الْمَوَارِيثِ وَضَعَهُ جُوسْتِنْيَانُ

وَبَلَّغَهَا

بَعْضُ قَوَاعِدِ وَتَقْرِيرَاتِ فِقْهِةِ رُومَانِيَّةٍ

وَبَعْضُ تَقْدِيرَاتِ اخْلَاقِيَّةٍ

تَفْرِيحُ

عَبْدُ الْعَزِيزِ فَهْمِي

رَئِيسُ مَحْكَمَةِ التَّقْضِ وَالْاِبْرَامِ سَابِقًا

تَحْتَ الطَّبْعِ



# آية فنية خالدة للكاتب الشهير أوسكار وايلد



دورجان هيراي

أوسكار وايلد  
صورة  
دورجان هيراي  
تقريب لويس عوض

صداع بين الأتم والضمير  
صورة نهرهم بينما صاحبها  
محتفظ بشبابه  
نقد للحياة الاجتماعية الإنجليزية  
في مزاج من الزك والجد



والبريد ٢٠٠٠



أوسكار وايلد  
شيخ كاتزفيل  
تقريب لويس عوض



شيخ كاتزفيل

مظهر آخر لفت أوسكار وايلد

مقارنة شيخ ببول في ابحار قصصه  
موازنة بين العقل الإنجليزي  
الحافظ والعقل الأمريكي المجدد  
قصة فلكسية مرمزة



كتابان مترجمان  
بصورة مقبلة  
نصف اقلد  
م. ج. م.





ليون دوديه

# كايخو وحياته العاصفة

تقريب حسن محمود

طبعة فريضة بالصورة

وصفة ملونة تبين كيف كان هذا الزعيم بعد فطبه

٣٥  
والبريد ٢٤



انقلبت الطائرة في جبال لا  
أحدًا في الشتاء... هل  
شجاع يكافح الموت باسم  
من خليفة، مخرج من  
الليثوس؟



كتاب يعد قنصا جديدا في الأدب

# أرض البشر

للكاتب الطيار انطوان دي سانت اكسيري

أرض البشر تلك الهبادة من الرمي النائم  
بين الأضراس أسافير، تلك الأرض الميتة  
بأعجابنا فلنراها دهرها تكونت الرمال

يقول بارك، وقد أخذته نشوة الم  
«لست بارك، أنا محمد بن الحسين»  
وأخذ يقلد الرجل الحر كما يقلد  
أحد المستكشفين.



كيف تكون ظلمة عند على أبواب الحياة؟





هنا ؟ لقد هم لي ذات يوم أن  
في صبيها . كنت أظن في  
مصر على تخوم ليبيا ووقفت في  
كأني في المرة في شرك . وظننت  
نات . وهناك القصة ...

رائد من الرعيل الأول  
الطيارين ينظر إلى الكون خلال  
تجربته نظرة الشاعر الفيلسوف ،  
يصلنا بالآفاق الشاسعة  
ويضعنا في صميم الخطر  
وفي صميم العمق



تأليف مصطفى كامل فوده  
سبعة مزيّنة بالصورة



والبريد  
٢٥  
٢٠ مليوناً

هل توجد الروح؟  
وكم تزف؟  
هل يمكن الاحتفاظ بها؟  
وهل يمكنك أن تتخرج  
بعد الموت روحاً كأننا  
مؤلفين أثناء الحياة؟



اندريه موروا  
عضو الجمع الاثني الفري

وازن الارواح

تقريب عبد الحليم مشور



موريس يارس  
عضو الجمع الاثني الفري

جنة على نهر القاصي

تقريب  
محمد خير فخر وعبد الحليم مشور





# حكايات فارسية

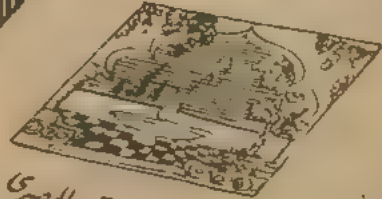
كتاب يحمل الى قراء العبرية  
عبيرا رقيقا حسن الموقع في  
النفس من هذه الحياة الفارسية  
المتازة بما فيها من رقة  
وفطنة وفكاهة



## من هولنا

يهيل منه الناس في أفراسه والآسر ،  
يرى على قارئ في مرآة صورة منه نفسه ،  
أو صورة منه هولنا ، في إطار قصص  
رائع في بيانه وفي قناته

## حكايات فارسية



دار الكاتب المصري

٢٠

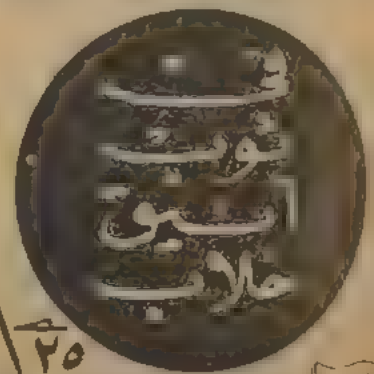
البريد ١٦ ميلينا

## من هولنا

قصص مصرية

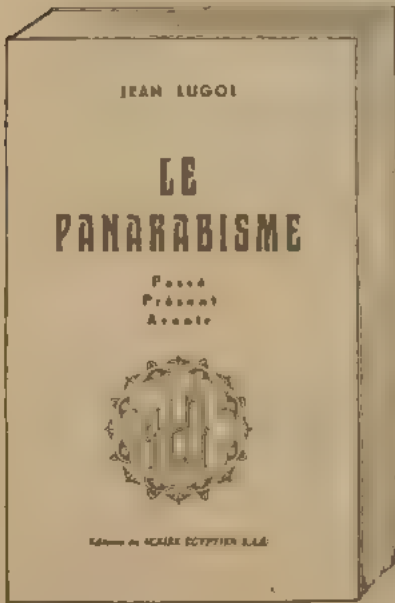


دار الكاتب المصري



٢٥  
البريد ٢٠ ميلينا

الى قراء اللغة الفرنسية



إن هبة العالم العربي التي تعد من أهم حوادث الحرب العالمية الثانية تمتد إلى ألف سنة من تاريخ الشرق . فهي تهيء سماء سياسي جديد للمستقبل . ولا يستطيع أحد أن يتجاهل هذه المشكلة التي تعد في وقت واحد — مشكلة دينية وأخلاقية وسياسية واجتماعية واقتصادية والتي ما فتئت — منذ أحد الأرمال حتى أيام هذه — تشغل أذهان الناس .

ومسيو جان ليغول — الموظف في عصبة الأمم سابقاً والصحفي الذي استوطن مصر منذ زمن بعيد ، مؤلف عدة كتب عن مذهب التوحيد والحضارة وعن مصر والحرب العالمية الثانية الخ — قد رسم صورة عظيمة للحضارة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

وإنه لمن الضروري لكل شخص أن يقرأ هذا الكتاب الذي يقوم على وثائق صحيحة والذي كتب في روح سمحة .

كتاب ضخم يقع في ٣٠٠ صفحة

القرش ٨٠ قرشاً

البريد ٣٦ ملياً



طبعة مزينة بعدة صور

وخرائط





# قصّان من الأدب الروسي الرفيع



قصّة ساذجة  
تصور قلب شاب تاشي  
يتدفق إلى الحب في غير انتظار  
ولا تحفظ وما يصيبه منه بأس  
حينما يعلم أن كان يجب عنقه أبية

المتن ١٥  
البربر ١٤ ملنا

قصّة شاب ممتهن  
يبدأ القراء لقى من هذا  
الرد في حياته شرا عظيما  
وهي قصّة عنيفة تنسأ  
بحاجة القارئ إلى الاستدوع

المتن ١٨  
البربر ١٦ ملنا

Une traduction de mes  
livres en votre langue...  
à quels lecteurs pourra-t-  
elle s'adresser ?

André Siegf

ترجمة كتبي الى لغتكم ؟ .. الى اي قارئ  
يمكنه ان تراه ؟ واي القراء يمكنه ان يلقى ؟  
ذلك ان واحدة من الصعوبات الجوهرية في العالم  
المسلم نفاذها الى الله وهو الاضافي الروح يحمل  
من الاقضية اكثر مما يشير من منطلة . اخطئ انا ؟

اندرية حميد

اندرية حميد  
الباب  
الفضيق  
تقديم  
نزيه الحكيم

مقدم لاندرية حميد وطم حسين



١٨ قرشا والبريد ١٢ ملينا

اجهدوا للدخول  
التياب النسي  
(الجميل : بوقاه)

لم تحطى انت - راي  
دفعته الى الخط . لقد  
كثيرا الله المسلمين وكلا  
الاسلام ... ملو قد نفع  
الدين تعمقا وقيما لا تترك  
على ما يشير القرآن منه في  
يعرض لها الله جديا .

طاح





## بين العدل والحريّة

مسألة واحدة تنقش في كل مكان متحضر وفي كل بيئة مثقفة، يلقيها بعض الناس على بعض، ويلقيها الأفراد على أنفسهم عن إرادة وتعمد واختيار حيناً، وعلى غير إرادة ولا شعور ولا اختيار حيناً آخر.

يلقيها بعض الناس على بعض ويلقيها الأفراد على أنفسهم، عامدين إلى الدرس والتجديد، محاولين أن يجدوا لها جواباً، شاعرين بذلك مريدين له؛ ويلقيها الحياة العاملة على الأفراد والجماعات في كل لحظة وعند كل فرصة، ويعجز الناس في كثير من الأحيان عن أن يجدوا لها حلاً حاسماً حازماً، أو حوالياً قاطعاً ساطعاً. وهم من أجل ذلك يضطربون في حيرة متصلة، تظهر آثارها واضحة في قواضيم حين يتحدثون، وفي أعمالهم حين يعملون.

أينضي العالم إلى تحقيق العدل أم إلى تحقيق الحرية؟ هذه هي المسألة، وقل هي المشكلة التي ألفاها القرن لتسع عشر على بعض العقول في أوروبا، والتي جعت تتسلط على هذه العقول قليلاً قليلاً حتى شغلتها واستثمرت فيها، ثم تجاوزتها إلى عقول أخرى، ثم جعلت تنزل شيئاً فشيئاً من الطبقات المفكرة الممتازة إلى الطبقات الوسطى ثم إلى الطبقات الدنيا، ثم استأثرت بالفكر السياسي كله في أواخر القرن الماضي حتى انقسمت لها أوروبا شعباً وأحراراً. ثم عنتهم استئثارها بالحياة الأوروبية في أوائل هذا القرن، ولاسيما في أعقاب الحرب العالمية الأولى، حتى اضطرت لها أوروبا، اضطراراً شديداً، واضطرت

لها العالم خارج أوروبا اضطراباً شديداً أيضاً كان من آثاره أن ثارت الحرب العالمية الثانية ، وصبت على العالم ما صَبَّتْ من الشر والهول .

وقد انتهت الحرب العالمية الثانية كما انتهت الحرب العالمية الأولى دون أن نجد أحدهما جواباً لهذه المسألة أو حلاً لهذه المشكلة ، وإنما كانت نتيجة الحربين أن المسألة ظلت قائمة ولكنها ازدادت شدة وإلحاحاً ، وأن المشكلة ظلت قائمة ولكنها ازدادت صعوبة وتعقيداً . والله وحده يعلم أحتاج العالم إلى حرب ثالثة لتجيب على هذه المسألة وتحل هذه المشكلة ، أم يستطيع السلام المنظم أو غير المنظم أن يخرج الإنسانية من حيرتها ويسلك بها إحدى الطريقتين طريق الحرية أو طريق العدل .

ومن الخطأ أن نظن أن هذه المسألة حديثة لم يعرفها الإنسان إلا حين ألقاها القرن التاسع عشر ، وإنما هي مسألة قديمة عرفها الإنسان منذ عصور بعيدة جداً . وقد يستطيع الفلاسفة الذين يدرسون التاريخ ويحللونه أن يستقصوا أصل هذه المسألة ، وأن يتتبعوا تطورها منذ فرضها العقل على الإنسان المتحضر فيما يسمونه فجر التاريخ . وليس من شك في أن الفلاسفة قد فعلوا فدرسوا الحصار منذ نشأتها ، واستقصوا أمر الصراع بين الحرية والعدل في أوارارقي الإنسان على اختلافها ، ثم انتهوا إلى ما انتهى إليه العالم الآن من هذه الحرية المتصلة والاختلاط الشديد : فمنهم من آثر الحرية ؛ لأنها تحقق كرامة الإنسان وتتيح له أن يكمل نفسه ويقرر بشخصيته موفورة تامة ، وفريق منهم آثر العدل لأنه يرضى حاجة الإنسان إلى المساواة ، ويتيح له حظاً من الإنصاف يعصمه من استعلاء القوى على الضعيف ، وتحكم الغنى في الفقير ، وتفوق القادر على العاجز . وفريق آخر حاول أن يلائم بين العدل والحرية ، فلم يبلغ من هذه المحاولة شيئاً ذا خطر ؛ لأن العدل المطلق والحرية المطلقة لا يستطيعان أن يلتقيا إلا إذا قيدت الحرية وقيد العدل ، وانتقص كلاهما من أطرافه فشوة خائفته تشويهاً ما . هنالك يستطيعان أن يلتقيا لقاء لا يخلو من تشويه تتأثر به الحياة الإنسانية نفسها ، فتدفعها الحرية إلى العمل والنشاط ، ويدفعها حب العدل إلى الاختلاف والاختصام ، وتنتهي إلى هذا التطور الذي نشهده الآن كما نشهده في العصور المختلفة ، والذي يبت فيها العداوة والبغضاء ويعلوها شراً ومكرراً وكيداً ، ثم يدفعها حيناً بعد حين إلى حرب من هذه



الحروب التي لا تنقضي ولا تندر ، والتي تزداد على مر الأيام بشاعة ونسكراً . ومن الخطأ كذلك أن نظن أن هذا الصراع بين الحرية والعدل مقصور على بيئة إنسانية دون بيئة ، أو على مكان من العالم المتحضر دون مكان ، وإلما الواقع الذي نستطيع أن نلاحظه في كل وقت هو أن هذا الصراع قائم في البيئات الإنسانية المثقفة كلها ، وفي أجزاء العالم المتحضر كلها أيضاً ، يقوى ويعنف حيث ترقى الحضارة وتتفوق ، ويضعف ويخف وطأته حيث تركد الحضارة وتميل إلى الجمود ، ولكنه موجود دائماً ومتصل على كل حال . ويكفي أن سلر إلى العالم المتحضر الذي نعيش فيه اليوم لتبين أن الصراع بين الحرية والعدل عنيف إلى أقصى غايات العنف في أوروبا وأمريكا ، وأن عنفه في هاتين القارتين أشد منه في القارات الأخرى ، وإن كان يختلف قوة وضعفاً باختلاف الأمم والشعوب . وليس المهم أن ندرس هذا الصراع بين العدل والحرية درساً مفصلاً مستقصى ، فذلك شيء لا سبيل إليه بل لا حاجة إليه الآن ، وإنما المهم أن نلاحظ مظاهر هذا الصراع في أوروبا وأمريكا وفي بلاد الشرق الأدنى خاصة ، لتبين إلى أي طريق نحن مسوقون ، وإلى أي غاية نحن مدفوعون . وليس من شك في أن إلغاء المسافات في الزمان والمكان قد جعل شرقنا الأدنى متصلاً بأوروبا وأمريكا اتصالاً يومياً دقيقاً ، بحيث لا نستطيع أن نقلت مهما نحاول ذلك ، من التأثير بما يحدث في هاتين القارتين من الأحداث والخطوب ، وما يثر فيهما من المصاعب والمشكلات . ومن المحقق أن الشرق الأدنى لو استؤمر حين أثرت الحرب العالمية الأولى لآثر العافية ، ولتنتهى أن يلتزم هذه الحيدة التي تحمسه أخطار الحرب وأهوالها . ولكنه لم يستأمر ولم يكن من الممكن أن يستأمر ؛ لأنه كان ميداناً من ميادين الحرب وغرضاً من أغراضها . وهو كذلك لم يستأمر حين أثرت الحرب العالمية الثانية ولم يكن من الممكن أن يستأمر ؛ لأنه كان ميداناً من ميادين الحرب وهدفاً من أهدافها . وأكبر الظن أنه لن يستأمر إذا أثرت حرب عالمية ثالثة ؛ لأنه سيكون من أهم ميادين الحرب ومن أعظم أغراضها خطراً .

فينبغي للشرق الأدنى إذن أن يوطن نفسه على أنه جزء من هذا العالم المتحضر الحديث الذي يصطرب أشد الاضطراب بهذا الصراع العنيف المتصل بين الحرية والعدل ، متأثر سواء أراد أو لم يرد بهذا الصراع وبما يكون له من

أثر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، و نظير أن يوطن نفسه على ذلك وأن يعد له عدته ، وأن يقبل عليه مريداً لهذا الإقبال لا مكرهاً عليه . كراهاً . ولم يخطئ الشاعر حين قال :

إذا لم يكن إلا الأسنّة مركبٌ فلا رنى للمضطر إلا ركوبها

وليس للشرق الأدنى بد من أن يركب هذه الأسنّة ، فإذا أراد أن ينجدها أو أن يتجنب ركوبها ، فلن يجد إلى ذلك سبيلاً . وحسبُه أن يعلم أن هذا ليس مقصوداً عليه ، وإنما هو المصير المحتوم لكل جزء من أجزاء العالم بعد أن ألغيت مسافات الزمان والمكان . والناس يقولون في كثير من الصواب إن العالم الآن موضوع لنزاع بين قوتين عظيمتين تريد كل منهما أن تسيطر عليه وتشر به سلفطانها ، وتخضعه لما يقتضيه ذلك من مداخلها في السياسة ونظمها الاجتماعية المختلفة . وهاتان القوتان قد تعاونتا أثناء الحرب العالمية الثانية ، فانفتحت ، ظلت الحرب قائمة حتى كسبنا النصر ، ثم لم نستطيع أن نتمضيا في الاتفاق فمجزتا عن تنظيم السلم . وقد انتهت الحرب في أوروبا منذ عام وبعض نام وما زال المنتصرون عاجزين عن أن يقرروا السلم ويظموه ؛ لأنهم عاجزون عن أن يتفقوا فيما بينهم . وليس الخلاف بينهم مقصوراً على تقسيم الغنائم وتوزيع الأسلاب ، ولكنه بعد من ذلك مدى واشد من ذلك عنفاً ؛ لأنه يتجاوز الدول المنتصرة نفسها لما تملك من حول وطول ومن قوة وأيد ، إلى الشعوب التي تشبه هذه الدول . فالشعوب نفسها مختلفة فيما بينها أشد الاختلاف ، يريد بعضها يسلك طريق الحرية على أن يكون العدل ناعاً للحرية لا متبوعاً . ويريد بعضها الآخر أن يسلك طريق العدل على أن تكون الحرية نافلة تتحقق إن سمح العدل بتحقيقها ، ويضحي بها إذا لم يكن بد من التمسح بها في سبيل العدل الشامل والمساواة الكاملة بين الناس .

ثم تختلف الشعوب في حياتها الداخلية نفس هذا الاختلاف بين الدول ، فتكون فيها الأحزاب المتباينة التي يذهب بعضها مذهب الحرية الكاملة ، ولا يتردد في التضحية بالعدل إذا اقتضت الحرية هذه التضحية . ويذهب بعضها مذهب العدل الشامل ، ولا يتردد في إهدار الحرية إذا اقتضى تحقيق العدل إهدارها .

وكذلك يشهد العالم هذا المنظر الرائع الغريب . دول تختلف فيما بينها تحتصم حول الحرية والعدل ، وأحزاب تختلف فيما بينها تصطرع حول الحرية والعدل ، وفرد يختلفون فيما بينهم يتارون في الحرية والعدل . والحياة تمشي متمثرة في صراع لا تسكاد تحضو خطوات إلى أمام حتى تضطر إلى أن تنحرف إلى يمين أو إلى شمال ، وقد تضطر أحيانا إلى أن ترجع القهقري ، وتعيد للناس نظر كانوا يظنون أنها قد ذهبت إلى غير رجعة ومضت إلى غير مآب . وقد يبلغ من اضطراب الشخص الواحد أن يذهب إلى مذهب الحرية إذا أصبح ، فلا يكاد يمسى حتى يذهب مذهب العدل . وقد يبلغ من اضطراب الشعب الواحد أن ينحرف اليوم إلى يمين ليؤيد الحرية ، فإذا كان الغد انحرف إلى شمال يؤيد العدل ، وهو بهذا التذبذب بين اليمين والشمال لا يحقق حرية ولا عدلا ، وإنما يمشي في الاضطراب ويفرق في الارتباك إلى أذنيه ، وقد يُغترق معه نهما وشعونا أخرى ، لأنها خاضعة له أو متحركة به قليلا أو كثيرا .

هذه كلها حقائق يسيرة قريبة يلاحظها الإنسان حين يقرأ صحف الصباح وحين يقرأ صحف المساء ، وكل مافى الأمر أنه يظن إليها نظرة سريعة غير متعمقة ولا مستنية ، ينظر إليها كما ينظر إلى أحداث الحياة اليومية التي يغيرها مر الغداة وكر العشي . فالشعب الإنجليزى مثلا حين تخلص من سلطان المحافظين في العام الماضي ولقى بمقاليد الأمر إلى العمال ، لم يزد على أن انحرف من طريق الحرية المحفوظة إلى الشمال حيث العدل ، أو قل - إن شئت - حيث الطموح إلى العدل ، وحيث التضحية ، أو قل - إن شئت - حيث الاستعداد للتضحية بكثير من حرية الفرد وجماعة في سبيل تحقيق هذا العدل . ولكن الشعب الإنجليزى نفسه حين يضطر حكومة العمال إلى أن تلتزم سياسة محافظة خارج بريطانيا العظمى ، فلا تفرط في شيء من مستعمراتها ، ولا تتخلى عن قليل من مصالحها في البلاد التي تخضع لنوذها قليلا أو كثيرا ، وإنما تستمسك بالإمبراطورية كما تلتقتها من حكومة المحافظين ، وتحافظ على مصالحها في أقطار العالم كله على نفس النحو الذي كان يصطنعه المحافظون - أقول إن الشعب البريطانى حين يضطر حكومة العمال إلى أن تسلك هذه الطريقة لا يزيد على أن ترجع فينحرف من شمال إلى يمين ، ويضحى بشيء من العدل ليستبقى حريته تلك الحى اتاحت له أن يستدل ويستغل جزءا عظيما من لأرض . والشعب البريطانى



حين يتخلص من سلطان المحافظين ويجعل أمره إلى العمال ، ويتيح لرئيس وزرائه ووزير خارجيته أن يتحدثا عن حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وعن حق العالم في أن يخلص من الاستعباد والاستبداد ، يخطو خطوة إلى الشمال في سبيل العدل الدولي ، ولكنه لا يلبث أن يعود أدراجه ويخطو خطوة إلى يمين في سبيل الاحتفاظ بحريته القديمة التي كانت تتيح له أن يتحكم في مصير الشعوب ، وإذا هو بذهب في سياسته مع اليونان ويوجوسلافيا نفس المذهب الذي كان يذهبه المحافظون . وهذا الشعب البريطاني نفسه يخطو خطوة إلى شمال حين يعلن رئيس وزرائه ووزير خارجيته أنه يريد الجلاء عن مصر بلا قيد ولا شرط ، ثم لا يلبث أن يعود أدراجه بتأثير المحافظين ، وإذا هو يشترط للجلاء شروطا تلغيه ، ويقيده بقيود تمنعه من الحركة والنشاط ، لأنه يضحي بالعدل الدولي في سبيل حريته التي تتيح له أن يتحكم في مصير مصر ، فلا يجلو عنها إلا حين يريد وبالشروط والقيود التي يريد أن يعرضها . وهذا الشعب البريطاني نفسه يخطو خطوات إلى الشمال حين « يؤتم » طائفة من المرافق البريطانية ، ثم يتردد ويتراجع حين يعرض لتأميم طائفة أخرى من المرافق . يلغى حرية الأفراد والجماعات في سبيل العدل ، ولكنه يلغى بمقدار أنه لم يؤمن بالعدل إيمانا كافيا ، ويحتفظ بهذه الحرية للأفراد والجماعات بالقياس إلى بعض المرافق الأخرى ، لأنه لم يؤمن بالعدل إيمانا كافيا أيضا . فهو مذنب بين الطموح إلى العدل والاحتفاظ بالحرية ، وكل المصاعب التي يلتقاها وكل المشكلات التي تأتلف منها حياته إنما تأتيه من هذا التذبذب بين العدل الذي يقتضيه التضحية بحرية التسلط على الأمم والشعوب والتحكم في مصير الدول والأقطار ، وبين الحرية التي تحتفظ له بالمقدرة على أن يتحكم في مصير هذه الأمم والشعوب .

والشعب الفرنسي يذهب هذا المذهب نفسه ، فهو يتذبذب بين الحرية والعدل ، يقبل على انتخابه العامة في أكتوبر الماضي فيندفع ادفاعا قويا إلى شمال ، ويؤلف الكثرة في جماعته التأسيسية من الشيوعيين والاشتراكيين ، وإذا هو يؤتم طائفة من مرافقه ، ثم لا يلبث أن يأخذ الخوف ويمسكه الذعر ، وإذا هو يرفض الدستور الذي وضعته له هذه الجماعة التأسيسية الشمالية ، فإذا طالب إليه أن ينتخب جماعة تأسيسية أخرى انحرف إلى يمين فآلف كثرتها من المعتدلين

وجعل اليساريين لهم نفعاً أو شيئاً يشبه النفع ، ودل بذلك على أنه يريد العدل ولكن بمقدار ، ويحرص على الحرية أكثر مما يحرص على أي شيء آخر . وقد أنسى أشياء كثيرة قبل أن أنسى حديثين دار أحدهما بيني وبين رجل من عامة الشعب في مارسيليا قبل رفض الدستور بيوم واحد . فقد قال لي هذا الرجل به سيفرض الدستور إذا كان الغد لأنه لا يريد دستورا يسارياً ، ولكنه سيصوت لليساريين بعد ذلك ؛ لأنه يريد الإصلاح الاجتماعي ، ولا يريد برلماناً رجعياً أو حكومة مسرفة في الاعتدال . ودار الآخر بيني وبين أستاذ من أستاذة السوربون في باريس بعد أن رفض الدستور بيومين . وهذا الأستاذ يساري الميل متطرف في حبه لليسار ، ولكنه رفض الدستور مع أصحاب اليمين . وما كلمته في ذلك قال : نعم رفضت الدستور لأنني لا أريد أن أخضع للرقابة فيما نشر من الكتب وما أذيع من الفصول وما ألقى من الدروس والمحاضرات . وهو إذن يريد العدل ولكن بشرط ألا يقيد هذا العدل حريته حين يكتب أو يقول . وصاحب الصناعة يستطيع أن يقول كما قل هذا الأستاذ ذاته ، رفض الدستور اليساري لأنه لا يريد أن يخضع للرقابة فيما تنتج مصانعه وفيما تغل عليه من ربح . وكذلك يتردد الفرنسيون كما يتردد جيرانهم البريطانيون بين العدل والحرية : يطمحون إلى العدل ولكنهم يخافون منه إذا كمل وشمل كل شيء ، ويحرصون على الحرية ولكنهم لا يكرهون تقييدها حين تضطرهم الظروف إلى ذلك . وقل إن شئت إنهم يؤثرون الحرية على كل شيء ، ولا يضحون بقليل منها إلا ليحفظوا بما يستطيعون أن يحتفظوا به . فهم يتحدثون عن العدل كما كان مستر تشرشل يتحدث عن استقلال الشعوب أثناء الحرب . يتحدثون عن العدل على أنه من هذه المشكل العليا التي يتوق الإنسان إليها ويجتهد في تحقيقها ، ولكنه لا يبلغها لأنها من الظرف واللفظ والأنفة بحيث نحسن الدلال وتمتنع على الطامعين إليها والطامعين فيها ، تغريهم بنفسها وتدعوهم إلى محاسنها ، ولكنها تذهي عنهم كلما دنوا منها ، وتركهم يتمثلون قول جميل لبثينة :

وَمَنْ يَتَّبِعْنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْنِي  
بِقَوْلِ رُحِيلَ الْمُعْتَصِمِ سَهْلَ الْأَطْحَرِ  
تَاءَبْتُ عَنِّْي حِينَ لَا إِلَيَّ حَبْلَةٌ  
وَعَادَرْتُ مَا غَادَرْتُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

## بين العدل والحرية

وهم يحمون من المثل العليا هذا التمثل والامتثال، وهم يستمتعون بلذة هذه النار التي تصطرم بين جوانحهم وتحرق قلوبهم شوقاً إلى العدل، وهم يكرهون أن تخمد هذه النار وأن تبرد جوانحهم، وأن يبلغوا العدل فيطمئنوا إلى أنهم بلغوه. وهم يحبون الحرية على نحو آخر، يحبون أن يأخذوها بين أيديهم ويضموها إلى صدورهم ويستمتعوا منها بأعظم حظ ممكن، لا ينالون منها حظاً إلا طمعوا في حظ أعظم منه، ولا يفقدون منها شيئاً إلا تقطعت قلوبهم عليه حشرات. ذلك لأن هناك فرقاً خطيراً جداً بين الاستمتاع بالحرية والاستمتاع بالعدل. فالاستمتاع بالحرية يثير هذه اللذة المتعبة؛ لأنه يدفع إلى العمل والنشاط، ويفرغ بالسكدة والجدة، ويمنع الإنسان من أن يريح ويستريح. أما الاستمتاع بالعدل فريح حقاً؛ لأنه يقتل الطمع ويفرغ بالرضا ويزين القناعة في القلوب، أو قل يفرض القناعة على القلوب فرضاً. فأي غربة في أن يكون الإنسان شديداً إشاراً للحرية التي تملؤه قوة ونشاطاً وتدفعه إلى الأمل والعمل وتمسكه في هذا القلق الحلو المنصل الذي لا يعرف الرضا ولا يجب الاطمئنان، منه للعدل الذي لا يثير قوة ولا نشاطاً، ولا يدفع إلى مزيد من أمل أو عمل، والذي يملأ القلوب أمناً ورضاً ويعصمها من القلق والخوف.

### والخوف

ولأمر في سائر أوروبا الغربية كالأمر في فرنسا وبريطانيا العظمى: حب مؤكد للحرية، وحرص مصمم عليها، وطموح إلى العدل كما يطمح العشاق العذريون إلى من يعشقون.

وحسبك أن تنظر إلى بلجيكا وهولندا، فهما كبريطانيا العظمى وفرنسا متحدان العدل وتغنيان بمحاسنه، ولا تكرهان أن تحققا منه شيئاً في الأرض البلجيكية والهولندية مختارتين أو مضطرتين، ولكنهما في الوقت نفسه تؤثران الحرية أشد الإيثار: تؤثرانها في السياسة الخارجية؛ فالعدل لم يُخلق لاندونيسيا مثلاً ولا لكونجو البلجيكية، كما أنه لم يخلق للمستعمرات البريطانية والفرنسية وللشعوب الضعيفة بوجه عام. وهو إن كان قد خُلق لأوروبا، فأما خالق لها لتصيب منه بمقدار كالمالح لذي يصلح قليله الطعام، فإذا كثر فسدله الطعام فساداً شديداً. ولذلك تحتفظ بلجيكا وهولندا، كما تحتفظ فرنسا وبريطانيا العظمى، بحرية واسعة شديدة السعة للأفراد والجماعات، وتحاولان



## بين العدل والحرية

نحقق شيئاً من العدل ؛ لتسكتنا هؤلاء الطامعين فيه المظالمين به الذين لا يشكون  
 به روع طلب العدل الاجتماعي حين يمسون وحين يصبحون .  
 وليس من اليسير أن تبين ميول ألمانيا المنهزمة ؛ فهي لم تقف بعد بهذا  
 تسير اليسير من الحرية لتعرب عما تريد في مستقبلها القريب ، ولكنها على كل  
 حال قد قسمت بين المنتصرين يحتل كل منهم جزءاً من أرضها . وهؤلاء  
 المنتصرون يهيئون الشعب الألماني أو يحاولون تهيبته لما يحبون ويكرهون  
 من مذهب في السياسة والاجتماع . فأوروبا الغربية وأمريكا تهيبان جزءاً من  
 الشعب الألماني أو تحاولان تهيبته لهذه الديمقراطية المقيدة التي تؤثر الحرية  
 على العدل ، وتتخذ لإصلاح الاجتماع وسيلة إلى إرضاء الطبقات البائسة من  
 جهة ، وإلى الدفاع عن نفسها والاحتفاظ بما في لها من الساطن والقوة من جهة  
 أخرى . ولكن روسيا السوفياتية تحتل جزءاً عظيماً من ألمانيا ، وهي تهيبه  
 أو تحاول تهيبته لمذهبها في السياسة والاجتماع . ومذهبها واضح معروف ؛ فهي  
 تؤثر لعدل والمساواة وإلغاء السافس والتزحم والتفوق والامتياز على الحرية وما  
 تستتبع من اضطراع بين الأفراد واجتماعات واستباق ، إلى تحقيق المنافع واستئثار  
 بهذه المنافع إذا تم تحقيقها .

وهذا الخلاف العنيف القائم بين هاتين القوتين : قوة الحرية في أمريكا وغرب  
 أوروبا ، وقوة العدل في روسيا ، هو الذي جعل حياة المنتصرين عسيرة منذ  
 وقعت الحرب وأزارها في الشرق والغرب ، وهو الذي حال بينهم وبين الاتفاق  
 حين اجتمعوا في أكتوبر الماضي ، وحين اجتمعوا في أبريل ومايو ، ويوشاك  
 أن يحول بينهم وبين الاتفاق حين يجتمعون بعد أيام قليلة في باريس .

وليس الستار الحديدي الذي يقال إن روسيا قد ألغته من دون جزء عظيم  
 من أوروبا الشرقية والجنوبية إلا سوراً منيعاً يحول بين الحرية والعدل ، وبين أن  
 يسندوا وجهها لوجه ويصطدما في ميدان واحد . فأوروبا الغربية خاضعة للحرية  
 وما تستتبع من تنافس وخضام ، وأوروبا الشرقية خاضعة للعدل وما يستتبع من  
 تسلط وفهر وكبح لجأح المسقع والأطماع . وإذا أجرت الأمة اليونانية انتخاباتها  
 دغين الإنجليز والفرنسيين والأمريكيين وكانت نتيجة هذه الانتخابات ميامنة  
 لا مباسرة ، قال الروسيون : إن هذه الانتخابات لم تحر حرية ولم تكن بمأمن  
 من تدخل الديمقراطية الغربية ، وما يسندها من رأس المال . فاذا دبرت بلغاريا

ورومانيا والمجر ويوجسلافيا وتشكوسلوفاكيا شؤونها بالانتخابات أو بإقامة الحكومات المؤقتة ، وكانت نتيجة هذا كله انحراف هذه الأمم إلى اليسار . قال الإنجليز والأمريكيون والفرنسيون معهم : إن هذه الأمم ليست حرة في تقرير مصيرها ، وإنما هي متأثرة بالسلطان الروسي العنيف في كل ما تعمل وفي كل ما تقول . وليس لهذا كله معنى إلا أن الشعوب الصغيرة في أوروبا قد اضطرت هي أيضاً إلى التذبذب بين مذاهب الأقوياء من أنصار الحرية والعدل ، فهي في غرب أوروبا منحازة إلى الحرية ، لأن الأقوياء من المنتصرين هناك ينحازون إليها ، وهي في شرق أوروبا وجنوبها منحازة إلى العدل ؛ لأن الأقوياء هناك ينحازون إليه . ولواقع أن إرادة هذه الشعوب لم يتح لها ما ينبغي أن يتح لها من الفرص لتظهر جلية لا يشوبها لبس ولا غموض . وقد يكون الموقف الأسباني من أوضح الأشياء دلالة على هذه الخصومة بين العدل والحرية . ويجب أن نلاحظ أن التسلط والقهر هما الأدانان اللتان يصطنعهما العدل كما تصطنعهما الحرية ، يدافع بهما كل منهما عن نفسه ، ويثبت بهما كل منهما سطوته . فالجيش البريطاني هو الذي أيد الحرية في اليونان على حساب العدل ، والجيش الروسي هو الذي أيد العدل في شرق أوروبا على حساب الحرية . وليس لأحد من المنتصرين جيش في أسبانيا الفاشية ، ولو قد وجد هذا الجيش لانحازت أسبانيا الفاشية إلى مذهب الحرية إن كان الجيش بريطانياً أو أمريكياً ، وإلى مذهب العدل إن كان الجيش روسيا . ولكن أسبانيا ليست محتلة ؛ ولذلك كان موقفها دليلاً واضحاً على اشتداد الخصومة بين هذين لمذهبين . فأما أنصار العدل وهم الروسيون والفرنسيون حين كان الأمر في فرنسا إلى اليسار ، فيريدون إلغاء النظام الفاشي في أسبانيا وإن أدى ذلك إلى التدخل العسكري في الشؤون الأسبانية . وأيسر ما يطلبونه أن تقطع العلاقات السياسية بين جميع الدول المنتصرة على اختلاف مذاهبها وبين أسبانيا الفاشية ، وأن تعترف الدول المنتصرة بالحكومة الأسبانية المنفية التي أقامت في أمريكا اللاتينية حيناً وتريد أن تنتقل إلى فرنسا في هذه الأيام . وهم يعتمدون فيما يطلبون على أن الديمقراطية المنتصرة لا ينبغي أن تسمح للفاشية بالبقاء ، وعلى أن نظام الأمم المتحدة وميثاق سان فرانسيسكو يفرضان ذلك فرضاً ، وعلى أن أسبانيا الفاشية قد ظهرت كأيديتاليها لأنها مدينة لها بالوجود . ولكن البريطانيين والأمريكيين يؤمنون

هنا بحرية الشعوب إما أن يوشك أن يكون تعصفاً . فالشعب الأسباني حر في اختيار الحكومة التي تسيطر على أمره ، وما ينبغي للسلطان الخارجي أن يتدخل في الشؤون الأسبانية الحالية ، ولا أن يفرض على أسبانيا حكومة وإن كانت ديمقراطية ، ولا أن يخلص أسبانيا من حكومة وإن كانت فاشية قد حاربت الديمقراطية وأعانت عليها ما وجدت إلى ذلك سبيلاً .

ونتيجة هذا كله أن الشعب الأسباني نفسه منقسم في ظاهر الأمر على الأقل : فريق منه يريد أن يعود إلى النظام الجمهوري اليساري ، وفريق آخر يريد أن يحفظ بالنظام الفاشي الميامن . فأما قبل الحرب فقد أقبلت ألمانيا وإيطاليا في غير تردد على تأييد النظام الفاشي في أسبانيا بالسلاح ، وأما بعد الحرب وبعد انتصار الديمقراطية ، فإن بريطانيا العظمى وأمريكا تآيان حتى قطع العلاقات السياسية مع الفاشية الأسبانية التي أنادت على الديمقراطية ودرت لها ألوان الكيد . فالأمر كله إذن إنما يرجع ، قبل كل شيء وبعد كل شيء ، إلى الصراع بين هذين المذهبين : مذهب الحرية الذي يعتمد على رأس المال ، ومذهب العدل الذي يعتمد على الشيوعية .

وكما أن روسيا ألقت ستاراً حديداً من دون الشرق الأوروبي والجنوب لأوربي ، فإن بريطانيا العظمى وأمريكا تلقين ستاراً حديداً آخر من دون الغرب الأوروبي . وكل هذا قد يكون له خطره في مستقبل العالم ، ولكن هناك ما هو أشد خطراً من هذا كله ، وهو أن الشعوب نفسها منقسمة في حياتها الداخلية شدة الانقسام ، ينحاز فريق منها إلى الحرية فيمتنع بريطانيا العظمى وأمريكا ، ويستعين بهما على خصومه إن احتاج إلى ذلك ، وينحاز فريق آخر إلى العدل فيمتنع روسيا ، ويستعين بها على خصومه إن احتاج إلى ذلك . وينشأ عن هذا أن تصبح كلمة الاستقلال من الكلمات الجوفاء التي لا تدل الآن على معنى محقق في حياة هذه الشعوب .

وقد كان من المصحح حقاً أثناء الصراع الانتخابي في فرنسا أن يتهم أنصار الحرية خصومهم بأنهم يتلقون الأمر من موسكو ويريدون أن يجعلوا فرنسا ذليلاً لروسيا ، وأن يتهم أنصار العدل خصومهم بأنهم يتلقون الأمر من واشنطن ويريدون أن يجعلوا فرنسا ذليلاً لأمريكا . والواقع أن أولئك وهؤلاء كانوا يسرفون ، ويعلمون أنهم يسرفون . فقد أصبحت فكرة العدل أساساً



## بين العدل والحرية

لمذهب من المذاهب يوشك أن يكون ديناً، وصيحت فكرة الحرية أساساً  
 للمذهب من المذاهب يوشك أن يكون ديناً أيضاً . فالدين يتجاوزون إلى هذا  
 المذهب أو ذاك ويؤمنون بهذا الدين أو ذاك ، مضطرون بالطبع إلى أن يظهروا  
 شركاءهم في الرأي وإخوانهم في الدين . فأنحياز أنصار العدل في فرنسا إلى روسيا  
 كأنحياز أنصار الحرية فيها إلى أمريكا ، ظاهرة طبيعية يمكن أن تقاس إلى انحياز  
 المسلمين في وقت من الأوقات إلى عاصمة الخلافة ، وإلى انحياز النصارى في وقت من  
 الأوقات إلى عاصمة المسيحية في روما .

على أن هذا الاختلاف بين المذهبين لم يلبث أن تعتد بعد الحرب العالمية  
 الأولى لظهور مذهب وسط يريد أن يحتفظ بالحرية وأن يحقق العدل في الأرض،  
 ولكنه لم ينظر إلى الحرية من حيث هي ولا إلى العدل من حيث هو، وإنما سار  
 إليهما جميعاً من ناحية خاصة هي ناحية الدين . فأنصار العدل من الشيوعيين  
 والاشتراكيين يعتمدون قبل كل شيء على المادية التي تجحد الديانات جحوداً  
 تاماً، وتنظر إلى الحياة الاجتماعية على أنها نتيجة لازمة لتطور تاريخي محتوم .  
 وأنصار الحرية ، ولا سيما منذ الثورة الفرنسية ، لا يكادون يحفلون بالدين ،  
 ولا يكادون يلتقون إليه بالآ . وهذا يمكن أن ينشأ مذهب ثالث بين هذين  
 المذهبين يلائم بين الحرية والعدل من جهة وبين الدين من جهة أخرى ، ويتخذ  
 الدين أساساً لحياة إنسانية جديدة ترتفع عن المادة ، وترقى إلى المثل العليا ، وتؤمن  
 بأن في الإنسان قوة لا تستطيع أن تحيا ولا أن تتمر ولا أن تتيح للإنسان  
 حظه من الرقي إلا إذا اتصلت بمصدرها تقدسي الأول من طريق الإيمان والنقطة  
 والأمل - أقول إذا أمكن أن ينشأ هذا المذهب كان في نشوئه الخير كل  
 الخير ؛ لأنه يصلح ما أفسدت الثورة ، فيرد إلى الدين مكانته في القلوب وسلطانه  
 على النفوس ، ويعصم الناس من لمادية الجائحة والإلحاد المتمرد ، ويكفل لهم  
 في الوقت نفسه نصيباً معتدلاً من الحرية ، ويتيح لهم في الوقت نفسه سبباً  
 متصلاً إلى تحقيق العدل في الأرض .

وكذلك نشأت الاشتراكية المسيحية التي لا تقيم العدل على الجبر التاريخي ،  
 ولا تجعل الإصلاح نتيجة لتطور المادى ، ولا تلغى حرية الفرد ولا حرية  
 الجماعات ، وإنما تقيم أمور الناس على التعاطف والتعاون والحب ، وتجمع قلوبهم  
 حول هذه المثل الإنسانية والإلهية العليا .

وليس من شك في أن أهوال الحربين العالميتين كان لها أعظم الأثر في إنشاء هذا المذهب وانتشاره وانتصاره في بعض الأقطار . فهذه الأهوال التي صبغت الحرب على الناس ، وهذه الكوارث التي تغلغلت في حياة الأفراد والجماعات ، وهذه القسوة التي قطعت ما بين الناس من أرحام أمر الله أن توصل ، كل هذا قد زهد الناس في الإيمان بسلطان العلم وتفوقه ، وصرفهم عن هذه الفتنة التي ملأت قلوبهم وملكت ضميرهم في القرن الماضي ، واضطروهم إلى التفكير في العلم أن ليس كل شيء وفي أن العقل ليس كل شيء ، وفي أن الإنسان لا يأتلف من العقل والجسم فحسب ، ولكن له ملكات أخرى لا ينبغي أن تهمل وحاجات أخرى لا ينبغي أن تزدري . ومن أهم هذه الملكات ملكة الشعور ، ومن أهم هذه الحاجات الحاجة إلى الإيمان بقوة قدسية مدبرة لشؤون الإنسان تسمو به إلى الخير ، وتنهيه عن الشر ، وتدبئ به عن الموبقات . وقد أطن على انتشار هذا المذهب وانتصاره بعد الحرب العالمية الثانية ، أن أتيح حق الانتخاب للنساء في أكثر الشعوب الأوروبية بعد أن كان هذا الحق مقصوراً على الرجال ؛ ولذلك انتصرت الاشتراكية المسيحية في فرنسا أخيراً بانتصار الحركة الجمهورية الشعبية على حساب الاشتراكيين الماركسيين ، وانتصرت الديمقراطية المسيحية في إيطاليا على حساب الاشتراكية الماركسية أيضاً ، وأصبحت هذه الاشتراكية المسيحية الجديدة قوة لها خطرهما في الحياة السياسية لأوروبا الغربية بوجه عام . ولست أدري أيتاح لهذه الاشتراكية المسيحية فوز متصل أم هي أعقاب الحرب لا تكاد تمضي عليها الأعوام حتى تعود الحياة الأوروبية إلى طبيعتها ، ويستأنف الصراع عنيفاً بين هذين المذهبين : مذهب الحرية ومذهب العدل . ذلك أن هذا المذهب الاشتراكي المسيحي جميل رائع في نفسه ، مثله في ذلك مثل مذهب العدل ومذهب الحرية ، ولكنه لا يكاد يخرج إلى الوجود اليومي ويعالج مشكلات الحياة الطارئة حتى يصيب المذهبين من هذه الأعراض التي تبغضه إلى فريق من الناس وتحببه إلى فريق .

هـ الاشتراكية المسيحية لا تلغي رأس المال ، وإذن فسيطعن إليها رأس المال ، وسينفر منها طلاب المساواة الخالصة والعدل المطلق . والاشتراكية المسيحية لا تنكر الإصلاح الاجتماعي وإنما تدفع إليه دفعاً وقد تنطرف فيه أحياناً ، وإذن فسيستغلها المتطرفون لتحقيق بعض ما يريدون ، وسيشفق منها المحافظون ، لأنها

تكلفهم أكثر مما يريدون أن يتكفوا . والاشتراكية المسيحية بحكم عنوانها واستمسكها بالدين مضطرة إلى مصانعة الكنيسة أو قل إلى طاعة الكنيسة وإرضائها ، وإذن فسينفر منها جمهور ضخم من الأوربيين ومن المفكرين الذين قطعوا ما بينهم وبين الكنيسة من الأسباب منذ وقت طويل . وخذ مثلاً واحداً لهذا الموقف الوسط الذي يضطر الاشتراكية المسيحية إلى الخرج في بلد كفرنسا ؛ فهذه الاشتراكية المسيحية تطالب بحرية التعليم التي يطالب بها المحافظون الغلاة . وحرية التعليم هذه ينكرها عدد ضخم من الفرنسيين الذين ناصروا الفصل بين الكنيسة والدولة ، والذين حملوا الجمهورية الفرنسية الثالثة على أن تجعل التعليم من شأن الدولة خاضعاً لسلطانها ملتزماً للحيدة الدينية الكاملة . فليس بدّ إذن من أن تجدد الاشتراكية المسيحية كثيراً جداً من الغناء حين تعالج هذه المسألة ؛ لأن أنصار العدل الماركسي لم يضعفوا ولم يستيئسوا ، وإنما هم محتفظون بقوتهم التي تزداد انتشاراً وانتصاراً من يوم إلى يوم . فالاشتراكية المسيحية في حقيقة الأمر توشك أن تكون طوراً من هذه الأطوار الانتقالية التي تطمئن إليها الشعوب حين نجهدها الحرب وتكلفها الأزمات من الجهد والمشقة ما لا تطيق . فإذا ما استجمت واستردت قوتها ونشاطها ضاقت بالمواقف المتوسطة واستأنفت الصراع بين القديم والجديد ، بين المحافظة والتطرف ، أو قل — إن شئت — بين الاستمسك بالحرية والطموح إلى العدل .

والشيء الذي ليس فيه شك هو أن طبيعة الإنسان تدفعه دائماً إلى الترقى ؛ فهو لا يبلغ من الرقي طوراً حتى يسمو إلى طور خير منه « حاجة من عاش لا تنقضي » كما يقول شاعرنا العظيم . والحضارة الإنسانية المادية مسرعة إلى التطور وإلى تيسير الترف وذاعته وجعله في متناول الناس جميعاً . فليس للإنسانية بدّ من أن تلتقي على نفسها دائماً هذا السؤال : لماذا يقاح النعيم لفريق من الناس ويحظر على فريق آخر ؟ لماذا يفرّق بين الناس في الاستمتاع بالحياة على حين يسوئ بينهم في الدخول إلى الحياة والخروج منها ؟ لماذا يعمل العامل ويزرع الزارع ويملاّ كلاهما الأرض بأسباب الترف ووسائل النعيم لينتفع بنتيجة هذا العمل فريق من الناس لا يعملون ولا يزرعون ولا يبدلون جهداً ولا يحملون في الحياة عناء ؟ ولماذا يتساح الفراغ لقلة من الناس ويفرض العناء على كثيرهم ؟ هذه الأسئلة أُلقيت على الناس منذ أقدم العصور ، ولكنهم لم يحققوها في أنفسهم



كما يحققونها الآن ، وهم يعتقدون مصيبين أو مخطئين ، راضين أو كارهين أن  
العدل يجب أن يكون هو الغاية الأخيرة للحياة ، وأن المساواة الصحيحة في  
تمكين الناس من أن ينتفعوا بهذا العدل هي الوسيلة إلى تحقيق هذه الغاية  
الأكبرى . فإذا ذكرت لهم الحرية وما أثرها ومحاسنها — وما أكثر ما للحرية  
من مآثر ومحاسن ! — فيقولون لك إن الحرية لن تطعم الجائع ولن تكسو العارى  
ولن تسقى الظمآن . وسيقولون لك إن الرجل البائس لا يستطيع أن ينتفع  
بحريته ، لأن الحرية لا تغنى إلا مع الاستطاعة . وسيقولون لك إن الحرية خير  
ما في ذلك شك ، ولكن بشرط أن تمنح للناس بعد أن تتحقق بينهم المساواة  
ويستقر بينهم العدل ويصبح بئامن من كل عبث ومن كل طغيان . وسيقولون  
لك إن الحرية إذا منحت للناس قبل أن يستقر بينهم العدل أثارت بينهم التنافس  
وذاغت بينهم البغض وأشاعت فيهم الطمع والحسد والحقد وجعلت بعضهم  
لعض عدوًّا . وسيستدلون بالتاريخ كله على هذا كله . وسيقولون يجب أن  
يحقق العدل أولاً وأن يتساوى الناس في الانتفاع بالحياة كما تساوا في  
الدخول إليها والخروج منها . فإذا تم لهم ذلك فامنحهم الحرية إن شئت . فلن  
نمرضهم للشر ، ولن نثير بينهم كيداً ولا مكرراً ولا غدرأ ولا عداً .

وقد تعترض عليهم بأن تحقيق العدل الذي يريدونه ، والمساواة التي يطمحون  
إليها ، ويطمعون فيها ، يدعو إلى كثير من الشر ، وأول هذا الشر إلغاء الحرية  
وإزالة القوى عن قوته والمتفوق عن تموقه والغنى عن غناه ، وحمل الناس على  
أن يكون من الحياة متشابهة بغضبة لتشابهها ، وأخذهم بالعنف حتى يحملوا على الجادة  
و يمدوا إلى الصراط المستقيم . وقد نضرب لهم الأمثال بما يجري هنا وهناك  
في البيئات التي حاولت تحقيق العدل والمساواة من العنف الممكر والتسلط الذي  
لا اتفاق ، ولكنهم سيجيبونك دائماً بأن الإنسانية مريضة ، وبأن شفاء المريض  
لا يكون بمداعبته وتدليله ، وإنما يكون بحمله على تعاطي الدواء مهما يكن مرراً  
لغصا ، وبحمله أحياناً على ما هو أشق مشقة وأجهد جهداً وأثقل ثقلًا من الدواء  
المر البغيض .

والإنسانية بين اثنتين : إما أن تريد الشفاء ، فتسلك إليه طريقه المستقيمة ، وإما أن  
تتر المراض ، فتشقى بالآلامه وأثقاله حتى يدركها الفناء . وكذلك ستظل الإنسانية  
مضطربة بين هذين المذهبين : مذهب العدل وما يقتضى من وسائل قد تكون

منكرة في كثير من الأحيان ، ومذهب الحرية وما يستتبع من تنازع ليست أقل من وسائل العدل تكراراً . ومن يدري ! لعل يوماً من الأيام قريباً أو بعيداً يرى ذلك الفيلسوف الذي يبتكر للإنسانية مزاجاً معتدلاً من الحياة يتحقق فيه العدل من غير عنف ، ويتحقق فيه الحرية من غير ظلم ، ويذوق الناس فيه سعادة لا يشوبها بؤس ولا شقاء . ويرحم الله عمر ، فقد أراد أن يحمل المسامين على ذلك ، ومضى بهم في سبيله قُدُماً ، وحقق لهم منه شيئاً كثيراً . ولكن الشاعر الذي رثاه لم يخطئ حين قال :

عاليك سلامٌ من إمام ، وباركت	يد الله في ذاك الأديم المعزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامه	ليدرك ما قدمت بالأمس يسق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها	بواثق في أكمامها لم تفتق

ط حسين

باريس ، يونيو ١٩٤٦

# في أفق السياسة العالمية

## مشاكل البلقان

تناول مستر بيغن وزير خارجية إنجلترا فيما تناوله من الشؤون الخارجية في بيانته الأخير الذي ألقاه في مجلس العموم في أوائل شهر يونيه ، مسألة تريسته ، وقال بشأنها إن خشي ما يخشاه « أن تصبح تريسته بيداً تحرك أيدي اللاعبين على رفعة الشطرنج الدولية » . ولكن هل بقي إقليم أو ميناء في شرق أوروبا أو في منطقة البلقان ليس للدول فيه صُعب ظاهرة أو حفية تحرك سياسته عينا أو يسراً وفق الآراء والمبادئ التي تدين بها الدولة التي تحركه ؟

لقد قست الطبيعة والظروف على شعوب البلقان ، ففرقت بينهم في الجنس واللغة والثقافة والمذهب الديني ، كما فرقت بينهم سلاسل الجبال والمرتفعات التي تتسع شبه الجزيرة طولا وعرضا ، وجعلت المواصلات فيما بين البلاد أمراً بالغاً مسعى الصعوبة ، اللهم إلا البلاد التي جمع بينها نهر الدانوب وفرقتها يد السياسة ! وإذا كان معظم سكان البلقان ينتمون إلى العنصر السلافي ، فإن في هذه البلاد خليطاً عجيباً من مختلف الشعوب والنحل ، فمنهم الأتراك والأرثوذكس أو الألبانيون ولا غريق والمقدونيون والرومانيون والصرب والكروات والسلوفين والبُلغار ، ومن هؤلاء جميعاً الأرثوذكس والكاثوليك والمسلمون واليهود . وكان من نتيجة هذه الخلاقات الجنسية والدينية أن استفحلت أسباب العداوة والكراهية الخفية بين هذه الشعوب ، ثم كان تنازع الدول الكبرى فيما بينها لمد سلطانها وبسط نفوذها على هذه الأقاليم ، فأودى ذلك نهائياً بطمأنينتها وأمنها ، وجعل منها ، كما يقولون ، برميلاً جافاً من البارود يوشك في كل لحظة أن ينفجر ، فلا تقتصر ناره على الأرض المجاورة ، بل تتعدى الحدود وتتصل ألسنتها بالمحيط الدولي ، فتشتمل نيران حرب كبرى .

ولقد انفجر البارود في صيف سنة ١٩١٤ في سراييفو إحدى مدن الصرب ، فتنامت على أثر ذلك الحرب العالمية الأولى . ومن ألبانيا اندلعت في دبيع



سنة ١٩٣٩ إحدى شرارات الحرب العالمية الثانية حين هاجمها مسوإيني في يوم الجمعة الحزينة من ذلك العام ، وشرمد مليكها وأسرتة ، ووضع تاج الباييا على رأس ملك إيطاليا المثقل بالستين والتبعات . وإذا سارت الحال في البلقان على النهج لدى تقضي إليه سياسة الدول الكبرى في هذه الآونة ، فأكبر الظن أن حرباً بل حروباً أهلية وعالمية أخرى ستستمر من جديد ، وتأخذ سبيلها من هذه الأقاليم المنكودة .

ولقد يدهش الباحث إذ يعلم أن البارود الذي ينفجر في البلقان بين آونة وأخرى ليس من صنع أهل البلقان ، ولا هو من منتجات هذه الأقاليم التي يعيش معظم أهلها على الزراعة والصناعات الزراعية ، ولكن الدول الكبرى هي التي تصدر البارود إلى هذه البلاد ، حتى إذا انفجر وتناثر شرره استكبرته وتحت باللائمة على شعوب هذه البلاد ، ونسبتهم إلى الشر والعدوان . والحق أنه لا عيب في هذه الشعوب إلا فقرها المدقع ، وجهلها المروع ، وحبها الملتهب للحرية والاستقلال

على أن الدول لم تقتصر على تصدير البارود إلى شعوب البلقان ، بل كانت تصدر إليها كذلك التيجان والملوك كلما أفلح شعب منها بفضل مساعدة تلك الدول في التخلص من نير الأتراك ، وأنشأ له حكومة وطنية . وعلى ذلك اعتلى عرش اليونان الملك جورج الأول من أمراء الدانمركة ، وكانت زوجته أميرة روسية ، وأخته زوجة ولي عهد النمجر الذي خاف والدته الملكة فكتوريا باسم إدورد السابع . وحكم رومانيا الملك شارل الأول أمير أحد فروع أسرة هوهنلرن الألمانية . وجلس على عرش بلغاريا أمير ألماني آخر باسم الملك فردينند . وكذلك احتير لألبانيا في أول عهدها بالاستقلال سنة ١٩١٣ الأمير ويد الألماني . أما مملكة انصرب ، وهي يوغسلافيا الحديثة ، فهي الدولة البلقانية الوحيدة التي لم تنتفع بهذه الواردات المتوجة ، ورفعت إلى عرشها أميراً اختارته من بين أسرها العريقة . وكان آخر ملوكها بطرس الثاني الذي نحي عن العرش في سنة ١٩٤٥ .

ومن العجيب أن هذه الشعوب قد خضعت للحكم التركي أو الحكم النمساوي مدة تراوح بين أربعة قرون أو خمسة ، فلما همت في القرن التاسع عشر أن تتحرك لثورة وطلب الاستقلال بدأت الدول تتدخل وتمدها بالنار والحديد وبالرجال ثم بالتيجان ، حتى إذا ما تنسمت نسيم الحرية ونعمت بتحقيق أمانها وظفرت

بالاستقلال السياسي ، بدأت تحس ثقل تبعاتها وتشعر بالفراغ العظيم الذي أحدثته روال الحكم التركي أو النمساوي من محيطها ، فراحت تتخبط وتتمتع في مختلف المشاكل والصعاب إما داخل حدودها وإما بين بعضها وبعض . ذلك أن كلا منها قد حرص في عهد الاستقلال على توسيع حدوده على حساب جيرانه ، ثم وطر كل منها نفسه — فيما عدا تركيا واليونان طبعاً — على الوصول إلى ميناء يطل على مياه البحر المتوسط من قرب أو بعد .

لذلك ما كادت تنتهي حرب الاستقلال البلقاني ضد تركيا سنة ١٩١٢ حتى قامت الحرب البلقانية الثانية سنة ١٩١٣ بسبب توزيع الأسلاب بين المنتصرين في الحرب الأولى ، فهاجمت بلغاريا حليفتيها الصرب واليونان ، وما لبثت رومانيا أن تدخلتا وتركيا في الحرب ، فاستردت تركيا أدرنة ، واحتلت رومانيا دبروجة ، وخسرت بلغاريا معظم ما كسبته في الحرب الأولى . ومن ذلك نشأ العداء والكراهية بين بلغاريا وسائر دول البلقان ، ذلك العداء الذي استحكم في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وكانت بلغاريا تحارب فيها إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء ، فكان جزاؤها أن حرمت المنفذ الذي ظالما مننت به نفسها على بحر إيجه . كما فقدت جزءاً كبيراً من تراقيا لليونان ، ومن مقدونيا ليوغسلافيا . وكان من بوغث الأمل على استقرار الحال بعض الشيء في البلقان عقب تلك الحرب أن روسيا كانت من غمرات ثورتها الكبرى في شغل شاغل عن البلقان وعن أوروبا عامة ، وكانت تركيا قد تراجعت إلى آسيا الصغرى ، فنقلت عاصمتها من استنبول إلى أنقرة ، واشتغلت هي كذلك نهضتها الكيالية . وبذلك تيسرت لدول البلقان فترة استجمام ساعدتها على النهوض بشؤونها الداخلية ، وترقية مرافقها الصناعية والعمرانية وجمع كلمة مواطنيها على رغم اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم . وقد ظهرت دلائل هذا التقدم جلية في رومانيا ويوغسلافيا بصفة خاصة ، حيث كشفت منابع البترول وقامت فيها نهضة صناعية وحرية كبرى ، فازتقع مقام رومانيا إلى مصاف الدول المهمة ، وأصبح ليوغسلافيا على البحر الأدرياتي موانئ وقواعد حربية تنافس بها إيطاليا .

وكذلك نهضت تركيا واليونان ، وسوت الحكومتان ما كان بينهما من خصومات وعداء مستحكم بفضل السياسة التي انتهجها أتاتورك بعد هزيمة اليونان في آسيا الصغرى ، وإنشائه تركيا الجديدة ، فقد قرّر رأي الزعيم التركي على

اقتلاع أسباب النزاع بين الشعبين المتجاورين من جذورها ، وذلك بتبادل الأقليات بينهما ، فتفتح اليونان أبوابها للمليون وربع مايون من الإغريق المتوطنين في تركيا مقابل نصف مديون من الأتراك تستردهم تركيا من اليونان . وقد فعل هذا التبادل — على رغم ما لاقاه المتبادلون من صنوف الآلام والمتاعب الجسمية والعاطفية — فعل السحر في تحسين العلاقات بين الشعبين ، حتى أصبحا كأنهما أسرة واحدة متفقة المصالح والأهداف .

وقد بدت آثار هذا التضامن بين الحكومتين في سياسة لبلقان الجديدة . وذلك أنه ما كادت تختفي روسيا من الميدان السياسي في البلقان والبحر المتوسط عقب ثورتها ، حتى انبرت إيطاليا الفاشية تريد أن تحل من دول البلقان محل روسيا ، فتتشر تقوذاها السياسي في ربوع البلقان وشرق البحر المتوسط . وفعلاً بدأت تعقد معاهدات الصداقة بينها وبين دول البلقان . ولكن سرعان ما بانت بيات إيطاليا التوسعية عند ما احتلت جزيرة كرفو التابعة لليونان في سنة ١٩٢٣ على أثر حادث وقع على الحدود بين ألبانيا وإيطاليا ، وقتل فيه رئيس المعثة الإيطالية في اللجنة التي كانت تعين الحدود بين الدولتين . ولم تنسحب إيطاليا من الجزيرة إلا بعد تدخل مجلس عصبة الأمم وقيام اليونان بدفع غرامة هادحة لإيطاليا . وقد تحققت مخاوف البلقان من ناحية إيطاليا عند ما ديعت شروط معاهدة تيرانا بين إيطاليا وألبانيا سنة ١٩٢٦ ، وكان خواها أن تصبح ألبانيا في حقيقة الأمر إحدى ملحقات إيطاليا ، فتشئ فيها الطرق والقلاع والموانئ لتتب منها عند الحاجة على يوغسلافيا أو اليونان ، ولتستطيع أن تتحكم في مضيق أترنتو عند مدخل البحر الأدرياتي ، فيبقى الأسطول اليوغسلافي الحربي والتجاري تحت رحمة إيطاليا .

عند ذلك تفتحت عين دول البلقان ، وأدركت أنه إذا لم تتحد وتعتمد على نفسها ، فإنها ستستمر العوبة في أيدي الدول الكبرى تتقاذفها كيفما شاءت . وخباء وضح لشعوب البلقان أن هناك مسائل ومصالح تهمهم جميعاً ، وأنهم قد وصلوا من النضج السياسي إلى درجة خليقة بأن يجعلهم يقفون صفاً واحداً أمام مطالب الدول وعدوانها عليهم . وعلى ذلك أنشأوا بفضل مساعي تركيا واليونان الميثاق البلقاني سنة ١٩٣٤ بين تركيا واليونان ويوغسلافيا ورومانيا ولم تشذ إلا ألبانيا وبلغاريا ، إذ كانت الأولى في سياستها تابعة لإيطاليا ، وكانت الثانية



تضع في إعادة النظر في معاهدات الصلح ، على حين قد نص الميثاق على حفظ الحالة الحاضرة في البلقان . وكان عقد الميثاق أكبر صدمة سياسية أصابت سياسة الدول الصاعدة بصفة عامة وإيطاليا بصفة خاصة ؛ فلأول مرة في تاريخها وقفت دول البلقان على قدميها تنادي أن البلقان للبلقانيين .

وقد كان الميثاق خير درع لدول البلقان في أزمة الحبشة سنة ١٩٣٥ ، فوقفت كتلة واحدة إلى جانب العصبة وبريطانيا ضد الطغين العاشي . وكذلك وقفت دول البلقان تناصر تركيا في سنة ١٩٣٦ عندما دعت مؤتمر الدول في منترو ليقرر النظام الجديد للعلاقات في مصلحة تركيا . ولكن وأسفاه لم تمض إلا سنوات قليلة على الميثاق حتى قامت الحرب العالمية الثانية . فالتزمت دول البلقان الحيدة في أول الأمر ، ثم لم تلبث فرنسا أن انهارت ودخلت إيطاليا الحرب ، وحسب مسؤوليني أن الفرصة قد سنحت أخيراً لتحقيق مطامع إيطاليا النشوية غرباً وشرقاً ، فستير قواته من ليبيا ضد بريطانيا في مصر ، وتحركت كتائبه من ألمانيا ضد اليونان ، فوقف الإغريق أمام المعتدين ووقفهم التي استرعت عجب العالم . وتخرج مركز المحور في البلقان ، فحولت ألمانيا وجهها من غرب إلى الشرق وأنزلت جحافلها ودباباتها وطائراتها تكسح دول البلقان واحدة بعد أخرى حتى لم ينج منها سوى تركيا . وامتد الناس ميثاق البلقان فجعلوا ينتقون عنه فلم يفوروا بطائل وسط جلجلة المدافع وهزيم القنابل وضجيج الطائرات . وماذا يغني الميثاق ؟ ولو أنه كان اتحاداً لا مجرد عهد ووعد لما بقيت منه الحرب الخاضعة التي حالقت الألمان في سني الحرب الأولى أي أثر ، وهي التي داست الموائيق والمعاهدات ، وبددت المحالفات ومزقت الجيوش شرمزق !

وبذهاب ميثاق البلقان وانتهاء الحرب ، سارت دول البلقان سيرتها الأولى وعادت مسرحاً لأسباب الكراهية المحمية والمنافسات الدولية . وقد تعقدت مشاكلها في هذه المرة على أثر عودة روسيا أمهم السلافية الأرثوذكسية الكبرى وظهورها على مسرح السياسة في دور البطولة العالمية . وإذا ما اجتمعت الأمم فمراخها فمسير عليها أن تدع لأحدها حريته أو استقلاله ، بل إن غريزة الأمومة فيها لكفيلة أن تدفعها يوماً إلى احتضانهم وضمهم إليها وحمايتهم من الأيدي التي تمتد إليهم ، ولو كانت تمتد لإطعامهم !

وفي هذه المرة لا تريد روسيا أن يفات منها زمام البلقان كما أفات في أعقاب الحرب العالمية الأولى، فهي تعتبر نفسها زعيمة الشعوب السلافية حقاً وصدقاً وتعتبر البلقان منطقة نفوذها الخاصة. وقد نزلت أخيراً عن عداؤها للكنيسة ورجالها، فاستعادت زعامتها الأولى للأرثوذكسية التي تنتمي إليها الكثرة العظمى من سكان البلقان. وتريد روسيا أن يكون مقامها في البلقان شبيهاً بمكانة الولايات المتحدة من جامعة الجمهوريات الأمريكية، مع فارق واحد هو أن جمهوريات أمريكا تتمتع باستقلالها وسيادتها، أما حكومات البلقان فتريدها روسيا على أن تكون وفق نظامها الشيوعي وعلى هواها.

وتحتاج روسيا إلى لوف مؤلفة من عمال البلقان، ليعوضوها عما فقدته من ملايين الشبان في الحرب الأخيرة، كما أنها تريد أن تعمل لكسب أسواق البلقان في التجارة كما كسبتها منهم ألمانيا قبل الحرب الأخيرة، حتى بلغ ما تصدره ألمانيا لرومانيا ويوغسلافيا ٤٠٪ من وارداتها. ولا يتحقق لروسيا ذلك التفوق الاقتصادي إلا إذا نهضت بصناعاتها ومنتجات مثل ما كانت تصدره ألمانيا للبلقان من أعداد وآلات ثقيلة وخفيفة ومصنوعات مختلفة. ولا سنيل إلى هذه النهضة إلا إذا توافرت لروسيا الأيدي العاملة التي لا يتم تدريسها إلا بعد سنوات طويلة. وفي هذه الأثناء إما أن تخضع روسيا لقيام مبدأ حرية التجارة في البلقان، وإما أن نأباه فتعرض شعوبه وحكوماته لكارثة اقتصادية محققة.

وكما أن روسيا تريد أن ترث ألمانيا في مركزها الاقتصادي في البلقان، فإنها تعمل كذلك جاهدة على أن تكون وريثة إيطاليا في البحر المتوسط، حتى يصبح التوازن الدولي في حوض هذا البحر بعد أن اختل بذهاب قوة إيطاليا البحرية فلا تطفئ فيه بريطانيا وفرنسا دون مقابل. لذلك بدأت روسيا تطالب بعصبيتها في قواعد الاستراتيجية، فلم تكتف بالجلوس إلى جانب إنجلترا وفرنسا وأمريكا في منطقة طنجة الدولية كما تقرر في العام الماضي، بل جعلت تطالب بالوصاية على طرابلس أو جزر الدوديكانيز، ورفضت أن يتحدد معاهدتها مع تركيا حتى تحاب إلى طلبها فيما يخص المضائق، ويقولون إنها تطالب الآن بقاعدة حربية في منطقة المضائق، وبمقرعدها في مجلس إدارة شركة قناة السويس. كما كانت تريد أن تنص إيطاليا الفاشية من قبل.

وتحقيقاً لهذه السياسة أيضاً وقعت روسيا تسند جمهورية يوغوسلافيا الناشئة

في مضالمتها بضم تريسته ومنطقة فنيزيا جوليا على البحر الأدرياتي ، وقد احتلت منها ميناء فيومي وما جاورها من الاراضي . ويبدو أن ما نال الطليان من الخزي والهوان في الحرب الأخيرة سيقبل من أمل إيطاليا في الاحتفاظ بهذا الإقليم ، لاسيما أن الكثرة الطليانية في هذه البقاع ليست في الحقيقة إلا كثرة اقتصادية حديثة العهد غير متصلة في صميم البيئة ، وأن عدداً كبيراً من هؤلاء طليان قد اعتنقوا أخيراً كغيرهم من العمال في المدن والموانئ في أنحاء أخرى مبادئ الحرب الشيوعي ، وأصبحوا لا يرغبون في العودة إلى الحكم الإيطالي لذي ناوا الشيوعية في الماضي . وقد أكد مستر بيثن في خطبته الأخيرة أنه لا مناص من تحويل تريسته إلى ميناء دولي حر للجميع ، تستفيد منه يوغسلافيا وسائر دول أوروبا الوسطى .

وتهدف حكومة السوڤيت في مناصرتها ليوغسلافيا إلى السيطرة على البحر الأدرياتي لموصل للبحر المتوسط بعد أن أصبحت يوغسلافيا وألبانيا جمهوريتين تسيطران على التهج الشيوعي .

وكذلك تنف حكومة السوڤيت إلى جانب بلغاريا العريضة عليها . فعلى الرغم من أن بلغاريا قد تعاونت مع ألمانيا ، فإن صلات الدم الوثيقة التي تربط بلغاريا بروسيا ، لم تنفصم عراها حتى في أحلك ساعات الحرب عندما كانت ألمانيا سيطر على بلغاريا . واستناداً إلى هذه الصلة تطالب بلغاريا بتحقيق حالمها في بحر إيجه وفي تراقيا ومقدونيا على حساب اليونان . ولم تشأ بريطانيا بعد الحرب لأخيرة أن محازف ترك اليونان حرة تتدرعها عوامل البلشفية من جهة ولجمعية من جهة أخرى ، فأبقت فيها قواتها خوفاً على مصالحها الحربية في البحر المتوسط . ومع أن لامل كبير في أن تحتض اليونان جرر الدوديكانيز وروودس وكراطين أن انجلترا ستظل محتفظة بقبرص . وليس من شك في أنه إذا انحلت اقوات البريطانية عن اليونان بعد استفتاء الشعب في موضوع الملكية ، فإن نفوذ الشيوعي سيطغى على البلاد ويصبح مصير البلاد مربوطاً بعجلة السوڤيت . نك تعتبر مسألة نظام الحكم في اليونان من أهم أسباب النزاع الدولي الحالي . أما في رومانيا فقد استردت روسيا إقليم بيسارابيا وأصبحت الحكومة فيها موالية للسوڤيت ، وكذلك في ألبانيا قامت حكومة جمهورية موالية لروسيا برئاسة نور حجة ، بعد أن ألغيت فيها الملكية في أوائل هذا العام .

وأخيراً تنقّي روسيا وجهاً لوجه أمام تركيا ، وهي تحكم موقعها عند أهم  
النقط الاستراتيجية في البحر المتوسط ، ولأن حكومتها الفتية الحالية تمثل أقوى  
شعوب البلقان وشدتهم مراساً وأكثرهم عدة وعدداً في الحرب ، فضلاً عن ارتباطها  
بأواصر الصداقة مع أمريكا وبريطانيا — لهذه الأسباب جميعاً تعتبر تركيا المحور  
الذي يدور عليه مصير البلقان والشرق الأوسط الذي «تبلقن» أخيراً ، وشاكل  
صنوه في أخطاره ومنافساته . فإذا لم تسوِّ العلاقات بين تركيا وحكومة  
السوفييت بشأن المضائق وحدود تركيا الشمالية الشرقية ، فإن برميل البارود قد  
يزود هذه المرة بمواد شديدة فتكاً وعم خرباً من البارود ، وحينئذ يتاح للدول  
أن تجد حلاً نهائياً لمشاكل البلقان وغيرها .  
ولعل للموضوع بقية في فرصة أخرى .

محمد رفعت



## القضية المصرية وهيئة الأمم المتحدة

في مصر وسائر بلاد العربية، وفي بريطانيا العظمى وسائر أجزاء الإمبراطورية، وكذلك في تركيا واليونان، وفي الهند وإيران، اهتمام بمصير المفاوضات التي بدأت في القاهرة بين ممثلي الحكومتين المصرية والبريتانية قصد لوصول إلى تسوية ما بينهما من خلاف على ما تريد مصر أن تحققه من « مطالب قومية » وما تريد إنجلترا أن تحتفظ به من « مصالح » في هذا الجانب من العالم. ويُعنى الساسة وأولو الرأي في تلك البلاد وفي غيرها أيضاً بما قد ينشأ من إحباط لمفاوضات: هل ترفع مصر أمرها إلى هيئة الأمم المتحدة؟ وهل تحتص الجمعية العامة لهذه الهيئة أو مجلس الأمن الدول بالمظر في ذلك الأمر إذا رفع إلى واحدة من جهتهما؟

وقد ريت في طريقة تقديم بحثي هذا الموضوع أن أبدأ بتحديد الخلاف بين وجهتي النظر المصرية والبريتانية إلى القضية المصرية، وأن أثنى بتكليف العلاقة بين هذا الخلاف وهيئة الأمم المتحدة، ثم أعالج مسألة لاحتصاص ونوع النظر عن الطريق العادي أو على وجه الاستعجال، وأدلى بعد ذلك بالنصوص المستمدة من ميثاق سان فرانسيسكو، والتي يستند إليها من يعرض للحكم في الخلاف. أما القضية المصرية فهي من وجهة النظر المصرية قضية استكمال لاستقلال مصر، وحرص على مطلق سيادتها على أراضيها جميعاً. وقد انتهت مصر أفراداً وهيئات، شعباً وأحزاباً وحكومات، إلى التعبير عن وجهة نظرها بأبسط عبارة: « الجلاء ووحدة وادي النيل »، حلاء الجيود الأجنبية حلاء ناجزاً لارحمة فيه عن البر والبحر والجو، ووحدة الوادي بالنظام الذي يرتضيه أهله المصريون والسودانيون وحدهم.

وهي من وجهة النظر البرتانية قسمة اعتبار مصر منفقة استراتيجية

بريتانية لحماية المواصلات الإمبراطورية وللمحافظة على السلم في الشرق الأدنى أو الأوسط ، واعتبار السودان إقليماً مفتوحاً مملوكاً بحق الفتح المزدوج وخصيصاً للسيادة المزدوجة ، وإدارته مشاركة ثنائية لبريتانيا العظمى فيها حصّة الأسد . ومصر تصدر عن حق استقلالها وسيادتها المعترف بهما دولياً ، وبريتانيا تعتمد على واقع قوتها المسلحة واحتلالها العسكري ، وتحاول لاستناد إلى أداة دبلوماسية هي معاهدة سنة ١٩٣٦ التي تقول بالمفاوضة في سبيل تعديلها ، ومصر تدفع هذا الاستناد باعتباره تلك المعاهدة باطلة أو « غير ذات موضوع » ، وتلوح بأن الانفاقية الدولية المعقودة في أكتوبر من سنة ١٨٨٨ هي وحدها المقررة لنظام الملاحة في قناة السويس والمحافظة عليها ، وبأن المحافظة على السلم لافي الشرق الأدنى وحده بل في العالم كله قد أصبحت من اختصاص هيئة الأمم المتحدة ، لا من شأن دولة واحدة مهما عظمت . وهكذا يتحدد الخلاف بين وجهتي النظر المصرية والبريتانية إلى القضية المصرية .

أما تكييف العلاقة بين هذا الخلاف وهيئة « الأمم المتحدة » فيرجع إلى أن مصر وبريتانيا العظمى عضوان في هذه الهيئة ، وهما مرتبطتان على حد سواء وبعهد الالتزامات الواردة في ميثاق سان فرانسيسكو . وبين هذه الالتزامات تلك التي تضمنتها أحكام المادة الثانية من الميثاق من إقامة العلاقات « على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع الأعضاء » ، ( فقرة ١ ) ، و « امتناعهم في علاقاتهم الدولية عن أن يهددوا بالقوة أو أن يستخدموها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة » ( فقرة ٤ ) ، و « عدم التدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما » ( فقرة ٧ ) ، و « ما لك التي تقضي بها الفقرة الأولى من المادة الرابعة والعشرين من أن « يعهد الأعضاء إلى مجلس الأمن بالتباعد الرئيسية في أمر حفظ السلم والأمن الدولي ، ويوافقوا على أن هذا المجلس يعمل نائباً عنهم في قيامه بواجباته التي تفرضها عليه هذه التبعات » . وكذلك ما أشارت إليه الفقرة الأولى من المادة الخامسة والثلاثين من « تنبيه كل عضو من الأمم المتحدة مجلس الأمن أو الجمعية العامة إلى أي نزاع أو موقف قد يؤدي إلى احتكاك دولي أو قد يثير نزاعاً . » ثم ما نصت عليه المادة الثالثة بعد المئة من

أنه « إذ تمارست الالتزامات التي يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقاً لأحكام هذا الميثاق مع أي التزام دولي آخر يرتبطون به ، فالعبارة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق . »

وبهذا كله تتكيف العلاقة بين الحلاف المصري البريتاني وهيئة الأمم المتحدة ، وهي علاقة حتمية تفرضها النصوص التي تقضي بالمساواة في السيادة والتبعية إلى الممارعات ، وإنابة مجلس الأمن ، وجب التزامات الميثاق لسائر الالتزامات التي فرضها . ويبرر حتمية هذه العلاقة ما يبدو في مصر من دلائل الجدل لمنع الاعتماد على سيادتها ، والبلاد العربية متصامنة مع مصر في موقفها معلنة هذا التصمم في قرار لمجلس جامعة الدول العربية صدر عن اجتماع بلودان .

ونصل الآن إلى مسألة الاختصاص . ومبرها واضح جلي ؛ فقد نصت المادة العشرة من الميثاق على أن « للجمعية العامة أن تناقش أية مسألة أو أمر يدخل في نطاق هذا الميثاق أو يتصل بسلطات فرع من الفروع المنصوص عليها فيه أو وظائفه . »

والقضية المصرية - على حد تكيف العلاقة بين الحلاف المصري البريتاني وهيئة الأمم المتحدة - أمر يدخل في نطاق الميثاق ؛ إذ فيها مساس بسيادة عضو من أعضاء هذه الهيئة ، وفيها استخدام للقوة ضد سلامة أراضي هذا عضو واستقلاله السياسي على وجه لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة ، كما أن فيها تمسكاً بسلطات فرع من الفروع المنصوص عليها في الميثاق ووظائفه ، وهو فرع مجلس الأمن ، ووظيفته سهره وحده على حفظ السلم والأمن الدولي .

ونصت المادة الحادية عشرة في فقرتها الثانية على أن « للجمعية العامة أن تدرس أية مسألة تكون لها صلة بحفظ السلم والأمن الدولي ورفعها إليها أي عضو من أعضاء الأمم المتحدة » ، كما نصت في فقرتها الثالثة على أن « للجمعية العامة أن تسترعى نظر مجلس الأمن إلى الأحوال التي يحتمل أن تعرض السلم والأمن الدولي للخطر . »

ولاشك أن للقضية المصرية صلة بحفظ السلم والأمن الدولي . وبريتانيا ترى وجهة نظرها إلى مصر على زعم أن لها حق حفظ السلم والأمن الدولي في الشرق الأدنى والأوسط . ولا شك كذلك أن القضية المصرية من الأحوال التي يحتمل أن تعرض السلم والأمن الدولي للخطر بما قد يترتب على جد المصريين

في دفع الاعتداء على سيادتهم ، وتضامن شعوب البلاد العربية معهم في جدم . وكذلك نصت المادة الرابعة عشرة على أن « لجمعية العامة أن توصي باتخاذ التدابير لتسوية أى موقف يأ كان منشؤه تسوية سامية متى رأت أن هذا الموقف قد يضر بالرافية العامة أو يعسكر صفو العلاقات الودية بين الأمم ، ويدخل في ذلك المواقف الناشئة عن انتهاك أحكام هذا الميثاق الموضحة لمقاصد الأمم المتحدة ومبادئها » . وقد سبق أن أوضحنا ما في موقف بريطانيا من مصر من انتهاك لأحكام الميثاق ، إذ تعتدى على سيادة دولة هي عضو منها في هيئة الأمم المتحدة ، وتتدخل بهذا الاعتداء في شؤونها الداخلية ، وترغم لنفسها حق حفظ السلم والأمن الدولي ، وحق اعتبار منطقة من دولة مستقلة منطقة استراتيجية .

وأحكام جميع تلك المواد التي ذكرناها ناطقة في وضوح وحلاء باحتصاص الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة بالنظر في الموقف الذي تقفه بريطانيا العصى من مصر .

ومن ناحية أخرى فقد نصت المادة الرابعة والثلاثون من الميثاق على أن « لمجلس الأمن أن يفحص أى نزاع أو أى موقف قد يؤدي إلى احتكاك دول أو يثير نزاعا لكي يقرر أمن شأن استمرار هذا النزاع أو الموقف أن يعرض لحصر حفظ السلم والأمن الدولي » .

ونصت الفقرة الأولى من المادة السابعة والثلاثين على أنه « إذا خففت الدول التي يقوم بينها نزاع من النوع المشار إليه في المادة الثالثة والثلاثين وحله بالوسائل المبينة في تلك المادة وجب عليها أن تعرضه على مجلس الأمن » . وهما نصان صريحان ينطقان باختصاص مجلس الأمن فوق اختصاص جمعية العامة ، بل إن النص الثاني منهما يقضى بوجود اختصاص مجلس الأمن ، إذ حتم رفع الأمر إليه في حالة إخفاق الأساليب الودية تحتيا .

على أن نظر مجلس الأمن للقضية المصرية الذي تنطق النصوص صريحة باختصاصه به يجب أن يحى على وجه الاستعجال ؛ إذ أن مصر قد استنفدت وسائل الإجراءات التمهيدية التي كان يصح لمجلس الأمن أن يدعوها إلى اتخاذها وفقاً لأحكام المادة الثالثة والثلاثين من الميثاق ، وهي توجب « على أطراف أى نزاع من شأن استمراره أن يعرض حفظ السلم والأمن الدولي للخطر أن يلتمسوا



حله بأدى ذى بدء بطريق المفاوضة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية ، أو أن يلجأوا إلى التوكيلات والتنظيمات الإقليمية أو غيرها من الوسائل الساعية التي يقع عليها اختيارها . ويدعو مجلس الأمن أطراف النزاع إلى أن يسووا ما بينهم من النزاع بتلك الطرق إذا رأى ضرورة لذلك .

وقد ساربت مصر بريتانيا العظمى في التماس حل نزاعهما بطريق المفاوضة . فتنبس تساع الأهوة بين الطرفين ، بل صرح سوء النية من الجانب البريتانى وتحلت سحالة المعالجة ، وهو يزعم أن منطقة قناة السويس أرض بريتانية ، وهو يقرر الحلاء ويعلقه في الوقت نفسه على شروط يتقن في أوضاع ملابساتها نفننا يجعل ذلك الحلاء المقرر مجرد حبر على ورق . وقد قضى هذا الموقف العجب من الناحية البرتانية على استساعة الالتجاء للوسائل الأخرى الواردة في تلك المادة ، وسائل التحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية ، فقد فقدت ثقة بكان الإنتاج ، ولم يبق إلا أن يتجه مجلس الأمن حين يرفع إليه النزاع لاشعه المطلق الوحيد المنصوص عليه في الفقرة الثانية من المادة السابعة وثلاثين وهو اتجاه « التوصية بما يراه ملائماً من شروط حل النزاع » .

وإذن فيكون مجلس الأمن الدولي مختصاً بنظر القضية المصرية وبنظرها على بوجه الاستعجال .

أما صميم الموضوع محل العرض على المنظمة الدولية الجديدة ، وهو النزاع الذى سبق أن رسمنا حدوده — والمنازع فيه المجلترا والمنازع مصر — ويرجع إلى أن المجلترا تزعم أن لها في هذا الركن من العالم حق حفظ السلم والأمن ، وتقول مصر بل إن حفظ السلم والأمن الدولى قد أصبح الآن من اختصاص هيئة الأمم المتحدة مجتمعة دون انفراد دولة مهما عظمت ، وتستند للتدليل على صحة ما تقول إلى نصوص قانونية صريحة واردة في الميثاق .

فقد ورد في ديباجة هذا الميثاق على لسان شعوب الأمم المتحدة قولها :

« وأن نضم قواها كي نحفظ بالسلم والأمن الدولى »  
« ولا نستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة »

كما جاء في صدر المادة الأولى من الميثاق : « مقاصد الأمم المتحدة هي :

١ — حفظ السلم والأمن الدولى »

وقد سبق أن ذكرنا نص الفقرة الأولى من المادة السابعة والعشرين التي تقول :

« رغبة في أن يكون العمل الذي تقوم به الأمم المتحدة سريعاً فعالاً ، يعهد أعضاء تلك الهيئة إلى مجلس الأمن بالتبعات الرئيسية في أمر حفظ السلم والأمن الدولي ، ويوافقون على أن هذا المجلس يعمل نائباً عنهم في قيامه بواجباته التي تفرضها عليه هذه التبعات . »

ونضيف الآن نص المادة السادسة والعشرين وهو :

« رغبة في إقامة السلم والأمن الدولي وتوطيدها بأقل تحويل لموارد العلم الإنسانية والاقتصادية إلى ناحية التسليح ، يكون مجلس الأمن مسئولاً بمساعدة لجنة أركان الحرب المشار إليها في المادة ٤٧ عن وضع خطط تعرض على أعضاء الأمم المتحدة لوضع منهاج لتنظيم التسليح . »

ولا تحتاج هذه النصوص لأي تعليق ، وهي كلها ظاهرة صريحة نافذة أن إقامة السلم والأمن الدولي وحفظهما إنما تختص به الأمم المتحدة مجتمعة ويختص بهما مجلس الأمن نيابة عن أعضاء هيئة الأمم المتحدة ، بل إن منهاج تنظيم التسليح في العالم يُسأل عن وضع خطته مجلس الأمن بمساعدة لجنة أركان الحرب التابعة له ، وهي لجنة مؤلفة من رؤساء أركان حرب الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن : المملكة المتحدة ، ولولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، وفرنسا ، والصين ، بالاشتراك ، لا باستئثار واحدة أو أكثر منهم دون الآخرين .

ولم يكتف الميثاق بتقرير ذلك المبدأ العام الذي يعهد بحفظ السلم للأمم المتحدة ومجلس الأمن بخاصة ، بل راح ينظم الوسائل التي يلجأ إليها وتلجأ إليها معه الدول المنضمة إلى هيئة الأمم المتحدة في سبيل حفظ السلم والأمن الدولي . فجاء في المادة الثالثة والأربعين :

« يتعهد جميع أعضاء الأمم المتحدة في سبيل المساهمة في حفظ السلم والأمن الدولي ، أن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن ، بناء على طلبه وطبقاً لاتفاق و اتفاقات خاصة ، ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والأمن الدولي ومن ذلك حق المرور .

« ويجب أن يحدد ذلك الاتفاق أو تلك الاتفاقات عدد هذه القوات وأنواعها ومدى استعدادها وأما كونها عموماً ونوع التسهيلات والمساعدات التي تقدم . »

#### وجاء في المادة الخامسة والأربعين :

« رغبة في تمكين الأمم المتحدة من اتخاذ التدابير الحربية العاجلة يكون لدى الأعضاء وحدات جوية أهلية يمكن استخدامها فوراً لأعمال القسر الدولية المشتركة . ويحدد مجلس الأمن قوة هذه الوحدات ومدى استعدادها والخطط لأعمالها المشتركة ، وذلك بمساعدة لجنة أركان الحرب ، وفي الحدود الواردة في الاتفاق و الاتفاقات الخاصة المشار إليها في المادة الثالثة والأربعين . »

#### وجاء في المادة السادسة والأربعين :

« الخطط اللازمة لاستخدام القوة المسلحة يضعها مجلس الأمن بمساعدة لجنة أركان الحرب . »

#### وجاء في المادة السابعة والأربعين :

تشكل لجنة من أركان الحرب تكون مهمتها أن تسدى المشورة والمعونة إلى مجلس الأمن ، وتعاونونه في جميع المسائل المتصلة بما يلزمه من حاجات حربية لحفظ السلم والأمن الدولي ، ولاستخدام القوات الموضوعة تحت تصرفه وقيادتها وتنظيم التسليح وتزعم السلاح بالقدر المستطاع ، ولجنة أركان الحرب ( المشكلة من رؤساء أركان حرب الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن ) مسئولة تحت إشراف مجلس الأمن عن التوجيه الاستراتيجي لأية قوات مسلحة موضوعة تحت تصرف المجلس . »

#### وجاء في الفقرة الأولى من المادة الثامنة والأربعين :

« الأعمال اللازمة لتنفيذ قرارات مجلس الأمن لحفظ السلم والأمن الدولي يقوم بها جميع أعضاء الأمم المتحدة أو بعض هؤلاء الأعضاء ، وذلك حسبما يقرره المجلس . »

ونصت المادة التاسعة والأربعون على أن « يتضافر أعضاء الأمم المتحدة على تقديم المعونة المتبادلة لتنفيذ التدابير التي قررها مجلس الأمن . »

وليس بلة من ذلك كله في لدلالة على حصر مهمة حفظ السلم في مجلس الأمن وتضامن أعضاء الأمم المتحدة جميعهم في سبيل تنفيذ ما يقرره هذا المجلس في ذلك الصدد .

بل إن المادة الحادية والخمسين التي فتحت الباب لمعاهدات دفاع خاص قد أخضعت هذه المعاهدات لسلطان مجلس الأمن . وقد نصت المادة على أنه :

« ليس في الميثاق ما يرد أو ينتقص الحق الطبيعي للدول ، فرادى أو جماعات ، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة ، وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي . ويبلغ المجلس فوراً التدابير التي اتخذها الأعضاء لمباشرة حق الدفاع عن النفس ، ولا تؤثر تلك لتدابير بأي حال في سلطة المجلس ومسؤولياته المستمدة من أحكام هذا الميثاق ، في أن يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذ من الأعمال لحفظ السلم أو الأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه . »

ومعنى هذا أن تلك المعاهدات يجب :

أولاً — أن يكون موضوعها الدفاع عن النفس ، لا لهجوم ولا الدفاع عن الغير .  
ثانياً — ألا تكون أحكامها نافذة إلا في حالة الاعتداء الفعلي بقوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة .  
ثالثاً — أن يكون تنفيذ أحكامها عند نفاذها موقوتاً إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي .  
رابعاً — أن يبلغ المجلس فوراً التدابير التي يتخذها المتهادون دفاعاً عن النفس .

خامساً — أن تقرر هيئة الأمم المتحدة أن المعاهدة قتلاء مع الميثاق . وحتى التنظيمات الإقليمية التي اعترف لها بحق تدبير الحل السلمي لمنازعات اعلية قد أخضعها الميثاق لرقابة مجلس الأمن ؛ إذ نصت المادة الرابعة والخمسون على أنه :

« يجب أن يحاط مجلس الأمن في كل وقت إحاطة تامة بما يجري من الأعمال أو يزعم القيام به منها بمقتضى تنظيمات إقليمية أو بواسطة توكيلات إقليمية لحفظ السلم والأمن الدولي . »



وهكذا يتداعى الأساس الذى تقيم عليه المحتر دعواها العريضة فيما يتفق بحفظ السلم فى الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط .

ثم تزعم إنجلترا أن لها حق تنظيم لدفاع عن شريان مواصلاتها الإمبراطورية وأن فى سبيل ذلك تعتبر منطقة القناة أو مصر كلها منطقة استراتيجية . ولا يصح الميثاق على المناطق الاستراتيجية إلا فى صدد الأقاليم الخاصة لنظام الوصاية .

وقد نصت المادة الثانية والثمانون على أنه :

« يجوز أن يحدد فى أى اتفاق من اتفاقات الوصاية مساحة استراتيجية قد تشمل لإقليم لذى يطبق عليه نظام الوصاية بعضه أو كله . »

ونصت المادة الثامنة والسبعون من ناحيتها على أنه :

« لا يطلق نظام الوصاية على الأقاليم التى أصبحت أعضاء فى هيئة « الأمم المتحدة » ؛ إذ يجب أن تقوم العلاقات بينها على احترام مبدأ المساواة فى السيادة . »

وحتى تلك المساحات الاستراتيجية التى لا يمكن قيامها إلا فى إقليم خاضع لهذه الوصاية يقوم عليها مجلس الأمن بحكم الفقرة الأولى من المادة الثالثة والثمانين التى تقول :

« يباشر مجلس الأمن جميع وظائف الأمن المتحدة المتعلقة بالمناطق الاستراتيجية . »

وذن فلا سند لإنجلترا فى هذا لزعم الثانى الخاص بالمطقة الاستراتيجية بل إن كل النصوص صارخة بصفاقة القائلين به .

بقى أن إنجلترا تذكر أنها ، إذ تحافظ على السلم فى هذا الركن من العالم ، وإذ تقيم فيه بمفردها مناطق استراتيجية ، إنما تعمل ذلك بصفة موقوتة ؛ لأن « هيئة أركان الحرب التابعة لمجلس الأمن لم يتم تأليفها بعد ، ولم تنظم وسائل محافظتها على الأمن بعد » .

وقد نسيت المحلثرا أن الميثاق قد احتاط لهذا الطرف فنصر في مادته لسادسة  
بعد المئة على ما يأتي :

« إلى أن تصير الاتفاقات الخاصة المشار إليها في المادة الثالثة والأربعين  
معمولا بها على الوجه الذي يرى معه مجلس الأمن أنه أصبح يستطيع البدء في  
احتمال مسؤولياته وفقاً للمادة الثانية والأربعين ، وتشاور الدول التي اشتركت  
في تصريح الدول الأربع الموقع عليه في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٣ هي وفرنسا  
وفقاً لأحكام الفقرة الخامسة من ذلك التصريح ، كما تشاور الدول الخمس مع  
أعضاء الأمم المتحدة الآخرين ، كلما اقتضت الحال ، لتقييم نيابة عن الهيئة بالأعمال  
المشتركة التي قد تلزم لحفظ السلم والأمن الدولي »

ولكن انجلترا لا تعهد — على الرغم من ذلك كله — أن تمحاح مصر  
بقيام معاهدة ١٩٣٦ التي أغدقت عليها أحكامها العسكرية ما شددت مما تريد أن  
تستسك به استمسكا . وتسمى انجلترا هذه المرة أيضاً أن المادة الثالثة بعد  
المئة من الميثاق قد قضت على هذه المعاهدة وهي لم تشمل إلا التزامات متعارضة  
التعارض كله مع الالتزامات الجديدة التي يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة .  
والمادة نقول :

« إذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقاً لأحكام  
هذا الميثاق مع أي التزام دولي آخر يرتبطون به ، فالعبرة بالالتزامات المترتبة على  
هذا الميثاق . »

وإذن فليست الملابس والنصوص قاضية باختصاص هيئة الأمم المتحدة ،  
جميتها العامة ومجلس الأمن فيها بالمظار في النزاع المصري الإبحاري ، ونظره  
على وجه الاستعجال لحسب ، بل إن تلك الأساليب والنصوص لتقضي كذلك  
بالاطمئنان إلى أن قرار الأمم المتحدة إذا رفع إليها النزاع سيكون حتماً في  
صالح مصر .

محمد عزمي

## سوانح الزروب

على النيل

ويح نفسي من طائف التذكار  
ويح نفسي لدى الأصيل وقد أذ  
ويح نفسي وقد جلست على النية  
شد ما كان من عبادتنا التي  
هو هذا النهر العظيم الذي أس  
قد حرمت الجلوس في شاطئيه  
وعلى شطه البعيد مصايه  
تتقرئين في حشاه تعار  
والصبيخين للخير يناغي  
لا تمكين لو أفتت إليالي  
ويح نفسي ، يا ويحها ، ما على الآه  
أرمق النهر ، لو يرى النهر سام  
كيف أنست زوجي؟ وفي أي حال؟  
ما أراها في جنة الخلد إلا

ساعة الشجنور عند موت النهار  
كرنيك أنطفاه هذى النار  
ل وحيداً ، وكنت من قبل جاري  
ل كأنما في غابر الأعصار  
لاك حباً عن سائر الأنهار  
وسراج الظلام في الأفق صار  
ح تراءت في لجه الموار  
ح سطور مهترقة الأنوار  
ك بلحن من عالم الأسرار  
أبدأ ها هنا بذلك الجوار  
دار لو عشت - ما على الأقدار  
غائب الحسن شارد الأفكار  
أين صارت بعد امتناع المزمار؟  
عند نيل في جنة الخلد جار

عبد الرحمن صرقي

## بين الحرب والجغرافيا

### دوافع الحرب وأهدافها في أوروبا

أوروبا قارة صغيرة ؛ بل إن كثيراً من الجغرافيين لا يسمونها بلاتى أنها شبه جزيرة كبير يمتد من قارة آسيا ويتفرع عنها . وهي فوق ذلك تقع في منطقة متطرفة في أقصى شمال غرب العالم القديم ؛ ولم يبرز شأنها وتوضح قيمتها بين القارات الأخرى إلا منذ عهد النهضة الحديثة فهي فيما عدا أطرافها الجنوبية في بلاد اليونان وإيطاليا وأسبانيا لم تلعب دوراً يذكر في تاريخ العالم القديم أو الوسيط ؛ بل هي من حيث تاريخها الثقافي العام بقيت عالة على غيرها ، لاسيما بلاد الشرق التي ظهرت فيها الأديان السماوية ولوان الفكر والثقافة القديمة و السيطرة ، ثم انتشرت إلى أوروبا . ومع ذلك كله منذ عهد النهضة الحديثة و ظهور الصناعة التي تعتمد على الآلات والقوى المحركة بررت أوروبا حاجة ، وقبضت إلى القمة ، فأصبحت القارة المسيطرة على الشؤون العالمية ، بل القارة الأولى من حيث توجيه حياة العالم في ميادين الحضارة المادية والعلاقات الدولية بين الأمم والشعوب .

وليس هذا مجال الإفاضة في أسباب بروز أوروبا المفاجيء ؛ ولكن يكفي أن ننظر نظرة عامة إلى تطور مدنية الإنسان على سطح الأرض ، فنجد أن المدينيات القديمة كانت في جملتها قائمة على أساس الزراعة كما هي الحال في مصر والعراق والصين ، وعلى أساس التجارة كما هي الحال في اليونان القديمة . ومع أن الصناعة كانت مزدهرة في تلك الأيام ، فقد كانت كلها تقوم على المهارة الصية والحدق الشخصي أكثر مما تقوم على استغلال قوى الطبيعة الآلية . وقد سحر الإنسان بعض تلك القوى الطبيعية في العصور القديمة والوسيط ، كالريج والمياه الجارية ومساقط الماء ؛ ولكنه كان تسخيراً محدوداً يقوم على استغلال القوى في حالتها الطبيعية . أما في عهد النهضة الصناعية الأوروبية ، فقد تعلم الإنسان لأول مرة أن يحول الحرارة إلى طاقة ، وأن يستخدم تلك الطاقة كقوة محركة تد



## دوافع الحرب وأهدافها في أوروبا

١- آلات التي تعمل في الإنتاج أو في النقل والحركة . وقد وضع هذا الاختراع - أو السلسلة من الاختراعات - في يد الإنسان سلاحاً سحر به موارد الطبيعة و أقوى الطبيعيات نحو لم يكن ميسوراً من قبل ، وفي نطاق تغير معه كل شيء في الصناعة والإنتاج ، وفي الاتصال والتبادل ؛ بل تغيرت معه أسس الحياة الاقتصادية في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة جميعاً ، وأصبح هذا العصر الجديد يسمى بحق « عصر الآلات » .

وكان من حظ أوروبا أن كثرت بها موارد القوى ، وأهمها الفحم الحجري ، وكذلك المعادن التي تستعمل في الصناعة ، وعلى رأسها الحديد . وبذلك توافرت لمعاصر التي تقوم عليها المدنية الصناعية الحديثة ؛ وأصبحت أوروبا بحق أسبق صارت وأولاهها في ميدان الصناعة ؛ وكان ذلك مصدر خير كثير بالنسبة لها ، وإن كان قد أدى إلى انقلاب خطير في حياتهم . ولكن الشيء المهم في كل حال أن النهضة الحديثة قد صحبها وتنتج عنها نشاط خطير بين أمم القارة التي تساقطت في ميادين الصناعة وما يتصل بها ويترتب عليها من توسع استعماري وتكاثف من أجل مناطق إنتاج المواد الخام التي تغذي المصانع بما لا تنتجه أوروبا ، ومن أجل أسواق التجارة التي تصرف فيها المصنوعات . وهكذا اتسعت رقعة الاختلاف ، ولم تقصر على أرض أوروبا ، وإنما تعدت إلى ما وراء البحار ؛ و انتهى ذلك إلى أن أصبح لعدد من أمم أوروبا مصالح مادية فيما صار يعرف بالمستعمرات ومناطق النفوذ . وقد بدأت تلك المصالح في كثير من الأحيان تحركة واقتصادية طامعة ، ثم صارت بالتدريج سياسية وعسكرية . وهكذا نشأ بين المصالح ، وتعددت أسبابها بين المناطق المعتدلة الباردة في أوروبا والمناطق الحارة والدموية بل والمعتدلة في غيرها من القارات ، واشتد اتصال تلك المصالح خاصة أوروبا ومشكلاتها الدولية على مر الزمن ؛ حتى إذ ما لمع التسابق من أجل اتوسع الاستعماري الأوروبي ذروته في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ، كان ذلك نذيراً بما انتهى إليه الأمر في الحرب العالمية التي بدأت عام ١٩١٤ ، والتي استطيع أن نقول إن العالم لا زال في أعقابها حتى اليوم .

و لحق أن أوروبا بنهضتها الصناعية ، ومواردها الغنية في الإنتاج الآلي ، ومصالحها المادية المتشابكة في أقصى الأرض ، وطامعها لاستعمارية فيما وراء البحار ، ثم برغبتها الملحة في إشباع هذه الأصعب ، و إضافة ثروة العالم إلى ثروتها

## دوايق الحرب وأهدافها في أوروبا

واستكمال مواردها من موارده . . . كل ذلك قد جعل أوروبا المسؤولة الأولى والأخيرة عن هذه الحرب التي استعمر لهيبتها فشكل العالم ، والتي اضطرت نيرانها وامتدت ألسنتها في نترتين ، إحداهما ما بين عامي ١٩١٤ ، ١٩١٨ والأخرى ما بين ١٩٣٩ ، ١٩٤٥ . وقد شبهناها في مقال سابق بالجولتين في عراك واحد عنيف ؛ لم تكن أولاهما حاسمة ، وفي حين قضت الثانية على أحد الخصمين قضاء يمدو كأن لا قيام له من بعده إلى سنوات عدة قادمة .

وقد عالجنا في المقال السابق خطط تلك الحرب وآثارها ونتائجها في إقاييم من العالم يهمنا بصفة خاصة ، هو الشرق الأوسط ، الذي يربط إلى حد كبير ما بين أوروبا ومصالحها الاستعمارية في الشرق وحول البحار الدفينة في الجنوب . ويعيننا الآن أن نعالج دوايق تلك الحرب واتجاهاتها في أوروبا ذاتها . . . تلك القارة الصغيرة التي ساهمت بمواردها الطبيعية ونشاط سكانها في تقدم المدنية المادية الحديثة مساهمة فعالة ، جعلت لها ولأهلها المسكاة الأولى بين القارات وبين الأمم ، ولكنها مع ذلك كانت — ويغلب على الظن أنها ستبقى إلى جيلين أو أجيال أخرى قادمة — مصدر بلاء وحروب عالمية تكتوى بنيرانها الإنسانية حتى في أبعد البلاد عن أوروبا ، بل وفي الجزر البائية التي لا يكاد أهلها يعرفون عن أوروبا أكثر من أنها موطن ذلك الرجل الأبيض ، الذي هبط عليهم من حيث لا يشعرون ، والذي أقحم نفسه في شؤونهم وحياتهم من حيث لم يدعه أحد . ولكننا قبل أن نستعرض مختلف أجزاء تلك القارة وأممها المحاربة وميادينها العسكرية ، ينبغي من الناحية الجغرافية والبشرية العامة أن نميز بين جنوب القارة وشمالها . ففي الجنوب يسود مناخ البحر الأبيض المتوسط ، وهو مناخ معتدل منتظم يمكن التنبؤ بتقلباته في غير كثير من العناء . ولا يفرض هذا النوع من المناخ على من يعيشون فيه أن يكونوا مكافئين بطبيعتهم ؛ إذ هم يستطيعون مثلاً أن يقضوا معظم أشهر الصيف في العراء ، وهم يستطيعون بقليل من الجهد أن يتقوا برد الشتاء وأمطاره المتوسطة أو القليلة ، كما أن أشعة الشمس ودفء الهواء ورقته وجفافه تبعث كلها فيهم روح المرح وشيثا من روح الاسترخاف بالحياة . فأما شمال القارة وشمالها الغربي فمناخه بارد مطير

## دوافع الحرب واهدافها في أوروبا

كثير القلب ، تنازعه مؤثرات المحيط الماطنة ، ومؤثرات القارة المطرفة . وقد ترتب على ذلك ، وعلى كثرة الروايع والأعاصير بصفة خاصة ، أن أصبح ذلك المناخ فاسياً غير معتدل ولا مصموم ؛ فزود كثير التقلبات من يوم إلى يوم ، بل من ساعة إلى أخرى . وقد عثم ذلك المناخ سكان الإقليم الحذر وبعد النظر ، كما علمهم الكفاح من أجل الحياة ؛ إذ لا يمكن أحداً أن يعيش في العراء ، ولا أن يتقى خطر النقص وتقلب الجو من غير مسكن صالح متين البناء ، ومن غير منس وغذاء كافيين ، في ذلك المناخ الشمالى الذى لا يعرف حياة الكفاف ولا يسمح بها . لذلك استلزم قيام المدنية في هذا القسم من أوروبا أن تتعلم الشعوب هناك الكفاح والنصل ضد الطبيعة القاسية . وقد انعكس ذلك في حياتهم وفي حروبهم بصفة خاصة . ولعل ذلك يتضح لنا في صورة جليلة إذا ما نحن قارنا ما حدث خلال هذه الحرب المنتهية في حالة العناصر اللاتينية من جهة ، ولعناصر الانجلوحرمانية والصقلبية الشمالية وغيرها من سكان شمال أوروبا من جهة أخرى . فقد كان كفاح الأولى على الجملة قاتراً في روحه محدوداً في مداه ، وتمثل ذلك بصفة خاصة في حالة الإيطاليين ، على حين صابر أهل الشمال وجاهدوا حتى النهاية المرة . ولو أن البريطانيين مثلاً كانوا من عنصر اللاتينيين وعجيتهم ما كانوا في ساعة المحنة الكبرى ، عندما رقت حبل الأمل حتى كادت شعرته تنقطع . كذلك لولا روح المغامرة وطبيعة الكفاح ما وقفت فنلندة في وجه روسيا مرتين في هذه الحرب ، وما نابرت وصارت حتى النهاية أو ما يقارب النهاية . بل لولا هذه الروح وتلك الطبيعة ذاتها ما كابر أهل بولندة وضجوا إلى آخر رمق ، ولما ثبت الروس . أنفسهم في كفاحهم الطويل ضد خصمهم المكافح وعدوهم الجبار العنيد .

وإذا نحن تتبعنا أثر العوامل الجغرافية في مختلف أقطار أوروبا وشعوبها ، لاسيما تلك التى كان لها دور خاص في هذه الحرب ، فإننا نجد في هذه الدراسة معينين على تفهم كثير من أحداث الحرب واتجاهاتها الكبرى ، تفهماً صحيحاً ، نبرز به علاقة الحرب بالميدان الذى تجرى فيه ، كما يبرز الدور الذى قام به كل شعب من الشعوب المحاربة الكبرى ، ومقدرته على النضال والمصابرة في الكفاح . وقد يكون من المفيد أن نختار أمثلة من مختلف الأقطار والأمم ، حتى نخرج بصورة عامة تمثل القارة في مجموعها تمثيلاً صادقاً وشاملاً في الوقت نفسه .

## دوافع الحرب وأهدافها في أوروبا

وبحسن أن يبدأ الجزر البريطانية وسكانها، لا شيء إلا لأن هذه الجزر الصغيرة قامت بدور أساسي وخطير في الحرب. وهي إنما كتب لها أن تقوم بما قامت به في تاريخ أوروبا الحديث، وفي صلات القارة بالعالم الخارجي؛ لتوفر عدد من أعوام الجغرافية مكنت لبريطانيا من أن تلعب ذلك الدور الممتاز. فهي جزيرة وحرر غنيته ثروتها المعدنية لآسيا الفصحى التي قامت على أساسه نهضتها الصناعية، ويفصلها عن القارة بحر الشمال وبحر المانش وميهما الضيقة التي لم «تقطع» صلة بريطانيا بالقارة، وإنما «بطمت» تلك الصلة، وظهر هذا التنظيم في نواح متعددة؛ منها أن بريطانيا عندما عثرت بالسكان من القارة لم يهاجر إليها كل من هب ودب، وإنما كانت موجات الهجرات تأتي من الشرق ومن الجنوب الشرق إلى شواطئ القارة في مقابلة الجزر البريطانية، فلا يفكر في استمرر المهاجرة بالبحر إلا العناصر المخاطرة، لآسيا أن الملاحة في مضائق المانش لم تكن سهلة على مدار العام، وإنما زاد من صعوبتها شدة التيارات البحرية ووجود الأعاصير الشتوية. ولذلك كان لبحر لاهجرات البشرية بمثابة المصفاة؛ فلم يصل بريطانيا على أجملة إلا العناصر التي لم يغارها البحر ولم يحل بينها وبين أن تستكشف ما وراءه، فتركت القارة إلى الجزر التي يحيط بها البحر من كل جانب. وهكذا وصلت هذه الجزر موجات متتابعة من السكان القدماء، والنومانيين والأينجوسكسونيين والمورس وغيرهم من مخاطرى البحار الذين جمعوا في تلك الجزر وأخذ بعضهم يخاطب بعضا، حتى تلف منهم هذا العصر البريطاني المختلط والممتزج، في إنجلترا وبلاد الغال وأسكتلندا وإيرلندا وما يقع بين الجزيرتين الكبيرتين وحوطها من جزر صغيرة. وكلما كانت طبيعة هذا العصر وحيه للمخاطرة عاملاً فعالاً في تاريخه الحديث، عندما حانت الفرصة لتوسع والاستعمار فيما وراء البحار، فاطلقت ذرية أولئك المخاطرين القدماء إلى أراضي الأرض في أميركا وأستراليا وحبوب إفريقيا وغيرها حتى نحو لم يسبق له مثل في تاريخ انتشار الشعوب. كذلك كان احتلاط السلالات في بريطانيا عاملاً من عوامل القوة في المجتمع البريطاني؛ إذ أنه أدى إلى تنوع الملكات ونواحي لاستعداد الفطري، فتشعب نشاط سكان بريطانيا في الصناعة والتجارة والحرب وغيرها من ميادين العمل والإنتاج والكفاح.

كذلك كانت الجزر البريطانية مدرسة بحرية تعلم فيها السكان حياة البحر

## دوافع الحرب وأهدافها في أوروبا

خلال حيل موله متعاقبة . فلما جاء العهد الحديث ، وبرزت أهمية البحار في المواصلات لعالمية ، صارت بريطانيا سيدة هذه البحار وصاحبة الأسطول الأول في التجارة والحرب على السواء . بدأت بهزيمة أساطيل الأسبان وغيرهم من العاصم البحرية الأوروبية ، ثم تحكمت في المواصلات البحرية بين أوروبا وأمريكا بحكم موقعها الجغرافي بين الاثنين من جهة ، ومقدرة ملاحيتها وتجارها من جهة أخرى . ثم صارت بعد ذلك القوة البحرية الأولى غير منازعة ، حتى أخذت منها أمريكا زعامة البحار وسيادتها بالتدرج خلال الجيل الأخير ، ولأسباب تصل بموارد الولايات المتحدة وكندا في المادة وعدد السكان ، أكثر مما تصل بضعف بريطانيا أو انحلال قواتها البحرية .

وفوق ذلك فقد نظم البحر الذي يقوم بين بريطانيا واليابس الأوروبي علاقات تلك الجور بأوروبا من ناحية الحرب ذاتها ، فجعل غزو تلك الجزر صعباً . ولذلك لا يذكر التاريخ إلا عدداً قليلاً من الغزوات إلى بريطانيا في العصور مدممة والوسطية ؛ منها غزوة بوليوس قيصر عامي ٥٥ ، ٥٤ ق . م ، وغزوة وايم الفاتح عام ١٠٦٦ م . كذلك شاركت بريطانيا في العصر الحديث في مشكلات نادرة وحروبها الكثيرة ، ولكن الحرب كانت تقع دائماً خارج أراضيها ؛ فهي تبي أعداءها إما على البحار وإما فوق أراضي القارة في الأراضي الوطيدة وفرنسا وسبانيا وغيرها . فأرضها لم تكن في يوم من الأيام ميدان حرب أوروبية ؛ لذلك لم يصيبها ما يصيب تلك الميادين من دمار وتخريب . حتى في هذه الحرب التي انتهت منذ عام لم يكن ما أصاب بريطانيا من جراء تغير الأحوال وظهور أثر لهجوم الحوى في الحرب إلا جزءاً يسيراً مما أصاب أرض القارة ومدنها ومواصلاتها ، ومرفقها المختلفة في الحياة المدنية . وهكذا استطاعت بريطانيا نفس هذه المنزة أن تخرج من كل حرب سليمة المرافق ، قادرة على متابعة حبيبها إمدادية وإنتاجها الاقتصادي ؛ على عكس غيرها من الأمم والأقطار التي كتوت مدنها وقراها ومصانعها بل حقولها بنيران الحرب في الميدان ، مكات بريطانيا بذلك أسبق إلى النهوض في السلم ؛ لأنها كانت تخرج في أعقاب الحروب — فيما عدا هذه الحرب الأخيرة — دون أن تمس أرضها بشيء .

إلى هذه الأسباب جميعاً يمكن أن نرجع ما أصاب بريطانيا في تاريخها الحديث من نجاح وتوفيق في حروبها الأوروبية ؛ لا سيما أن عامل الزمن كان إلى



## دوافع الحرب وأهدافها في أوروبا

جانبا ؛ فهي قد سبقت غيرها من ثم أوروبا الكبرى في التوسع الاستعماري ، وهي قد استطاعت أن تبني إمبراطوريتها المترامية الأطراف قبل أن تظاير بعض الأمم الأوروبية الكبرى إلى الوجود ، وقبل أن تبرز حاجتها وأطماعها الاستعمارية . وقد ترتب على هذه الأسبقية في الميدان الاستعماري أن تجمع لبريطانيا من الموارد المادية والمواقع العسكرية العالمية ما كان لها عوناً وسنداً في السلم والحرب على السواء . ثم إنها بتوسيعها هذا في آفاق الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، قد قطعت الطريق على غيرها من ثم أوروبا ، التي طلع عليها العهد الحديث بمواصلاته السريعة وعلاقاته الدولية المعقدة ومقنناته الاقتصادية الملحة ، فألقاها - أو ألقي كثيراً منها - محصوراً داخل نطاق من الحاد والرياسة التي لا تسمح بالتوسع إلا على حساب الأمم المجاورة ، وإلا في مدى ضيق تراق من دونه دماء الألوف بل دماء الملايين . . . . . فأرض أوروبا التي تقاس بالشبر ليست نهياً رخيصاً كما هي الحال في أرض المستعمرات ا

ولعل أظهر مثال لهذه الدول الأوروبية التي جاءت متأخرة في نشأتها القومية وتوسعها هي ألمانيا ، التي لم تستكمل وحدتها إلا أيام سمر ك . وقد دامت بعد ذلك ميدان الاستعمار ، فنالت بعض الأراضي في شرق إفريقية وغربها وبعض جزر المحيط الهادى ، ولكنها لم تكن لتناظر بذلك ما سبقتها إليه دول أوروبا الغربية ، حتى الدول الصغيرة مثل هولندا والبرتغال ، التي وصلت الميادين ، بكثرة واحتفظت بما وضعت أيديها عليه من غنائم رخيصة . أما ألمانيا مع قوتها في الموارد وتعدادها في الرجال فقد جاءت متأخرة ، واضطرت من أجل ذلك إلى أن تناضل في توسيع مجملها الحيوى في أوروبا ذاتها ؛ وكان عليها ، منذ أن حددت علاقاتها السياسية بالنمسا ، واتخذت كياناتها السياسى البروسى المستقل ، أن تبدل جهد المستبئس لتدفع حدودها السياسية ومناطق نفوذها الاقتصادى ناحية الغرب أو ناحية الشرق . فأما في الغرب فقد كان التوسع عسيراً ؛ فدول أوروبا الغربية قد سبقت ألمانيا ذاتها إلى الاستقرار السياسى ، وإلى شئ كثير من التقدم الاقتصادى الذى لا يفيد معه أن تحاول ألمانيا السيطرة على مرافقها الحيوية . وأما في الشرق فقد كان الميدان مفتوحاً أمام ألمانيا في اتجاهات ثلاثة : الأول ناحية بروسيا الشرقية وسواحل البلطى حيث كان الفرسان التوتون قد توسعوا من قبل ووطدوا نفوذهم الاقتصادى ، فامتلكوا المساحات الواسعة

## مواقع الحرب وأهدافها في أوروبا

من الأراضي وسيمجروا السكان الأصليين من جورين في تلك المزارع التي تذكرنا الحلة فيها إند الإقطاع. والاتجاه الثاني في ناحية بولندة والروسيا، وقد استقر الألمان المزابدون في العدد في كثير من بقاع بولندة الغربية، كما أن جماعات منهم رحلت إلى قلب روسيا القديمة وجنوبها، واستقرت هناك تعمل في الصناعة وغيرها من نواحي الإنتاج. ثم الاتجاه الثالث ناحية بوهيميا وبعض أراضي النمسا والمجر القديمة في اتجاه البقان. ومن الممكن اعتبار توسع الألمان في هذه الاتجاهات النازئة جميعاً استعماراً بالمعنى الفعلي للكلمة، وإن لم يطلق عليه ذلك المفظ تمييزاً له من حركة الاستعمار المعروفة في خارج القارة الأوروبية.

وهكذا حاولت ألمانيا أن تستفيد من موقعها الجغرافي في قلب القارة الأوروبية، ومن احسكها الاقتصادية والسياسي بالدول المجاورة، لا سيما في الشرق والجنوب. ولكنهما عندما عمدت إلى التوسع المسلح وجدت نفسها مضطرة إلى أن تحارب في أكثر من جهة واحدة؛ ففي الغرب كانت أمم قديمة ذات مقدرة تقليدية على الدفاع، ولا يمكن قهرها بصفة دائمة؛ وفي الشرق والجنوب كانت بلاد فسيحة وجهات لا تحدها معالم واضحة، وإنما هي ذات شعب كثيرة تنفذ الجهود، ولا يسهل معها التركيز في الهجوم، ولا حتى في الدفاع. فاما الروسية، وهي ثلاثة الدول الكبرى في النضال الأوروبي الأخير، فكانت تحتل شرق أوروبا، وتمتد وراء ذلك في آسيا. والروس كثرتهم من الصقلية، الذين امتازوا في كل تاريخهم بأنهم شعب برى لا يحب البحار ولا يسمى إليها إلا مكرهاً، قد تحاشى عند ما انتشر وعمر شرق القارة أن يقرب لبحار، ولم يحاول التسلط على المضايق البحرية إلا متأخراً. فالصقلية الجنوبيون في يوجوسلافيا مثلاً قد تجنبوا ساحل دلماسيا القديم وموابيه التي احتلها الطارن، مثل تريستا وغيرها. والصقلية الشماليون قد ابتعدوا عن سواحل بحر المظلى التي تقدم إليها التيوتون والفينييون وغيرهم من سكان الولايات البلشبية. والروس الجنوبيون وإن كانوا قد أصلوا على البحر الأسود، فهم لم يشتغلوا فيه كثيراً بالملاحه، ولم توفق جهودهم التاريخية في أن يضعوا أيديهم على مائة إلى البحر المتوسط. لذلك كله فإن هؤلاء الصقلية لم يشاركوا بشئ يذكر في توسع أوروبا البحرية نحو المستعمرات، ولم ينشأ بينهم وبين أمم أوروبا الغربية ذات الصبغة البحرية من الاحتكاك مثل ما نشأ بين هؤلاء الآخرين

## دوافع الحرب وأهدافها في أوروبا

وبين الألمان . . . ذلك الاحتكاك الذي ترتب على محوثة ألمانيا تقوية سطوها وتمكين مصالحها فيما وراء البحار ، مما انتهى إلى حرب بينهما ومن بريطانيا آخر الأمر .

على أن مجال لتوسع البرى كان مفتوحاً أمام روسيا نحو الشرق . وقد بدأت بعد سكة حديد سيبيريا المعروفة ، ثم انتشر القوراق وغيرهم واستعمروا سهول سيبيريا وآسيا الداخلية ، حتى وصل الروس إلى منشوريا والولايات البحرية المفضلة على المحيط الهادى حيث احتكوا باليابان في مطلع القرن . وكذلك حاوت روسيا أن تتوسع بالبر نحو الجنوب الشرقى إلى أرض إيران ، وفي اتجاه أفغانستان والهند ، حيث اصطدمت بالنفوذ البريطانى اصطداماً لم يُلطف من حدته إلا اتفاق عام ١٩٠٧ على تقسيم مناطق النفوذ في إيران .

وأما فرنسا ، وهى رابعة الأمم الكبرى في أوروبا ، فتتبع عند الطرف لآخر من اليابس الأوروبى من ناحية لغرب ، حيث تنتهى الطرق الآتية من البحر المتوسط ذى المدنية العريقة والحياة المستقرة القديمة ، وتلك الآتية من فب القارة الذى لم تنفذ إليه المدنية إلا حديثاً ، والذى لم يكد يستقر بالحياة حتى فجأته النهضة ، وما جاء فى أعقابها من اضطرابات وحروب وقلق فى الحدود السياسية والعسكرية بين الأمم . وتنتهى تلك الطرق جميعاً إلى الشواطئ المواجهة لبريطانيا التى تتحكم فى المداخل البحرية إلى اليابس الأوروبى ، وفي صلات أوروبا بما وراء البحار . وقد ساهمت فرنسا فى وقت متقدم فى حركة التوسع الأوروبى إلى المستعمرات . وحاولت فى ذلك أن تنافس بريطانيا حيناً ، وأن تجرم حيناً آخر ، ولكنها لم تقز من توسعها إلا بنصيب أقل كثيراً من نصيب سيدة البحار . ذلك أن فرنسا كانت ، بحكم موقعها الجغرافى بين القارة والبحر ، تتجذب سياسة الاستثمار من جهة ، وسياسة المشاحنات القارية والارتباطات الدولية الأوروبية من جهة أخرى . وهى فوق ذلك كانت بحكم موقعها الجغرافى أيضاً ميدان حرب سعت إليه جيوش الأعداء والحلفاء على السواء ، من الشرق أو من الغرب أو من وراء البحار . وتمثل ذلك على الخصوص عندما بدأ الطموح يدفع بالعنصر الجرمانى إلى التوسع نحو الغرب ونحو البحار ، فاصطدم أولاً بفرنسا ذتها اصطداماً ناجحاً فى عام ١٨٧٠ ، ثم بفرنسا وبريطانيا معاً اصطداماً غير ناجح فى الحرب العالمية الأخيرة بحولتها فى عوام ١٩١٤ - ١٩١٨ ثم ١٩٣٩

## دواعي الحرب وأهدافها في أوروبا

١٩٤٥ . ولعل الطريف في هذا الصدام الأخير بشقيه أن فرنسا دأبت منه باتن الأكبر من حيث التحريك ؛ فكانت أرضها ميدان قتال عيف خلال سنوات طويلة ، عند ما اكتسحتها جيوش الألمان في حروبها الحاصفة وغير الحاصفة ضد الحلفاء ، وعند ما اتخذها بريطانيا وحلفاء الغرب ميداناً يقايلون فيه أعداءهم على القارة ، وينفذون منه إلى الأراضي الوطیئة والغرب ألمانيا من جهة ، وإلى حدود إيطاليا وشمالها من جهة أخرى .

تلك أمم أوروبا ، والعوامل الجغرافية والبشرية التي كيفت توسعها الحديث ، ووجهته توجيهاً كان له أبعد الأثر فيما قام في تلك القارة من مشكلات خلال نصف الثاني من القرن المنصرم ، وهذا القرن الذي لعب فيه . ولكن هناك نمط آخر ثرت فيها عوامل مثالية أو مختلفة ؛ منها الأراضي الوطیئة التي كانت في الدوام حلقة الاتصال بين ألمانيا من جهة ، وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى . وكانت طريق التوسع العسكري من جانب ألمانيا ، وحررت عن أراضيها ، لاسيما من ألمانيا ، معارك تاريخية متكررة ؛ ولذا استمكنت بريطانيا باستقلالها ، وبأدى بعض البريطانيين ، أن حدود بلادهم العسكرية إنما تقع على ضفاف الرين . وغير الأراضي الوطیئة هناك بلاد البلقان ، التي تتعقد فيها الطبيعة وتتعدد تبعاً لداك حياة السكان وأحوالهم ، بحيث أصبح شبه الجزيرة يعرف بمتحف الأحاسيس والثقافات في أوروبا . فهناك تحتل السلالات ولا يمزج بعضها ببعض ، وتتكاثر لثقافات ولا يتسق بعضها مع بعض . وهناك تشابك الحدود السياسية فلا تتشبي مع حدود الطبيعة ، ولا حدود الجنس ، ولا حدود الثقافة ، ولا حدود المصالح الاقتصادية . وهناك تتمازج تيارات النفوذ الدولي ، فتسمى كل من ألمانيا وروسيا وإيطاليا وحتى دول الغرب لأن تكون لها يد وتوجيه في شئون العالم . ولذلك كله كان هذا الركن من أوروبا موطن اضطراب دائم ومصدر مشاحنات ومنازعات ، كثيراً ما انتهت إلى إشعال الحرب بين الأمم الكبيرة . ، إيطاليا فكانت تمثل دولة حديثة ، بل آخر الدول الحديثة ظهوراً في ميدان لاوربي . وكانت بحكم موقعها الجغرافي ذات أهمية خاصة في كل كفاح يشهده على القارة ، ويمد إلى حوض البحر المتوسط . وقد جاء دورها في الاستعمار الخارجي متأخراً ، فلم تصب إلا ما تبقى وزهد فيه الآخرون . ولكنها في العهد النازي تهيأت بعض الأرض فوضعت يدها على الحافة ، وأحيت آمالها في

## دواع الحرب وأهدافها في أوروبا

التوسع نحو البلقان ، بل سرى الخيال بسادتها وقادتها إلى أن يفكروا في استعادة مجدها الروماني القديم . ومع ذلك كله فإن إيطاليا على الحلة لم تكن موفقة فيما ساهمت فيه من حروب حديثة على أرض القارة . وربما كان مرجع ذلك ، أو أحد مراجعه ، أنها حاولت أكثر مما تستطيع ، خشرت نفسها بين جبايرة الحرب حشراً ، وكانت في ذلك كالمهر يحكي الأسد . وقد ينفعنا في هذا الصدد أن نلاحظ نقطة ضعف خطيرة في تكوين هذه الدولة القومية ؛ فهناك فارق كبير بين شمال إيطاليا حيث الثروة الزراعية والصناعية ، وحيث مستوى المعيشة والثقافة لا يكاد يفتقر عنه في بقية أجزاء أوروبا الغربية ، وبين جنوبها حيث الجفاف والفقر والمرض ، وحيث ينحط مستوى المعيشة إلى حد لا تعادله إلا حال فقر أجزاء القارة . وقد أدى التفاوت بين الشمال والجنوب في هذه الدولة الناشئة إلى عدم الاتساق والتكافؤ بين شطري الوطن الواحد ، بل بين شطري الشعب الواحد . وكان ذلك عامل ضعف خطير كامن في كيان إيطاليا والأمة الإيطالية ؛ لعله أن يكون — إلى جانب فقر البلاد العام من حيث مقومات الحياة الصناعية الناهضة — مصدر ما انتهى إليه الأمر ساعة المحنة من تصدع وتفكك وتحلل .

من هذه الأمم جميعاً وغيرها من الأمم الصغيرة والمتوسطة تألفت قارة أوروبا ، خاضت قارة معقدة التركيب متباينة التكوين من المواحي الطبيعية والشرعية على حد سواء ؛ فلا هي مؤلفة من أمم متمايزة ، لكل منها توجيهاً الجغرافياً ، ومناخاً ، وثقافة ، والحضارة التي تختلف به عن بقية الأمم ؛ كما هي الحال في آسيا حيث الصين والهند وجنوب غرب القارة (العالم العربي) ، وهي كلها مناطق لكل منها حياتها وحضارتها وتاريخها واتجاهاتها العامة ؛ وكما هي الحال في أمريكا الشمالية حيث الولايات المتحدة وكندا من جهة والمكسيك من جهة أخرى . ولا هي مؤلفة من عدد من الأمم المتجاورة التي يسود بينها نوع من الرابطة الثقفية والوحدة الفكرية ، وإن خالفت بينها الحدود والفوارق السياسية ، كما هي الحال في أمريكا اللاتينية . وإنما هي قارة تراحت فيها القوميات ، وتنافرت لأهداف السياسية ، وتداخلت الحدود تداخلاً يندر معه أن يتمشى حد سياسي لإحدى الدول مع حدها الطبيعي العسكري ، أو مع حدها الجغرافي أو الاقتصادي .

وزاد من التشاحن وحدته أن التقدم الحديث قد صاحبه أمران متنافران أشد التنافر ترتبت عليهما نتائج متعارضة أشد التعارض : أحدهما نمو روح القومية



## دوافع الحرب واهدافها في أوروبا

الضيقة التي تقوم على أساس الجنس حيناً ، وعلى أساس الرباط التاريخي أو السياسي حيناً آخر ، والتي تدفع الأمم الناشئة إلى الأمامية والآثرة ، وإلى أن تتطوى على نفسها ، ولا ترعى إلا مصالحها الخاصة بصرف النظر عن مقتضيات الجوار أو حتى عن بعض المقتضيات الإنسانية التي تهذب مراعاتها من نفوس الأمم كما تهذب من نفوس الأفراد . وثانيهما ذلك التقدم المادى وما صحبه من نمو في وسائل المواصلات ، وازدياد مدهش في سرعتها أدى إلى تشابك الأقطار وتداخل المصالح ؛ بحيث أصبح من غير الممكن لامة أن تعيش داخل حدودها وأن تنطوى على نفسها ، لا سيما تلك الأمم التي تقوم في داخلية قارة كإوروبا . والظاهر أن هذا التناقض والتنازع بين المصالح القومية والمصالح الدولية كان أكبر مما تستطيع النفس البشرية في أوروبا أن تتغلب عليه ؛ خصوصاً أن أوروبا ، بل الأوروبيين الشماليين كما نعرفهم ، كانوا ولا يزالون محدثين فيما يتصل بكثير من اقيم الإنسانية الصحيحة ، وما تقتضيه من تهذيب للنفس ورياضة للروح ؛ فقد قفرت بهم المدنية المادية الحديثة إلى القمة في بضعة قرون قليلة ، ووضعت في أيديهم سلاحاً من المادة والعلم والمعرفة بأسرار الطبيعة لم يكونوا مؤهلين لأن يتحكموا فيه ، ولا أن يوجهوه الوجهة الإنسانية الخيرة . وكان مثلهم في ذلك كمثل العبي ، وضع في يده سلاح خطير لا يدرك قيمته ولا يحسن استعماله ولا توجيهه وجهة الخير والحق . ولذلك فهم قد سَخَّروا العلم في التدمير والتخريب كما سخَّروه في البناء والتعمير سواء بسواء . . . ولعل المر الأول في ذلك أن التقدم المادى في الحضارة الأوروبية الحديثة لم يكن له ما يناظره من ناحية الروح . فأوروبا ذات المدنية المادية المزدهرة لم تطلع علينا في عصرها الذهبي بوحى ديني جديد أو حتى بفلسفة إنسانية من ذلك النوع الذي يلهم الأرواح ويهذى النفوس ، بل يجد من طغيان المادة ، ويعاون على التحكم فيها بوازع من دين ، أو رادع من عقل أو من ضمير .

ومهما يكن من شيء ، فقد كانت النتيجة أن دخلت هذه القارة في حروب متصلة منذ مطلع فجر نهضتها الصناعية الحديثة . وكانت هذه الحروب من نوعين ظاهرين ، وإن لم يتيسر دائماً فصل أحدهما عن الآخر : أولهما يتصل بتلك الحدود السياسية التي تفصل بين أمم القارة ، والتي قلل من قيمتها ما كان من تقدم في المواصلات ، وزيادة في الاحتكاك والاتصال ، وتشابك في المصالح بين

## دوافع الحرب وأهدافها في أوروبا

الشعوب . ولم تستقر حدود أية دولة من دول أوروبا الحديثة أكثر من حل أو بعض جيل . وقد نتالعت الحروب سريعة في معظم أنحاء القارة ، وترتب عليها ظهور دول واحتفاء أخرى أو اندماج بعضها في بعض . وأغلب الظن أن هذا النوع من الحروب التي تقوم من أجل تعديل الحدود بين دول أوروبا لن ينتهي أمره قبل أجيال ، وأن أوروبا لن تخلص منه حتى يحىء ليوم الذي يدرك فيه أهلها أن الحروب السياسية في مثل هذه القارة التي تضيق بالسكان لا يجب أن تقوم عقبه في سبيل تحقيق الاتحادات الاقتصادية التي تقضى بها طبيعة الأشياء ، وتحتمها مقتضيات الحياة المادية المعقدة في هذا الركن المضطرب من العالم . وأما النوع الآخر من الحروب التي تثابت أوروبا في عهد هذا الحديث فذلك الذي يتصل بالتوسع الاستعماري فيما وراء البحار ، والسيطرة على تجارة العالم والتحكم في علاقات الأمم بعضها ببعض ، لاسيما علاقات أوروبا بغيرها من القارات . وقد تمثل هذا النوع بصورة واضحة فيما كان من نزاع بين الجرمان والبريطانيين خلال الأربعين سنة الأخيرة أو يزيد من ذلك . فقد ضاق بحر الحياة والنشاط بالألمان في وسط القارة ، فوطدوا النية على انتزاع السيطرة العالمية من بريطانيا ، أو مشاركتها فيها على الأقل ، وحدوا في بناء قوتهم البحرية استعداداً لذلك . ولكن بريطانيا لم تكن من الغفلة بحيث تترك الأمور سر إلى غير مصيرها المرسوم ؛ فقابلت خطة ألمانيا بمنتهى ، حتى إذا ما جاءت الحرب كانت الظروف مواتية لبريطانيا من ناحية القوة البحرية على الأقل ، وانتهى الصراع المروع الذي بدأ في عام ١٩١٤ بهزيمة موفوتة في عام ١٩١٨ ثم نصر أكيد في عام ١٩٤٥ . وبدأت بريطانيا وكأنها قد احتفظت وحلفاءها المائتين بالإنجليزية في أمريكا بسيادة البحار والسيطرة على علاقات أوروبا بالمستعمرات فيما وراء البحار . ومع ذلك فمن يدرينا ! فقد يكون هذه الحرب التي انتهت منذ عام خاتمة دور من أدوار التاريخ الأوروبي بين الجرمان والبريطانيين من أجل السيطرة العالمية ، وفاتحة دور جديد بين الصقالية والناطقين بالإنجليزية في بريطانيا وأمريكا ! لقد استغرق الدور الأول أربعين عاماً أو يزيد بين استعداد للحرب ونشال مسلح دام زهاء عشرة أعوام في الجولتين ، بل لقد انقلب هذا النضال بجولتيه إلى حرب عالمية مروعة شارك فيها أكثر من ٩٠ ٪ من سكان العالم ، وقضى فيها أو سببها ما يناهز خمسة وعشرين مليوناً من الأنفس .

## دوافع الحرب وأهدافها في أوروبا

أفيخبي" القدر للعالم أن تبتيه أوروبا بحرب عالمية جديدة يستغرق الاستعداد لها جيلاً آخر ، ويطول النزاع المسلح فيها إلى أكثر من جولة واحدة ؟ لعل أشد ما تلهع له النفوس أن النزاع الجديد — إن وقع — فسيكون بين قوتين مختلفتين في الاستعداد تمام الاختلاف ، فأحدهما تستند إلى الأساطيل والقواعد البحرية ، وهي ضرورية للسيطرة العالمية والتحكم في المواصلات ، ولكنها لا تكفي لاكتساح اليابس واحتلال طهر القارات ، على حين تستند الأخرى إلى الجيوش البرية التي هي أداة ضرورية لاكتساح الميادين واحتلال المواقع ، ولكنها لا تستطيع بدون الأساطيل أن تسيطر على المواصلات العالمية . ومعنى هذا أن الحرب التي ينتظر أن تطلعا بها أوروبا في المرة القادمة ستكون بين قوتين غير متناظرتين ولا متكافئتين ؛ ولن تستطيع إحداها — بحكم تكوينها — أن تتمكن من الأخرى دون استعداد شامل وتضحية بالغة . وإذا لم يلجأ المتحاربون في نضالهم المقبل إلى أسلحة ذرية لا يمكن أن يتنبأ أحد بنتائج استخدامها بالنسبة لهم وللإنسانية جمعاء ، فإن الحرب لابد أن تطول . . . وهي لا ينتظر أن تنتهي بأحد الفريقين إلى نتيجة فاصلة في جولة واحدة على أنه حال

سليمانه هزبي

## النقد والفن

نحن نلتمد على الألفاظ في تصوير خواطرننا، وإبراز المعاني التي تمرل في أذهاننا، والأحاسيس التي تخرج في نفوسنا .

ويوماً ما كان سلافنا يؤدون هذه الأحاسيس وتلك المعاني ، بالإشارات والأصوات المبهمة ، أو بالإشارات والألفاظ جميعاً .

وقد يصل حَفَدتنا إلى طريقة أخرى للتفاهم غير الألفاظ المنطوقة أو المكتوبة ! فقد يتم التفاهم بينهم مثلاً عن طريق الاتصال الشعوري والفكري المباشر — وشئ من هذا يقع الآن في التنويم المغناطيسي والإيحاء !

أردت أن أقول — بهذه المقدمة — إن الألفاظ التي تتخذها اليوم لتتفهم إنما هي وسيلة لا غاية ، وإنما رموز ظاهرة لمعان وأحاسيس مضمرة ؛ وإنه تستمد قيمتها الحقيقية من قيمة ما ترمز إليه ، بقدر ما تستطيع الكشف عما ترمز إليه .

والألفاظ في هذا . كالعملة الورقية المصنونة برصيد من الذهب . ونحن نتعامل بها حسب ما ترمز إليه من الرصيد . ولا بد لكي نثق بها ونشدها أن تكشف لنا عن هذا الرصيد الذي تساويه !

والألفاظ التي تتعامل بها الآن لم نضعها نحن ، ولم نشترك في وضعها ، وقد ناه في عصور سحيقة ، تعد بالقياس إلينا ، في طفولة الإنسانية . فكان من أثر هذا أننا نراها اليوم ألفاظاً غامضة ، بجملة الدلالة ؛ وكثير منها ليس له في أذهاننا معنى دقيق محدد .

وقد لا يظهر هذا في « أسماء الذوات » ؛ ولكنه يظهر واضحاً في « أسماء المعاني » حيث تصلح اللفظة الواحدة للدلالة على عشرات الصور والحالات المتعلقة بالمعنى الواحد ، تختلف في اللون والدرجة ، ويبقى اللفظ الدال عليها واحداً في جميع الأحوال .

خذ مثلاً كلمة « الحب ». فانظر : كم من الصور تنطوى تحتها ، وكم من الأحاسيس تعبر عنها . وهي لفظة واحدة لا تفرق بين حالة وحالة ، إلا في سياق معين تقاس به مقدرة لقائل على الأداء ، وتكشف فيه البنية عن رصيدها المذخور من الحب والشعور .

#### ما مدلول لفظة « الحب » ؟

أولاً — بالقياس إلى ما يُحِبُّ : تراه حب الحياة ، أم حب الطبيعة ، أم حب الخيال الحى ، أم حب الوطن ، أم حب الأسرة ، أم حب الأصدقاء ، أم حب النفس ، أم حب الجسد ، أم حب المال ، أم حب الجنس ، أم حب الفن ، أم حب الدين . . . إلخ ما يصح أن يكون محموباً في الحياة ؟  
وثانياً — بالقياس إلى نوع الحب : تراه الحب البرى أم الحب المشوب ؟  
وحب الآلة الوثيدة ، أم حب المعالجة الهاجمة ؛ وحب الأثرة والغلبة أم حب التضحية والإيثار ؟  
وحب الاستعلاء والسبطرة أم حب التفاني والامتناع ؟  
وحب الشهوة العارمة أم حب القداسة المتصوفة . . . أم هو الحب الذى تتداخل فيه شتى هذه الظلال والألوان ؟

وثالثاً — بالقياس إلى درجة الحب وحالته : تراه الحب الصاعد إلى الآفاق أم الهابط إلى الأعماق ؟ وهو المقبل يكسب كل يوم ويربى أم هو المدير يحسّر بامرئ ويذوى ؟ وهو النائر العنيف أم الهادئ الراضى ؟ وهو المكروه نسول أم المتطلب المرجو ؟ أم هو الحب الذى فيه من هذا وفيه من ذاك ؟  
كل هذا وعشرات من أمثاله تجمله لفظة « الحب » الواحدة ، ويفصله الإحساس الواسع ، المحرب لهذه الصنوف والأشكال .

ومثل الحب ، البغض ، والغيرة ، والحنان ، والقسوة ، والمروءة ، والذلة ، والمذلة ، والألم . . . إلى آخر « أسماء المعانى » التى تجمل مدلولاتها هذا الإجمال ، وتمتع بعد ذلك لعشرات من الصور والأحوال .

وبدى أن واضع اللغة الأوائل لم تكن خواطرم تزدحم بكل هذه الصور ؛ لأن أحاسيسهم وأذهانهم لم تكن مرت بتجارب كالتى مرت بنا . فكانت اللفظة الواحدة تشع في أذهانهم صورة واحدة ، أو عدة صور . مقيدة على كل حال ، بجدى تجاربهم في عالم الحب والخيال .

والدين جاءوا من بعدهم لم تحفزهم حاجة ملحة إلى وضع ألفاظ جديدة ،



مفصلة على قدر كل حالة من الحالات ؛ لأنهم وجدوا في إيهام الالفاظ الموضوعه من قبل وإجمالها ومرونتها ما يساعدهم على تحميلها صوراً وأشكالاً وحالات جديدة لم تخطر على قلوب واضعيها الأولين .

بل لعلهم — وبخاصة رجال الفنون — قد ارتاحوا إلى هذا الغموض المبهم ، ووجدوا فيه من الجمال ما يتسق مع خواطرهم وأحاسيسهم — وفيها قسط من الغموض والإيهام لا مفر منه بحكم أن مشاعرهم وأخيلتهم هي الأصل في العمل الفني وهي غامضة إلى حد ما — لا بل زادوا على هذا أن جعلوا كثيراً من « أسماء الذوات » « أسماء معان » على نحو من المجاز ، مثل كلمة « كتابة » وأصلها « القيد » . وكلمة « شرف » وأصلها « المرتفع » . كما جعلوا بعض أسماء المعاني ، لمعانٍ أخرى اصطلاحية ، مثل كلمة « صلاة » وأصلها « الدعاء » وكلمة « زكاة » وأصلها « لطهارة » . . . . . وذلك — فيما يبدو — كان تفادياً من وضع الالفاظ جديدة .

ولعل القدرة على وضع الالفاظ كانت خاصة في مقولة الإنسانية ، وفي الشعوب البدائية ، ثم ماتت وفترت بعد عهد معين من الرقي والتطور ؛ فصعد الآن نعانى صعوبة جديدة في وضع لفاظ جديدة لما يمرض لنا من شؤون الحياة .

وأنا أزعم أن اللفظ الذي لم ينبعث من فم القائل إلا بعد وجود صورة معينة يرمز إليها في ذهنه . . . . . هو كذلك لا ينشئ في ذهن السامع صورة لا عهد له بها من قبل ، ولكنه يقتصر على استدعاء الصورة أو الصور الكامنة في نفسه ، والتي يرمز لها هذا اللفظ عنده .

وقد يختلط علينا الأمر في بعض الأحيان ، فنحسب أن لفظاً معيناً قد أنشأ في أنفسنا إنشاء ، صورة لا عهد لنا بها البتة . وتفسير هذا أن هذه الصورة لا بد أن يكون لنا بها صلة سابقة ، نتيجة لتجربة شخصية أو إنسانية ، ثم خفيت علينا وبعدت عن وعينا ، حتى استدعاه ذلك اللفظ حين سمعناه أو قرأناه . فكلمة « الجبل » مثلاً ، لا تدل على شيء البتة في ذهن من لم ير جبلاً أو مرئياً ما يقرب إلى ذهنه صورة الجبل . وقد تصور له شكلاً من الأشكال ، هو أبعد ما يكون عن شكل الجبل المعروف ، كما يقع كثيراً للكفوئين وللأطفال .

وهذه الكلمة نفسها تشع في ذهن من رأى جبلاً واحداً ، صورة واحدة هي صورة الجبل الذي رآه ، على حين هي تشع خمس صور لمن رأى خمسة أجيال مختلفة الأشكال ، وتشع عشر صور لمن رأى عشرة أجيال مختلفات . وهكذا . ومثل هذا كلمات : قط ، وكب ، وحضان ، وشجرة ، وزهرة ، ونبات . . . إلى آخر أسماء الدوات .

أما المعنى الذهني المجرد ، المنتزع من جميع الأشكال ، والذي لا يتقيد بشكل من هذه الأشكال ، فلا يكاد يقيم في الدهن لحظة ، ثم يأخذ الخيل في استعراض الشكل أو الأشكال ، التي يستدعيها هذا اللفظ في الحال .

وإذا صح هذا في « أسماء الدوات » وهي قريبة الإدراك ، سهلة التصور ، والاختلاف فيها محدود ، لأنها موكولة — في الغالب — إلى الحواس ، فكيف يكون مقدار الاختلاف في إشعاع الفاظ المعاني : كالحب والبغض ، والمروءة ولذلة ، والدكاء والغباء ، والمذلة والألم ؟ ثم كم يكون الاختلاف فيما تشعه — بعد ذلك — النصوص التي تتولى تصوير عاقبة من العوائف ، أو خيالاً من الأخيالة ، أو حالة من الحالات النفسية على وجه الإجمال .

وقد يكون هذا الاختلاف نعمة جميلة في عالم الفنون ، بما يبدد من نطاق القول وصور الأداء ، وبما يعرضه من عوالم النفوس ، وغرائب الشخصيات . ولكنه — مع هذا أو بسبب هذا — يحاق لنا عناء بعد عناء ، بتعارض الآراء في الأثر الأدبي الواحد ، بل الأداء الفني الواحد ، بالقياس إلى ما يشعه من الصور في الأذهان ، وما يستحضره من الحالات في النفوس . وهذا يأتى دور الناقد الذي كثيراً ما يكون شاقاً بسبب هذه الملابسات !

وهنا نصل إلى النتيجة الأولى من هذا البحث ، وهي مناقشة مدى حق القارئ في نقد ما يأتى إليه من الأعمال الفنية ، والحكم عليها حكماً موضوعياً على قدر الإمكان .

ليس الناس سواء في تجاربهم الحسية والنفسية في الحياة . وبعضهم — ولا شك — أغنى من بعض في رصيد هذه التجارب .

وسبب الغنى والفقر في هذا الرصيد كثيرة متنوعة ؛ فقد ترجع إلى سعة الطبيعة النفسية أو ضيقها ، وقوتها أو ضعفها ، وعمقها أو سطحياتها . . . وقد

ترجع الى اللون الذى تصطبغ به هذه الطبيعة ، فتهش لهذا اللون من الإحساس أو ذاك وتفتتح لمظاهر من الحياة دون الأخرى ، كأن تفتتح لمظاهر الصحامة والعنف والجوح فى الكون ، وتنفض عن مواطن الدعة والخفاء والهمس — وإن كان كل لون من هذه الألوان يختلف فى النفوس مع اتفاقها فى الأساس . وتبعاً لهذا الاختلاف فى الرصيد النفسى المخزون ، نكثر الصور التى يشهدها القلب أو التعبير عند القارئ أو تفل ، ويقوى أو يضعف استعدادة لتلقى صور النفوس وأنماط الشخصيات ، ويتسع أو يضيق إدراكه لأطياف الجمال التى تموج بها الفنون كما تموج بها الحياة .

وتخلص من هذا إلى النتيجة الأولى التى غنيها من مقدمات هذا البحث ، وهى : أن حق الناقد فى الحكم على صحة الحالات النفسية والصور الفنية ، رهين بالنسبة بين رصيده ورصيد الفنان من الآفاق النفسية ، والتجارب الفنية على السواء . ذلك أن الفنان قد تزخر نفسه بصور وحالات ليست شائعة ؛ لأنها من خصوصياته أو امتيازاته ، وقد يختار من صور الأداء ما يتسق مع صور الإحساس ، فيحىء ناقد لم تنهياً طبيعته لإدراكها ، أو لم يقرأ لها نظيراً فى أنماط السابقة ، ويرى خطأ فى التصور والإحساس ، أو انحرافاً فى التصوير والأداء ، فى حين هى من مطالب الجيد لأصيلة فى ذلك الفنان ، للتنوع فى الأنماط والألوان !

ونسمع أحياناً أن هذا الأمر انتهى ، ذاك صعب الفهم عند الكثيرين ، فيجب أن نقف هنا لنسأل عن نوع الصعوبة .

فهناك صعوبة منشؤها طريقة التعبير والأداء ، وصعوبة منشؤها طريقة التصور والإحساس .

والصعوبة الأولى سهلة ميسورة الحار ؛ وعلاجها هو المعجم والدراسة اللغوية ، والاطلاع على طرق التعبير المختلفة . أما الصعوبة الثانية فهى العسيرة حقاً ؛ لأنها تتعلق بما هو أعمق من الألفاظ والعبارات .

ذلك أن خصوصية الصور النفسية وحالات الوجدانية قد تحتاج إلى فضاء خاصة ذات رصيد إنسانى وفنى ضخم ، يؤهلها لاستيعاب ما ترمز إليه النصوص ، التى قد تكون سهلة التركيب واضحة الأداء .

وهنا نصل بالحديث إلى النتيجة الثانية لمقدمات هذا البحث ، وهي أن صعوبة لفهم أو سهولته ليست راجعة في الحقيقة إلى غرابة اللفظ ووعورة التركيب ؛ فهذه صعوبة سهلة ، حلها ميسور ، ومرجعها كما قلت — إلى المعجم وإلى المرس بالأساليب . إنما الصعوبة التي تحتاج إلى الطبيعة وإلى المحربة معاً ، هي صعوبة التصور والإدراك ، بسبب نقص رصيد النفس من التجارب الحسية والذهنية والروحية . وفقر الطبيعة من الذخيرة الموهوبة ، التي تهيئها للفن الرفيع .

ونك لتحد في بعض الأحيان من مجادلاتك في نص دلي ، يقول لك : مامعنى هذا ، فإذا حاولت تفسيره له لم تحده قاصراً عن فهم ألفاظه وتراكيبه ، ولكنه أصر عن تمثلي الحالة النفسية التي يرمز إليها هذا النص . فإذا حاولت أن تدله على موضع النص في استعدادة الفني لم يجد إلا أن يقول لك : إذا كنت أنا دارس اللغة وآدابها لا أفهم هذا القائل ، فلن يقول !

إن المدى لمعيد جداً ، بين معرفة مدلول الألفاظ المعنوي في النص الأدبي ، واستثمار الصورة النفسية التي يشعها . وهذا كهذا ضروري للإدراك الصحيح . وأضرب هنا مثلاً قد يكون ضرورياً للإيضاح :

يقول القرآن الكريم : « والصبح إذا تنفس »

فماذا تعني هذه الألفاظ عند الكثيرين من دارسي اللغة العربية ؟

إنها تعني « استعارة تصريحية أصلية » في الصبح ، الذي شبهناه بالإنسان ، وحذفنا المشبه به ، ورمزنا إليه بشيء من لوازمه ، وهو « تنفس » ! أو هي تركيب جميل ذو إيقاع موسيقي ، حين نقرنه إلى آية قبله : « والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس . »

فإن هذا مما يشعه هذا التعبير في النفس الشاعرة ، من الحياة المفاضة على الطبيعة ، والانس بهذه الحياة التي تتنفس في كل حي : من الزهرة المتفتحة للبدى ، إلى الطير المتيقظ من الكرى ، إلى الإنسان المتطاع إلى الضياء ؟ وأن هو من الحركة الوثيدة المستشرقة للضوء والحياة ، تصورها لفظة « تنفس » بجوسها الخاص ، ويصورها إيقاع التعبير كله ، وكأن كل كائن في هذا الوجود يفتح رثبه لنسيم الصبح البابل ، وينفض الكرى عن عينيه في استبشار وديع ؟

إن الفرق بين النظرة الأولى والنظرة الثانية ، هو الفرق بين النظم الجامد والمعنى الطليق . وهو الفرق بين الدمية الميتة والحورية الراقصة في سبحات الخيال . . . وهو نفسه الفرق بين تصور « البلاغيين » للجمال الفنى وتصور الفنان !

ويقول توماس هاردى فى خسوف القمر (١) :

ثلك — أيتها الأرض — من القطب إلى المحيط — يدب الآن على شعاع القمر الضئيل فى سواد لاشية فيه ، وسكينة لا يحالجها اضطراب . وإني لأنظر إليه فاعجب : كيف يستوى هذا الفل المنسوق ، وذلك الجرم الذى أعرفه لك موأرا بالقلق والحيرة ، وكيف تنفق هذه الصفحة الراضية كأنها قطعة الإلهية ، وقنار عليك — أيتها الأرض — تموج الساعة بالأحزان والكروب ؟ « وسأل : أهذا الشمع الصغير كل ما يطرحة القناء الزاخر من الطلال على ساحة الفضاء ؟ حكمة الله أراد بها عالم الإنسان ، متجمعة كلها فى حيز هذا القوس المرسوم . كذلك يكون مقياس الكواكب لما تبديه الأرض ، ويكشئه عليها الزمان : من أمة تشر أمة ، ورءوس تغلى بالمواجس ، وأبطال ذلبن ، ونساء أجمل من طلعة السماء . »

وليس فى هذا الكلام — فى نصه العربى هنا — صعوبة فى المنطق ولا فى المدنى . ولكن الصعوبة الحقيقية فى إدراك صدق هذا الكلام وجماله ولحمة السخرية العميقة البادية عليه فى هدوء ورزانة . . . السخرية من ضجة الحياة والأحياء فى هذا الكواكب الأرضى ، حتى ليحسبون الكون كله مشغولا بهمومهم الكبيرة لديهم ، الهينة لديه إلى حد ألا يحس بها ولا بهم إلا بتقدير ما يرسم هذا الفل الضئيل للأرض على وجه القمر ساعة الخسوف . . . السخرية ببعد ما بين « هذا الفل المنسوق ، وذلك الجرم الذى أعرفه لك موأرا بالقلق والحيرة » كما يقول الشاعر الساخر العظيم .

إن الصعوبة الحقيقية هنا هى هذا التصور النادر لصغر الكواكب الأرضى وما فيه ومن فيه ، وتصويره على هذا النحو فى قالب فنى يأتى هذه الطلال النفسية : فلأل السخرية العميقة ، والابتسامة الباهتة على شفتى فنان !



ويقول تاجور شاعر الهند العظيم :

« لقد أمسكت بيديها ووضعتهما على صدري .  
وحاولت أن أملاً ذراعتي من وداعها ، وأن أسلها سمها العذبة  
بقبلاقي . آه ! وأن أشفي هيمان عيني من سكراتها العميقة .  
آه ! ولكن أين هي ؟  
من ذا الذي يستطيع أن يتزع ذرقة السماء ؟  
وسأولت أن أمسك بالجمال ، فأفب مني ، لينترك بين يدي الجسم وحده ،  
وأعود حيران متعبا .  
كيف ينبغي للجسد أن يلمس الزهرة التي لا يتقدر على لمسها غير  
الروح ؟ » (١)

وليس في الألفاظ ولا معانيها هنا صعوبة ؛ إنما الصعوبة في ادراك هذه  
لصوفية العميقة السمحة الشفيفة ، صوفية الروح الوديعه التي تسحر في رحمة  
حنون من محاولة الملاك العنيف والاحتجام الغليظ ، للجهال الوديع والروح  
مُدع . صوفية الثناء السمع في الروح العام بلا احتجاز ولا غلظ ولا امتياز ؛  
ولا يفوتني أن أنوه هنا بطريقة الأداء ، وجمال تصويرها لهذا الشعور  
الترديد . فتاجور قد اختارها أن يصف لنا « التجربة » التي قام بها ، وأن  
يبلأنا على نتائجها ، واحدة واحدة ، وأن يقف معنا هو وتجربته ونتائجها ؛  
لشركة في كل خطوة فيها ، ولتنتهي مشاعرنا بالحقيقة الشعورية التي اهتدى إليها ؛  
حتى إذا وصل إلى الغاية ، فقال :

« كيف ينبغي للجسد أن يلمس الزهرة التي لا يقدر على لمسها غير الروح ؟ »  
كنا قد وصلنا معه إلى هذه الشفافية الروحية الصوفية . ولو أنه ألقى بها إلينا  
معاني مجردة لحرماننا لذة مشاركته في هذه التجربة الفريدة .  
ولطريقة الأداء قيمتها إذن في تصوير الأحاسيس الرفيعة ، وإشاعة الشعور  
في نفوس الآخرين بمقدار ما تطرق هذه النفوس تصور تجارب الآخرين .

(١) ترجمة الأستاذ لطفي شلش .

ونتيجة نالته أحب أن أخرج بها من مقدمات هذا البحث : إن الطائعات الفنية لممتارة ، والنفوس الفنية الموفورة الرصيد ، أقل عدداً في هذه الحياة من الطائعات الشائعة المكرورة والنفوس المحدودة التجارب .

وينشأ من هذا أن الفن العادي المريح ، الذي لا يكلف النفوس عناء في التصور ، ولا جهداً في الإدراك ، أشد سيورة من الفن الممتاز — ما لم تتدخل في الأمر عوامل أخرى غير العوامل الفنية البحتة ، كالعوامل السياسية والاجتماعية الخاصة ؛ لأن كثرة القراء في كل جيل يعجبها الفنان المريح الذي لا يعلو على طبائعها كثيراً ، بل يشايعها في تصورها وإحساسها بالحوادث والأشياء ، وتجد في فنه صدى تجاربها النفسية المحدودة ، وطبائعها الشعورية الشائعة .

ولكن الخلود لا يكتب إلا لدوى الطائعات الضعيفة الذين قد يلعون في الطريق بما هو شائع مشترك في النفس الإنسانية ، ثم يحلقون في آفاقهم الخاصة ، حيث يرقبهم الناس ، كما يرقبون الأفلاك البعيدة ، يتلقون منها الحرارة والضياء ، وهي بعيدة عنهم في أجواز الفضاء !

وحكم جيل واحد قد لا يكفي ؛ فلا بد من تتابع الأجيال في كثير من الأحوال ، لتبين البهرج الزائف الرخيص ، من المعدن الأصيل الثمين .

وحين نستوفي الحديث عن أعماط النفوس ، ونماذج الأحاسيس نرتد إلى التعبير نفسه . ففي ميدانه كذلك تتفاصل المواهب ، ويكون للنقد مجال . وقد أشرت في تعليقي على مقطوعة تاجور إلى قيمة « طريقة الأداء » في الفنون الأدبية التي قد تكون « الطريقة » فيها حاسمة في تقدير قيمة العمل الفني ومستواه .

ولكن هذا بحث آخر لا يتسع له هذا الفصل الآن .

ميد قطب

## جيمس جويس

ولد جيمس وجستير لوييسوس جويس في دبلن سنة ١٨٨٢ لأسرة  
برلندية كاثوليكية أصيلة، وتلقى علومه الأولى بها في كيتين من كليات الجزويت  
هي كلية كلونجوس وود ثم كلية «نقدير» وأتم علومه في الجامعة الملكية القديمة.  
ومع أن أعوام الطلب الأولى عند الجزويت قد تركت في نفسه وفي تفكيره  
آثاراً عميقة لازمته بقية حياته، فإننا لا نعرف عنها ما يستحق السرد سوى أنه  
شر وهو بعد في التاسعة كتباً عنوانه: «حتى أنت يا هيل! » دافع فيه عن  
رغم الإيرلندي الكبير باربل، واتهم فيه هيل بالخيانة الوطنية والتآمر  
لإسقاط الزعيم. أما في الجامعة فقد عرف جويس بسعة الاطلاع وشدة الصلف  
وتهمك الأحلاق في وقت واحد. والنوادر عن شدة صلفه لا تعد، منها أنه  
التقى ذات مرة بالشاعر الإيرلندي العظيم و. ب. ييتس فاجترأ عليه قائلاً: «لقد  
لتقياً بعد أن فات الأوان» فقد تقدمت بك السن، ومحال أن تتأثر بأدبي». ومنها  
أن الكاتب آرثر سايمونز حدثه ذات مرة عن بلزك فصحك جويس ضحكة  
ساحر وأجاب: «عجباً لكم! ألا رلتم تتحدثون عن بلزك! » ومنها أنه أراد  
التردد على العلامة إدوارد داودن أستاذ الأدب المشهور، فلما قال له قائل إن  
داودن قد لا يرتاح إلى صحبته أجاب هازئاً: «ومن يكون داودن هذا! إنه مجرد  
ستاذ صغير، أما أنا فشاعر! لقد نظمت أحسن قصيدة غنائية منذ شكسبير.»  
وبعد أن تخرج جويس في كلية الآداب سنة ١٩٠٢ انتقل إلى باريس ليدرس  
الطب بها. ولا يعرف عن أيامه في باريس إلا فقره المدقع. ثم جاءه أن أمه  
تختصر فعاد إلى دبلن ليستأنف حياة الفقر والفجور، واشتغل فيها بالتدريس  
قليلاً، ولكنه ما لبث أن تزح إلى القارة الأوروبية عام ١٩٠٤ ومعه زوجة،  
زح إلى بولاً ثم تريستا وفيهما اشتغل بتعليم اللغة الإنجليزية في مدارس برلتر.  
وفي تريستا أقام نيماً وعشر سنوات كتب فيها مجموعة من الأقاصيص هي «أبناء

دباين» ، وقصة ترجم فيها لنفسه هي « صورة الفنان في شبابه » ، وممثلة هي « المنفيون » . وفي ترستا بدأ قصته الخالدة « يوليس » ، تلك القصة التي أنجزها بين زيورخ وباريس في سنى الحرب العالمية الأولى وما بعدها . فلما أنشأ ونشرها عام ١٩٢٢ هيجت عليه الخواطر وألّبت عليه السلطات . وأقام في باريس في عزلة عن الناس يقر ويكتب حتى حضرته الوفاة عام ١٩٤٤ .

وهكذا حكم جويس على نفسه بالنفى مختاراً طول حياته ، ولم يعد إلى دبلين ، مستطراًسه ، إلا مرة واحدة عام ١٩١٢ لينشر مجموعة أقاصيصه « أبناء دبلين » فقد تخرج الناشر من نشرها ، لما بها من إشارات مسيئة إلى الملكة فكتوريا والملك إدوارد السابع ، ولما بها من وصف صريح لحوانيت دبلين وحاناتها ومطاعمها وذكر لها بأسمائها . ولقد طلبوا إليه أن يطهرها من كل ذلك فما رضى . فنشرها جويس أثناء زيارته تلك على نفقته الخاصة . ولكن الناشر الجبان عدم النسخ الألف بعد طبعها ، ولم يبق إلا على نسخة واحدة أعطاها المؤلف ، خرج جويس من إيرلندا بين الغضب والفرح لنجاته من « ضباب الحصاره الانجوسكسونية » معلناً في أصدقائه أنه راجع إلى القارة الأوروبية ، « راجع إلى المدنية » .

ولكن « أبناء دبلين » رأت النور عام ١٩١٤ حين توسط له الشاعر العظيم عزرا باوند لدى الناشرين . وكذلك توسط له باوند عند مجلة « الايمويست » فنشرت له « صورة الفنان في شبابه » تبعاً في العام نفسه . أما « يوليس » فقد دخل جويس زيورخ بجزء منها أثناء الحرب العالمية الأولى ، حسبها الرقيب لغزاة أسلوبها نوعاً من الشفرة جديداً يحمل الرسائل الحربية ، وأوشك أن يصادرها ويستوقف صاحبها لولا أن توسط الوسيط . وقد كان إتمامها بدء متاعب جويس الحقيقية ؛ فقد نشرتها له مجلة أمريكية تدعى « ليتل ريفيو » تبعاً ، ولكن مصلحة البريد في الولايات المتحدة أمرت بإحراق مجلة أعداد منها لما فيها من خروج على الآداب العامة . وقاضت المجلة « جماعة محاربة الرذيلة » لحكم على أصحاب المجلة بغرامة قدرها مائة دولار . وظهرت في باريس الطبعة الأولى من « يوليس » عام ١٩٢٢ ، وتلتها طبعة في لندن صودرت . وتولت جمارك ساوتهامبتون ونيويورك تفتيش المسافرين ، وجمع الداخل والخارج منها لإحراقها . أما الصحفة فلم تكن أقل نشاطاً من السلطات ؛ فكتبت عن « فضيحة يوليس » وحذرت

البشر من ذلك « الكتاب اللعين ». ولقد حسب الإنجليز في مبدأ الأمر أن « يوليس » إن هي إلا كتاب جديد في الأدب المكشوف لا وزن له ولا خطر حتى دلهم عليه ناقد فرنسي يدعى فاليري لارويو في مقال كتبه عام ١٩٢٢ . هذا هو جيمس جويس الذي اختلفت في وصفه الآراء : فمن قائل إنه إمام القصة في القرن العشرين، ومجددها الذي استحدث قالباً ومادة وغاية لكاتبين، إلى قائل بأنه دعوى متهوس، بل منحل متعفن، بل قرحة في جسم المجتمع . هذا هو جيمس جويس الذي قال فيه ت. س. إليوت إنه أعظم من ملك ناصية اللغة الإنكليزية منذ ممتون . وقال فيه برنارد شو : « أنا لا أستطيع أن أسطر الكلمات التي استخدمها مستر جويس ، فقلبي المتزمت يمتنع عن رسم الحروف ، ثم إنني لا أجد في قواعده الطبية الصبائية أو في تفاهاته التي يعتز بها ما يستحق الاهتمام . » وقد ألقى شو بنسخته من « يوليس » في نار المدفأة قائلاً : « إن هذا الكتاب يثبت أن رجال دبلين وغلمانها لا يزالون على ما كانوا عليه في أيام من قذارة في الشكبر لا سبيل إلى إزالتها ، هذا كل ما هنالك » . هذا هو جيمس جويس الذي أفسح له أرنولد بنيت مكاناً بين الخالدين ، واستجار منه د. ه. لورانس قائلاً : « يا إلهي ! إن جيمس جويس خليط متعفن لا انسجام فيه ، فإيه إلا مقتطفات من الكتب المقدس وغيره من الكتب طبخت معاً كما تطبخ بقايا الكرنب وحنطة المأكولات في حساء قوامه المهارة المقصودة التي لا فن فيها ، فيا لأدبه من أدب غث مألوف قد أضى تأليفه صاحبه فاستخفى في زى أدب جديد ، بل استخفى في زى الأدب الجديد . إن الملل يقتلني حين أقرأ جيمس جويس ، فهو مليء بالادعاء ، وهو مليء بالافتعال والتبذير ، وهو خال تماماً من كل تلقائية أو حيوية حقيقية » . ولكن الجدل في حقيقة جويس ومكاته رغم ذلك كله قد انتهى الآن إلى ما يشبه الإجماع على أنه صاحب منهج في القصص جديد ، وصاحب أسلوب في الإنشاء جديد . ولقد يكون منهجه فاسداً ، ولقد يكون أسلوبه أضعف من أن يثبت أمام عصاف الزمان ، ولكن ما من شك في أن منهجه وأسلوبه قد تركا أثراً ملموساً في بعض من كتبوا بعده ، الشعراء منهم والنثرين . وما من شك في أن أدبه ظاهرة من ظواهر النصف الأول من القرن العشرين . وقد يكون جويس نقطة تحول في فن الكتابة كما يصفه معجده ، وقد لا يكون ، ولكنه مرحلة في تطور الأدب على أقل تقدير .



ولقد تطور جويس ذاته كما يتطور كل فنان ؛ فهو من ناحية لم يبتدئ إلى منهجه وأسلوبه اللذين اشتهر بهما في « بوليس » ، بل لعهدا مسدسها الأول حتى أينما وأثرا . وهو من ناحية أخرى لم يبدأ حياته الأدبية بذلك المذهب وذلك الأسلوب بل بدأ كما بدأ غيره من أصحاب المدارس بين القديم والجديد . فقد بدأ بمجموعته « بناء دبلن » وهي مجموعة توشك أن تكون أقاصيص ، وتوشك أن تكون لوحات قلمية وصف فيها مسقط رأسه وصفا مفصلا لا يؤتاها إلا أصحاب المذهب الطبيعي في القصة . ومنها يتبين أن جويس كان يعيش في دبلن بروحه مع أنه قضى كل حياته في الخارج ، فشارع من شوارعها الخلفية المهمة أقرب إلى قواده من الشارليزيه العظيم . أما قصته « صورة الفنان في شبابه » فهي قصة كتبها في عشر سنوات ما بين ١٩٠٤ و ١٩١٤ وترجم فيها لنفسه أيام كان حدثا يتلقى العلم مستحلا لنفسه شخصية وهمية هي شخصية ستيفن ديدالوس .

ولد احتار جويس المتغطرس لنفسه سم ديدالوس لأن ديدالوس كان في أساطير اليونان قدم القصاين ومعهم جميعا ، وهو الذي بنى البريت ، قصر التيه . وجويس يناديه في ختام « صورة الفنان » قائلا : « ها هذا أخرج لمرّة الأولى بعد المليون لأواجه حقائق الحياة ، ولأصوغ لقومي في مصر روح ضميرا لا زال خاما . فيا أبت القديم ، ويا سيد الصاعين ، ألهمي الآن وسد خطاي إلى أبد الأبدن » .

فالقصة إذا سجل لجميع الأطوار الأولى في نموه النفسي والعقلي ، وهي وصف محيد للصراع الذي نشب في كيموته بين الشخصية الفنية والشخصية الدينية . وهي رسم لبيئته الأولى أيام كان يعيش بين أبيه الغليظ الضع الذي لا يصدق أمرا ما و أمه الوديمة الرقيقة القواد التي عوصته عن حقوة أبيه شيئا كثيرا . وهي عرض للمؤامرة الكبرى التي كان يدبرها عميد كلية بلقدير لاحتطاف روحه وضمه إلى خدمة الكهنة ، وهي تحليل لمصوحه الداخلي في طريق الدبر من ناحية ، وفي طريق الفن من ناحية أخرى . ولقد كان جيرا أن يقتل الدبر امر في نفس جويس لولا أن عميد كلية بلقدير كان مسيحيا أكثر من المسيح وكاثوليكيّا أكثر من البابا . فجويس الصغير يكتب موضوعا من مواضع الإلشاء فيه تحرر والطلاق ، فيمنهم عميد كلية بلقدير بالكفر ويلزمه أن

« اعترف » بكفره . وجويس الصغير يخطئ خطيئة الجسد ، فيهدده عميد كلية  
بفدير بالوين والنبور وعظام الامور ويلزمه بأن « يعترف » بخطيئته ، ويصف  
له في خطبة جميلة رنانة أهوال الجحيم الذي ينتظره وصفاً تقشعر له الابدان ،  
فتنقضي هذه الخطبة على ما بقى في نفس الفنان من حب للدين ويعصى ويستكبر  
كما عصى إبليس واستكبر ، ويصبح صيحته حين أنى أن يخدم عرش الله : « نون  
سرفيم ! نون سرفيم ! » « لن أخدم ! لن أخدم ! » . وهكذا قتل الفن الدين  
في نفس جويس ، وهكذا تنطلق نفسه وتحرر عقله في الجامعة ، وهكذا يتمرد  
على ديانة أمته وثقافة أمته ، ويسعى إلى الفرار منهما بعد الجامعة ما استطاع إلى  
بلى ذلك سبيلاً ، ويلتمس النجاة في آفاق أرحب وثقافة لا تحد بلغة أو وطن أو  
حبل ، فيتعلم ثمان عشرة لغة ، ويتمثل ثقافات وحضارات بألغة وحية . تغير ما يقال  
في وصف « صورة الفنان في شبابه » أنها مفتاح شخصية جويس ، كما أن  
« السونيتات » المشهورة مفتاح شخصية شكسبير .

ولكن هذه الثورة على الدين قد تركت في نفس جويس آثاراً لازمتها بقية  
سمره ، فهو رغم هذه الثورة كان يغضب أحياناً إذا امتنن الدين في حصرتة ، وكان  
ساع هو نفسه في امتنان الدين أحياناً أخرى . فنفسه بعد هذا الصراع المشهود لم  
تخرج صافية كلها دين وفيود أو كلها فن والطلاق ، بل خرجت مثلاً في الفوضى  
وخلت فيها آثار المعركة من خرائب وأشلاء ودخان وعتاد مهشم وعتاد متروك .  
حين رار ستيشن ديدالوس دبلن أول مرة بعد هجرته ، طلبت إليه أمه المحترضة أن  
يخثر بجوارها ويصلي إلى الله من أجلها فأبى ، ولكنه أحس بعدئذ بأنه قد  
خطئ ، وظل شبح أمه يطارده إلى يوم مماته . والعقيد في نفس جويس كثيرة  
تنتظر من يخلصها ويردها إلى ما عصف لطقولته وبفاعته وشبابه الأول من  
نقائض لم تتم تصفيتهاء وصراعات لم تنجل نهائياً .

ومن النقد من يعد « صورة الفنان في شبابه » مقدمة لقصة « يوليس » ،  
ومهم من يرى أنها عمل ذو شخصية مستقلة . وكيفما كان الأمر ، فإن ستيشن  
ديدالوس لطل « صورة الفنان » لا ينتهي بانتهاء سيرته بل يظهر مرة أخرى في  
« يوليس » ، وهو في « يوليس » ليس محور القصة بل أحد أشخاصها البارزين .  
وقصة « يوليس » ليست قصة بالمعنى المألوف الذي تعودده الناس ، روعي فيها

التسلسل الزمني والنتائج المنطقي ، بل قصة لم يراع فيها شيء من ذلك كله ، قصة اختفى فيها كل تقدير معروف للزمن ، واحتلقت فيها حوادث الحاضر بحدوث الماضي اختلاطاً تاماً ؛ لأن كاتبها لم يفهم الزمن فهماً سنياً له بأنه ينقسم إلى أيام تنقسم إلى ساعات تنقسم إلى دقائق تنقسم إلى ثوان ، بل رفع كل هذه الحدود وجعل الوعي بالزمن مقياس الزمن ؛ وقدّر الوقت بما يحدث فيه من حوادث وما يجري فيه من أفسكار ؛ قرب دقيقة لها مقام ساعة ، ورب ساعة لها مقام دقيقة . وهو لم يجد أن أحداث الحياة وخواطر الإنسان تتبع دائماً في تعاقبها أو في تولدها نهجاً منطقياً تخرج به النتائج من العلل خروجا حتمياً ، بل وجد أنها كثيراً ما تتبع نهجاً غير منطقي قد لا تتصل فيه السبب بالعلل .

« يوليس » القصة الضخمة التي تربي كلماتها على ربع مليون كلمة ( ٤٣٠ و ٢٦٠ كلمة ) ، « يوليس » التي كتبت في سبع سنوات ( ١٩١٤ — ١٩٢١ ) تصف حياة ثلاثة أشخاص من أبناء دبلن في يوم واحد بين يقطتهم في الصباح ونومهم في العجز الليل ، أو على التحديد في ثمان عشرة ساعة وخمس وأربعين دقيقة . وهؤلاء الأشخاص هم يهودي مكتهل يشتغل بعمل الإعلانات يدعى ليوبولد بلوم وهو يوليس بطل القصة . ثم زوجته ماريون بلوم وهي مغنية محترفة شهوانية امترج فيها دم اليهود الأسبان ودم الإيرلنديين . ثم مدرس إيرلندي شاب يدعى ستيفن ديدالوس واسع العلم دئم التفكير . وذلك اليوم ، الذي تصفه قصة « يوليس » ( ١٦ يونيو ١٩٠٤ ) لم يكن يوماً حافلاً في تاريخ أجدادهم أو في تاريخ دبلن أو في تاريخ إيرلندا ، بل كان يوماً عادياً كسائر الأيام لا يختلف عن سابقه أو لاحقه في شيء مذكور . فهو يبدأ في الساعة الثامنة صباحاً ، ويحو الصبحي يذفن رجل من أهالي دبلن ، وفي الساعة الرابعة تحدث خيانة زوجية في بيت مستر بلوم ، وقبل انتصاف الليل يولد طفل وتمطر السماء ويقع لرعدها فيها . وفي أبعاد ذلك يطعم أشخاص القصة ويشربون البيرة ويفكرون ويتأمنون ويتذاكرون ويغنون ويتجادلون في السياسة الإيرلندية وسواها من الموضوعات المألوفة ، وبراهنون على جواد خاسر . فهو يوم عادي كسائر الأيام لا يختلف عن سابقه أو لاحقه في شيء مذكور .

ولكن يوليس هو أوديسيوس بطل ملحمة « الأوديسا » التي تركها لنا الشاعر اليوناني هوميروس . فما صلة هذه القصة التافهة بملحمة « الأوديسا » ؟ وما وجه الشبه بين مستر بلوم والبطل يوليس ؟

إن «الأوديسا» تبدأ بمغامرات تليماك في بحثه عن أبيه يوليس . وهكذا  
تبدأ قصة «يوليس» ، فستيقظ ديدالوس حين يعود من باريس ليودع أمه  
المحتصرة في دبلين فيجد أن أباه الغليظ المؤاد قد آلت حاله إلى ما هو أسوأ من  
عليلة الفؤاد ، فقد صار إلى رجل سكير لا تقع فيه ، فيتأكد في نفس ستيفن  
ديدالوس إحساسه القديم بأن أباه هزدا لا يصلح أن يكون أباً . وما إن يمضي  
على موت الأم عام واحد حتى تتفكك أسرة ديدالوس ، دالاب يغشى حانات المدينة  
في وقت لا يجد أماً له ونسبه فيه ما يقتضون به . وتشتد الجفوة وتكون القطيعة ،  
ويبدأ بحث ستيفن ديدالوس عن أب له جديد . وهو في كل ذلك يحس بأنه  
غريب بين قومه ، فهو تليماك الباحث عن يوليس . ولكن «الأوديسا» لا تحدثنا  
عن لولد لدى يبحث عن أبيه حسب ، بل تحدثنا كذلك عن لوالد الذي يبحث  
من وناه ، تحدثنا عن يوليس الباحث عن تليماك . كذلك نجد في قصة جويس  
أن «أوديسا» بحرياً لأحد دبلين يدعى بلوم له روجة تخونه بلا انقطاع ، تخونه  
عنسة وغير مناسبة ، وهو يعلم بذلك حقاً ولا يتدخل في شؤونها ، لأنه  
لا معشرها معاشره الأرواح . وهو لا معاشرها معاشره الأزواج ، لأنها انحب  
منه ولاهر الاماليت أن مات بعد ولاده ، فثبت في روع بلوم أنه ناقص الرجولة  
بحر عن إتهاب الاسماء الأصحاء . فهو لا يحس بالعربة بين أبناء دبلين حسب  
من ينس بالعربة في داره كذلك ، وهو يوليس الذي يبحث عن تليماك .  
مكافئاً بدأ بعده مشاكل سرية . ويبدأ يوم ستيفن ديدالوس في الساعة  
ثلاثة صباحاً ويمتلئ خاطره بصورة أمه ، لأن الذكرى السموية لوفاتها قد دنت ،  
ومنه أمدم حين يذكر ما كان من إلهة الصلاة من أحيا . ثم انصرف إلى  
المدرسة حيث يلقي درساً في التاريخ الروماني ، وفي المدرسة يرى تعيذا غيباً  
من عن حل مسائل الحساب ، فيتذكر أيام صباه وما كان من حماة أمه له . وبعد  
الدرس يبدو له أن يكثر عن جريمته الماثلة أئداً في خاطره فيعتره زيارة حال له  
من بدريه ، لعل تطلقه مع خاله تسمع خشونته نحو أمه ويخفف عنه ورره .  
وكمه بعدل عن تلك الزارة الثقيلة بعد صراع نفسي شديد . ثم يحاول أن  
يحبس نفسه ، ولكن الوحي لا يسعفه فستصرف إلى المكتبة . وفي المكتبة  
سجرت طويلاً عن عمله بين شكسبير وبيته ، وما هذا الحديث إلا إسقاط  
لشعوره النفسي .

كذلك يبدأ يوم بلوم في الساعة الثامنة صباحاً . فهو يخرج ليشترى كبة  
 ليظهرها ويحملها إلى مسر بلوم لتقطر بها وهي في فراشها . ثم يعثر على حطاب  
 موجه إلى زوجته من رجل يدعى بويلان يحدد فيه موعداً لزيارتها في الساعة  
 الرابعة . وبلوم يعلم أن بويلان هذا عشيق من عشاق زوجته ، فتتلمذ لذلك حواره  
 طول اليوم . ويخرج ليدفن صديقاً ، وفي الشارع وفي المطعم وفي الفندق  
 يسعى جهده أن يتحسب بويلان كلما لقيه ، وأن يصرف المتحدثين عن الكلام عنه .  
 وفي بار الفندق يدخل عليه بويلان ويشرب كأساً من الحمر وينصرف ليبي ثوبه  
 الساعة الرابعة مع مسر بلوم ، وفي المار يسمع بلوم الناس يلعبون في عرصه ، وفي  
 الحانة يدور حديث الشاربين حول بويلان مرة أخرى ، فيسعى بلوم إلى صرفه  
 عنه فلا يوفق ، فيدش بینه وبينهم شجار يفضي آخر الأمر إلى عراك . وفي المساء  
 يقصد بلوم إلى مستشفى من مستشفيات الولادة ليعود روحه صديق له ، وفي  
 المستشفى يلتقي ستيشن ديدالوس بين جماعة من الأطباء يشربون وينفكرون  
 بالوضع وبالأمومة . ولقد كان ستيشن ديدالوس يجد في سمره ذلك ما يؤذي نفسه  
 ويذكره بخفيئته محوئه ، ولكن المكارة تغلبه كالعادة فيصعب بالهرء من  
 الولادة وتجريح الأمومة أكثر مما يفعلون . ثم يخرج السمع إلى حانة ، ولكن  
 ستيشن ديدالوس وصديقه المموليحيان يختلفان في أمر مفتاح البرج الذي يسكنان .  
 وينتهي الأمر بستيثن ديدالوس أن يجد نفسه إلا ماوى ، فيمضي مع صديق له  
 إلى بيت من بيوت الدعارة ويتبعهما إلى الماحور بلوم . ويسند اسكرميوس  
 وليمياك فيتمثل الأول صورة زوجته وعشيقها ، ويتمثل الثاني صورة مه ميتة  
 وقد عادت إليه في كفافها تستعطفه أن يفلى من أحس روحها ، ولكنهما في  
 من جديد ، وتملكه عاصفه هوجاء من امواقف المتضاربة ، وهوى بعينه  
 على المجفة وبهشمها ثم يدفع إلى الخارج . وفي الطريق يتشاجر مع اثنين من  
 جنود الاحتلال الإنجليزي ، ويكون من ذلك أن يهوى على الأرض مغلوباً على أمره .  
 ويلحق بلوم ستيثن ديدالوس ، وفيما هو مسكب عليه يعينه على النهوض يرى  
 في صفحة وجهه صورة ولده المتوفى كما كان يرحو له أن يكون ، فتباً ، ومع  
 الثقافة ، مضقول النفس ، مرهف الإحساس . وهكذا يتعرف الوالد على ولده ،  
 وهكذا يلتقي يوليس وتلياك . ويستصحب بلوم ستيثن ديدالوس إلى داره ويلج  
 عليه أن يقضى ليلته في ضيافته ، بل أن يقم معه نهائياً ، ولكنه يرفض . ويسترد

يوم ثقته بنفسه وإحساسه برجولته بفضل لقائه مع ستيفن ديدالوس، وبفضل ما كان من نقاده ياد، فإذا هو يتبدل من حال إلى حال، وإذا هو يمرض وحقته أن يعد له طعام الإفطار في الصباح بعد أن كان يعدده هو لها، وإذا هو يقبضها فلة الروح بعد مرة دامت أعواماً وأعواماً. وهكذا يعود ليوبولد بلوم إلى ماربون بلوم بعد مغامرات مشهودة في شوارع دالين وأزقتها، كما عاد يوليس إلى روحته ينلoup بعد غيبة طويلة جاب فيها الأقطار ودرع البحار.

ولقد استطاع بعض النقاد من أمثال ستيفن هارت هلبرت ولثين، وإدموند ولسون، ولويس جولدنخ، بدرجات متفاوتة، أن يجدوا لكل حلقة في قصة «يوليس» نظيراً يقابلها في «أوديسا» هوميروس. فاشترك بلوم في دق صاحبه يقابل نزول يوليس إلى حاديس، ممدكة الموت، وشجار بلوم مع شائمه يقابل صراع يوليس مع العالقة، وذهاب بلوم إلى البغى بيلا كوهين ونجائه منها يقابل مغامرة يوليس مع الساحرة سيرسيه التي تحول البشر إلى عجماءات وإفلاته من قبضتها، وهكذا وهكذا. ولقد كان بعض النقاد يرون أن قصة «يوليس» مجرد قطاع من الحياة الواقعة، ولكن هؤلاء لم ينتبهوا إلى ما فيها من تصميم محكم ترسم فيه جويس خطى هوميروس مستخدماً الرمز في تصويره لكل حلقة من حلقته «لأوديسا»، وحاول أن يبني الحاضر على أساس الماضي، وأن يوازن بين طبيعة الحياة وأبطالها في واقع اليوم، وطبيعة الحياة وأبطالها في خيال الماضي. ولقد احتار النقاد في علة اختيار جويس لشخصية البطل الجوال يوليس محورا للمحمته المثريه إن صح هذا التعبير، فالملاحم لا تكتب ثراً، ومنهم من ذهب إلى أن هناك شهاً بين شخصية جويس وطروفه، وشخصية يوليس وظروفه. فجويس في غربة متصلة روحية وجسمية معاً، وكذلك كان يوليس الهومري، والجوال قوام الحياة عندهما جميعاً. كذلك احتار النقاد في علة اختيار جويس لشخصية رجل يهودي ليقوم بدور يوليس في هذه «الأوديسا» الجديدة، فمنهم من وجد شهاً بين هذا اليهودي التائه، وبين ذلك اليوناني التائه. ومنهم من وجد شهاً بين الغربة الروحية التي يعيش فيها جويس بين الأيرلنديين، والغربة الروحية التي يعيش بلوم فيها بينهم. ومنهم من يشير إلى اهتمام كتاب القصة المعاصرين لشخصيات اليهود، فارسييل بروسست الذي تعلم جويس منه شيئاً كثيراً كتب عن شخصية سوان، وتوماس مان كتب عن شخصية جوزيف، فلعل اختيار جويس



ليهودى صدى لتعاقب المشكلة اليهودية في أوروبا. ومهما يكن من شيء، فلا شك في أن يوليس الهومرى هو أقرب أبطال الخيال إلى شخصية مستر بلوم؛ فهو ليس كذخيل أو هكتور أو نياس لطلا بالمعنى المؤلف في الأساطير ضاراً بالسيف فاتسكا بالأعداء غاريا لقلوب العذرى، بل هو بطل من طراز حديث، بطل بطولته في صالة رأيه وفي مكره بمكره وأصالة رأيه ينفذه من كل الاحتمال التي يستهدف لها. وهكذا الشأن مع بلوم فهو ماكر وصيل الرى. وما من شك في أن قصة جويس التي نسج منها الواقع حتى نول الخيال تفجعنا في الواقع كما تفجعنا في الخيال؛ فهي مجرد حفيد من سحرها الذي أسفه عدا الشعراء، وهي تشككنا في الخيال ومنطقه. هي ترحم تحوال البطل في بلاد واق لواق وفي بلاد تركب الأبطال في تحوال اليهودى لمشتغل بعمل الإعلانات في شوارع ديبين. فما بعد نواقع عن الخيال؛ وبسبب امرأة صبور تطول غيبه زوجها يوليس عوام طويلاً ولكن ثابت على وفائه، ويتهنى إليها أنه قد مات في بلاد الغربية فلا تصدق ما يميل، وأنها، خطفت عداداً فتصرفهم في بالحسى وإن المكرود، وتتخذ من معرله، عنة لاسم، لهم، فتغزل المصارف ثم تنقض حيوطها من جديد زاعمة أنها سوف تبت في الأمر حين تفرغ من غزلها والكتب لا تفرغ من غزلها. هذا في خيال الشعراء. أما في واقع القصص، فمن بلوم تخون زوجها خيانه متصلة، واصطنع العشاق في سراف يدهش أهل المدينة. ولقد تحد لما ربون يوم في هجران زوجها، ياه، بعض العذر كما كان يهودى نفسه يفعل؛ ولكنها تعود إلى التفكير في حياتها من جديد بعد رجوع إليها وانتهت غيبته، فما بعد الواقع عن الخيال؛

لكن كل ما تقدم لا يقرنا من فهم جويس الحقيقي، جويس دى المنهج الجديد والأسلوب الجديد. فإذ لنفهم جويس من الكلام عن المنهج والأسلوب اللذين سنجدتهما في الأدب الانجلى، فكيف يمكن لجويس أن ينفق ربع مليون كلمة في سرد هذه القصة المسمطة المثلثة الأجزاء، قصة لم يولد بلوم ومريون بلوم وستيفن ديدلوس؛ ومن أين له بكل هذه المادة إذا كان قد حدد لنفسه أربعاً وعشرين ساعة عادة في حيد هؤلاء الأفراد العاديين؟

الواقع أن الإجابة على هذا السؤال لنلتصق في منهج جويس وفي أسلوبه أما المنهج الذي اتبعه فهو منهج «المولوج الداخلي» كما يسميه النقاد، أو منهج

« تيار الوعي » كما يسميه علماء السيكولوجيا المشتغلون بالتحليل النفسى .  
وأما الأسلوب فيقوم على ما يسمونه « تحرير الألفاظ » .

وجويس ليس مبتكر منهج المولوج الداخلى أو تيار الوعي بل مكمله .  
ومسكده الأول كاتب فرنسى مغسور يدعى إدوار ديچاردان ، وهو أحد صغار  
ارمرين ، وصاحب قصة « لقد قطعت أشجار الغار » ، التى ظهرت سنة ١٨٨٧ ،  
وهى قصة شاب باريسى دعا إحدى الممثلات إلى العشاء لا أكثر من ذلك ،  
وهى تسجل الحواطر التى جالت بذهن ذلك الشاب وبذهن تلك الممثلة فى ذلك  
الوقت . وهى إذ قصة خالية من الحوادث كل الحوادث فوامها الأفكار والذكريات ليس  
نهر . وفى شرح منهجه كتب ديچاردان يقول : « المولوج الداخلى يتصل بالشعر  
من حيث إنه ذلك الكلام الذى لا يسمع ولا يقبل . وبه لعب الشخصية عن  
فكرها المكونة ( أى ما كان منها أقرب إلى اللاوعى ) دون تقيد بالنظم  
المطلق ، أو بعسارة حرة فى حالتها الأولى . وسبيل الشخصية إلى هذا التعبير  
هو الكلام المباشر الذى يكتب فيه بالحد الأدنى من قواعد اللغة على نحو يدل  
على أن الحواطر قد سُجِّت كما ترد إلى الذهن تماماً . » فالإنسان حين يتكلم مع  
غيره من الناس يلتزم أصول لغة حتى يفهم الناس ما يقول . ولكن الإنسان  
لا يتكلم مع الناس طول الوقت ، بل إن الكلام لا يشغل من حياته اليومية  
إلا جانباً يسيراً ، وما بقى لما من الوقت نقصيه فى التفكير بجميع درجاته وألوانه ،  
من التأمل إلى الملاحظة العابرة ، ومن استحضار ذكريات الماضى إلى بناء صور  
المستقبل . فحواطر الإنسان لا تقل أهمية أو دلالة عن كلامه أو أعماله ، وتسجيلها  
وحب على الفنان محتم . والفنان الذى يتوخى الأمانة فى نقل الواقع يحتفظ لكل  
شئ من نسخته فى الحياة ، ولو قد فعل ذلك لوجد أن الحواطر وحدها تشغل تسعة  
عشر قصته . أما الكلام والأفعال والحوادث فلا تستهلك إلا العشر الباقى .  
وهذه سبعة حياة . فكل من يتصدى لوصف الحياة كما هى ينبغى أن يلتزم هذه  
الطريقة . وهذه الحواطر التى يحدث بها الإنسان نفسه ، هذا المولوج الداخلى  
صامت ، لا يرد إلى الذهن فى صورة مرتبة مبهوبة تتع فيها العلة النتيجة ، ويجرى  
فها الكلام طبقاً لأصول الكلام ، ويسبق فيها الماضى البعيد الماضى القريب ،  
بل يرد متقطعاً مضطرباً أشبه شئ بشريط السينما إذا امتحن على مهل ، فهو خال  
من النتائج المطلق ، متوقف على التتابع العاطفى والضرورات الآلية كالتداعى

اللفظي مثلاً . وفي عالم الذكريات يتداخل الماضي والحاضر والمستقبل ، وينقد الزمن معناه كذلك . وما يقال في الكلام يقال كذلك في الانفعالات والإحساسات والصور الذهنية ؛ فمن الأمانة أن تسجل كل هذه الأشياء على وضعها الأصلي فتعني من الصياغة النحوية والصياغة المنطقية معاً . ولقد وصف الناقد لفرانسيس كير ريمى دى جورمون قصة ديجاردان هذه بأنها « قصة قادت إلى الأدب منهج لسينا قبل أن تظهر «سينا» . وهذا المنهج الذى اهتدى إليه ديجاردان سار عليه مارسيل بروست فى قصته « المبحث عن الماضى » وأتقنه ، وليسكن جويس هو الذى وصل به إلى حد الكمال . وأوضح مثل من هذا هو نهاية « يوليس » بعد عودة بلوم إلى روحته روحياً وجسدياً . فعند هذه العودة ترى مسز بلوم مستلقية فى فراشها وقد زال عنها النوم ، نراه لسترجع حوادث الماضى وتستحضر ذكرياتها الداعرة ، وهى تفعل كل ذلك فى مولوج صامت واحد تداعى فيه الأفكار لا تراط ولا نحو ولا منطق ولا نقد بالترتيب الرمنى ، ويسجلها جويس فى اثنين وأربعين صفحة لا يستخدم فيها علامة واحدة من علامات الترقيم ، فهى نموذج من تداعى المعانى اللامتناهية الذى كان الشغل الشاغل لعلماء السيكولوجيا من أتباع مدرسة فرويد فى التحليل النفسى . ولقد أخذ جويس عنهم شيئاً كثيراً أيام انتقل إلى زيوريخ مركز تلك المدرسة إبان الحرب العالمية الأولى . وماريون بلوم ستعرض الآن يامها فى جبل طارق :

« وأنا أحب الأرهار وأتمنى أن يصيق لبيت بالورود . يا إله السموات ما رأت الطبيعة شيئاً : الجبال الوحشية ثم البحر ومواجه المتدافعة ثم الريف الخمر نحوله ذات القمع والشعر وسائر ضروب البست والقطعان الكبيرة ، يعيش القو ، دمرى الأنهار والغدران والأزهار من كل شكل ولون ورائحة ، تتفتح فى كل مكان حتى فى شقوق الأرض البنتفسج والأرهار الصفراء الباهتة . وهذه هى الطبيعة ، فمن ينكرون وجود الله فمعهم الغرير لا يساوى خردلة . وكثيراً ما سأت المحدثين إن كان هذا اسمهم أن يخلقوا شيئاً إذا استطاعوا ، فإذا دبت وفهم يطالبون القسيس بالحاح . ولم يفعلون ذلك ؛ لأنهم يخافون نار الجحيم لقساد ضمائرهم . نعم أعرفه حق المعرفة أعرف الشخص الذى كان فى الكون قبل الخليفة الشخص الذى خلق كل ذلك الشخص الذى هذا لا يعلمونه وما لا أعلمه أنا ظالمين

فدحولوا غدا دون إلهة الشمس إذا استطاعوا . إن الشمس تشرق من هناك  
 . . . نى . هـ ما قاله لى يوم كما نرقد بين الأزهار فى هاوث ، وكان فى رأسه  
 فى سترته الرمادية المصنوعة من الخشب وقمعه المصنوعة من القش ، فى ذلك  
 يوم . وحيث إليه أن يعرض على الزوج ، نعم أعطيه أولا قطعة من الكعك  
 كسب فى مئى وكانت السنة سنة كيسة كهذه السنة ، منذ ستة عشر سنة با لهى  
 بعد تلك القملة الطويلة كدت فقد وعي . نعم قال لى رهرة الجس ، نعم نحن  
 كد رهرة جبل بحر النساء ، قسم لمرأة رهرة ، وهذه هى المرة لوحيدة اتى  
 صدق فيها صول حياته ، والشمس تشرق من أجلك اليوم يا فانتنى ، نعم هذا سر  
 منى إليه ، فقد أدركت أنه يفهم قدر النساء أو يحس بحقيقتهم ، وأدركت نى  
 س يستطيع أن يفهم مشيئتي فيه دائما ، أعطيه كل ما أراد من متعة ، واستدريته  
 حتى سلى أن قول نعم ، ولم أحب أول الأمر بل تطلعت إلى المحر واسماء أفكر  
 فى شتى لأشياء ، لم تكن بدرى بملقى ولا بعستر ستانوب ولا بهستر ولا لى  
 وكابى حروغر العجور والبسجارد الذين كانوا يلعبون القفزة وأنا قول طاطنوا  
 ويسموها غسل لأطباق ، والديدهن الواقف أمام در لحاكم وحول حوذنه  
 منساء ، مسكين شوته الشمس وكادت ، والبسات الاسپانيات يصحكن  
 لاسات اشيلان والفواشب الطويلة ، والمراد فى الصباح يشهده اليونانيون  
 ويهود والعرب وكل جنس وملة من أقصى أوربا إلى قصاها ، وشارع الدون  
 وسوق المداح ولغظ الدحاج أمام حانوت لارنى شارون ، وأخير المسكينة يكاد  
 يغرق سماس وانمين الدين لا تعرف لهم صناعة تأمين فى الظل على درج السلم ،  
 ومعجلات الكبيرة فى عربات الثيران والقلمة القديمة التى بلغ عمرها آلاف  
 سن . نعم وأولئك المغربة ذوو الوحود الوسيمة كلهم معممون كأنهم الملوك  
 بل لو أن أشرفهم بالدحول فى حوايتهم الصغيرة ، وروندا والنوافذ القديمة  
 على حصة وأحقت حشب النافذة حتى يقبل عاشقها الأسياح الحديدية . والحانات  
 اتى لا تمنح تماما ولا تقبل تماما أثناء الليل ، وصاجات الرافصات وليلة أن تنقلا  
 . . . حرة فى الجسiras والحارس يتحول بمصباحه منشرحا ، والسيل المدرار . . .  
 والى وإلى البحر آنا فرمزي كأنه النيران والشفق العظيم ، وأشجار التين فى  
 حدائق لأميدا ، نعم والشوارع الضيقة الغريبة كلها والبيوت الوردية والزرقاء  
 وحصرا ، وحدائق الورد والمياسمين والجيرانيوم والعصار وجبل طارق واقفا

كالبنات هناك ، كنت زهرة الجبل ، نعم هناك كنت أضع في شعري وردة كما  
تفعل بنات الأندلس ، وهل ليس ثوباً آخر ، نعم كم قبلاني تحت الحائط المغرق  
قلت لا فرق بينه وبين سواه فلا تزوجه ، ثم سألته بمعنى أن يسألني مرة أخرى  
نعم ثم سألتني مرة أخرى نعم سألتني أن أقول نعم يا زهرة الجبل وعاقته أول مرة  
وجذبتني نحوى لي جسدي وينشق عبيرها وكان قلبه يركض ركض محمول وقلت  
نعم قلت نعم سأزوجك نعم . »

وكما حرر جويس المعاني من قيد النحو والمطلق ولتأسك الرمي كدك  
حرر الألفاظ من قيد المعاني ومن قيد العرف ومن كل قيد معروف . فهو  
يسبح لنفسه أن يدغم كلمة في أخرى وأن ينقل حروف كلمة إلى كلمة أخرى . وإن  
يشتق ما شاء من الألفاظ التي يروقه جرسها سواء كانت ذات معنى أم كانت  
ليست بذات معنى ، فالجرس عنده المقام الأول ، والمعنى عنده ليس ذهباً فقط  
بل هو لفظي كذلك ، والبلاغة الموسيقية التي يتصف الألفاظ بها تغني عن كل بلاغة  
في المعنى . وعي الجملة فهو جعل الألفاظ تقف على رؤوسها كما يقولون . ومن هذا  
كثرت في أسلوبه الألفاظ اسمية المفعولة من فعل معروف أو من صوت  
غير معروفة وغلبها يشبه هذيان الجنين . وجويس ليس أول من قدم على هذا  
الكلف بالأصوات المجردة في الأدب ، فقد سبقته إلى ذلك مدرسة الرمزيين في  
فرنسا ، وقد كان إمامها ستيفن مالارمي يقول : « إن لشاعر يستسلم لسنن  
اللفظ » . وكذلك كان ريمو يقول : لقد رمت نفسي على الهذيان الخفيف .  
ثم ذهب عبر عن هذا الهذيان السحري بهذيان لفظي . . . . . وانتهى في الأمر  
إلى تقدس خيالي المخبول . « ما جويس فقد التقي مرة بستيفان راف في  
زيورخ فذكر أمامه كل صلة له بالتحلوا وأصر على أنه إيرلندي صميم ، فهو  
يكتب بلانجليزية حقاً ، ولكنه في الواقع لا يفكر بها ولا يريد أن يفكر بها .  
قائلاً : « أتمنى أن تكون لي لغة غني من جميع اللغات ، لغة يضيف إليها كل  
شعب من عنده شيئاً ، فما من مرء فكرت فيها بالإنجليزية إلا وجد نفسي  
حبساً في تقاليد الإنجليز » . وهذا وصف ما جرى في غرفة النوم حين عاد يوم  
بوليس إلى ماريون بنلوب أخيراً بعد نجواه ، وذهب يقص عليها ما صادفه في غيبته  
من مور . والسرديبدأ بلغة الملاحين ، وينتهي بفقرة من « أوديسا » هو ميروس :  
« في أي اتجاه كانت السامعة ترقد ، والسردي في أي اتجاه كان يرقد ؟ »

« السامعة : الجنوب الشرقى مائلة نحو الشرق . السارد : فى الشمال الغربى . مثلاً نحو الغرب : على خط عرض ٥٣ شمالاً ، وعلى خط طول ٦ غرباً براوية قدرها ٤٥ درجة بالنسبة إلى خط الاستواء الأرضى .

« أكانا ثابتين أم كانا يتحركان ؟

« كانا ثابتين كل بالنسبة إلى الآخر ، وكانا يتحركان معاً نحو الغرب وإلى الأمام وإلى الخلف حتى التعاقب تبعاً لحركة الأرض لدائمه فى مسالك تتغير بدأ فى فضاء لا يتغير أبداً .

« وكيف كان وضعهما ؟

« السامعة : ترتاح فى خط أفقى تقريباً على جانبها الأيسر ، بدها اليسرى تحت رأسها ، وساقها اليمنى تمتد فى خط مستقيم وتركز على ساقها اليسرى ، وهى محمية على طريقة حيا - تلوس ، أمنا الأرض ، مستريحة بعد أن أحصيت .

« السارد : يرقد على جانبه الأيسر ، ساقاه مثنيتان وسبابه يده اليمنى وإبهاميه . ترحان على وسط ثقبه على طريقة ترى فى صورة فوتوغرافية صورها يرمى بجون لارجل الطفل وهو متعب ، للطفل الكامل النمو داخل الرحم .

« الرحم ؟ وماذا أتعبه ؟

« إنه متعب بعد طول السفر .

« مع رفاقه . ومن رفاقه ؟

السندباد البحرى . السندباد البحار والصندباد الصياد والخمدباد الخياط وسندباد النجار والخمدباد الحداد والتندباد الفلاح والبندباد البناء والهندباد الخباز والزندباد الرقص والكندباد الكشاف والدندباد الدساس والطنندباد الخباز والزندباد الزمار والسجدباد السجان والغندباد الفتحات .

« متى كان ذلك ؟

« حين مضى إلى الفراش المظلم فوجد مرمعاً حول بيضة الفرخ ، فرخ الرخ ، رخ السندباد البحرى فى ليلة الفراش ، فراش كل فرخ ، فرخ كل رخ ، رخ مظلمباد النوار .

« وأين كان ذلك ؟

« وكانت هذه آخر كلمة فى قصته ، فقد عالج النوم الجليل الذى تسترخى به أطراف الرجال ، وأبرأ النوم روحه من همومها . »



وهذا الأسلوب يفسر قول العالم السيكلولوجي الكبير يونغ : إن «بوليس» قصة لا بداية لها ولا نهاية ، وإن في الإمكان قراءتها من أولها إلى آخرها وقراءتها من آخرها إلى أولها . ولكن جويس وأنصاره لا يرون هذا الرأي ، وإنما يرون «بوليس» عملاً فنياً محكم يقوم على تصميم دقيق . وفي هذا يقول جويس لما كس إسمان : «إن ما تطلبه من قارئ هو أن يخصص كل حياته لقراءة أعماله .»

وسواء اتفقنا على أن جيمس جويس إمام من أئمة القصة أم لم يتفق ، فلا جدال في أنه ظاهرة اجتماعية لا يمكن تجاهلها ، فأدبه ينتمى في صلبه إلى المصف الأول من القرن العشرين دون سواه ، وهو يدل على الطور الحضارى الذى نمر فيه أوروبا الآن أصدق دلالة .

ولكن جويس من ناحية أخرى إيرلندى وكاثوليكى ، والصراع الذى نخذه في دبه صراع بين القديم والحديد في بلد يحلّى الثقافة متأخر الاقتصاديات وثورته على الكاثوليكية ثورة على ثقافة إقطاعية ، وثورته على إيرلندا ثورة الفئران العالمى الذى تمددت نفسه فتجاوزت بحوم الأقاليم . فبعض المشاكل التى اضطربت لها نفس جويس كل هذا الاضطراب لا تمت إلى التطور العالمى في جيمس هذا ، وإنما هى مشا كل ثانوية محلية فرغت الإنسانية الكبرى من حلها أيام حركة الريسالس . وثورة جويس من هذه الناحية ثورة فاوستية ، كما يقولون . والثورة الفاوستية فى جوهرها هى ثورة القوة الفردية الكامنة التى ترقى إلى النمو الفكرى والاجتماعى ، على القوة الخارجية المكسلة التى ترقى إلى الاستقرار الفكرى والاجتماعى ، وهذه ثورة البورجوازية الأوروبية على الإقطاعية الأوروبية ، وهى ثورة تمت منذ قرون ، وظهورها فى أدب الإيرلنديين المعاصرين لا دلالة له إلا أن إيرلندا متخلفة فى ركب المدنية . ولقد يشور الفرد المنحصر الآن فى صباه على الأفكار والقوانين الاجتماعية القائمة ، ولكن تلك الثورة لا تترك فى نفسه كل هذه الرواسب والعقائد النفسية التى لازمت جويس مدى الحياة ، بل تنجلى عن تحرر تام يتبعه الاهتمام إلى مجموعة من القيم الإيجابية الجديدة . وكثرة هذه الرواسب والعقائد فى نفس جويس إن دلت على شيء فهو أن الصراع بين الداخل والخارج فيه كان صراعاً مخيفاً مثلاً . وهذا الصراع

تخف للمناف إن دل على شيء، وهو أن البيئة الإسرائيلية بيئة متعجزة تنوء على فرد بككها فتخطه شخصيته تحضماً.

ولكن جويس في صميمه يعبر عن الطور الحضاري الذي تمر فيه الإنسانية في جيل هذا، وهذه ذب وردى ذاتي انطوائى مسرف في الفردية والذاتية والاعوائية. وهو لا يصور ما يحدث في المجتمع من حوادث، بل يصور ما يولد في نفس الفرد من أفكار. والخواطر الشخصية مهما بلغت تفاهتها قدس عند جويس من الأفعال مهما بلغت خطورتها. فموضوع «يوليس» هو ذهن الإنسان بعد عزله عن المجتمع، لا سلوك الإنسان في صلاته بالمجتمع. ولما كل شيء تشغل لطلال «يوليس» مشاكل شخصية لها أهميتها حقاً ولكن ليس لها ما يقابلها في الحياة العامة. وهي عن خطورتها بالنسبة إلى أصحابها لا تصل بمشاكل الرجل العادي في حياته العادية أو في تفكيره العادي. فهي مشكلة خاصة للمناح شرية خاصة، مشاكل لا يشترك فيها إلا الأقليون. والاعدام حسبية جويس الاجتماعية أمر بلغت المظفر، فليس في أدبه أي صدى للحرب عليه الأولى، وهو لدى عاش في أتونها فلم تكن روحه شررها، وهو لدى «س بين قصف المدفع» ضم لا يسمع الرئير، بل ذهب يكتب، وكأنه يعيش على وكن آخر، عن مدير الإعلانات ومتاعبه الروحية، وعن زوجته المستهتره وغيرها وعن ولدها المتدنى، وهو حالة مرصية أولى بها الأطباء المسميون. وليس معنى هذا أن فردية جويس تعنى من قيمته الفنية؛ فهو فنان ضخم قل نظرائه من قدماء والمحدثين. وقل ما يقال في تقديره أنه الفنان بمعنى الكلمة، الفنان بمعنى خلص ل نفسه، فانتعده عن الايديولوجيات ورعا زعماء، والفلسفات الاجتماعية ودومها، فلم يخرج أدبه بوجهة نظر، ولم يدس السهم في أعماله لتجويل الجديد كما فعل عمقوى رحى مثل ت. س. إليوت أو مشعوذ قدير مثل أولدس هكسلي، أو مخوم هاتج مثل د. ه. لورانس. وإنما أخلص جويس ل نفسه وحده، وهذا نعمه أهون الفرديين خطراً وأقبحهم جناية على روح الإنسان. فإذا لم تكن لنفس رسالة بنائية في الحياة، فخير له وللناس أن يعنى المجتمع من الهدم. ومنهجات «يوليس» مجرد سمسوجراف يسجل الاضطرابات المرضية التي تعانها البورجوازية الأوروبية في فترة اضمحلالها، ويصور حطام مؤسساتها ومدن أول زوال.

وَذَب جويس مظهر آخر من مظاهر الثورة على العقل التي شاعت في نهاية  
أوروبا منذ نهاية القرن الماضي . وهو كذلك ؛ لأن فيه انسحاباً من الوعي إلى  
اللاوعي ، وهو انسحاب لا تلجأ إليه إلا النفس المهزومة . ولا يحسس هزيمته  
طاهرة من الظواهر المألوفة بين فلول المفكرين والفنانين المرددين . وما مشؤد  
إلا الشعور بأن عصر الفرد قد انتهى إلى غير رجعة ، وبأن القيم الاجتماعية  
الجديدة لا سبيل إلى قهرها . ومن لم يرض بخاضره عاش في ماضيه ، ومن لم يرض  
بما يجري حوله انطوى على نفسه . ومن لم يرض بواقعه دخل في قوقعه الانوي  
واعتصم بها خوفاً وشفقةً . مفكرو البورجوازية وفنانونها ليوم واثنون من  
أن الأرض تسوخ تحت قدمهم . ولقد فقدوا صفة الكفاح التي كانت لأسلافهم  
من المفكرين الفرديين والفنانين الفرديين ، فانصلبوا عن تيار الحياة و روى كل  
في برجه العاجي بمعنى حطام حضارته التي تنهار ، أو يكتفي بتصويره . وجيمس  
جويس - بهذا المقياس نهاية حضارة تبعد ، لا بداية حضارة تنمو . ولعل حين ما قيل  
فيه هو حكم الكاتب الروسي ميرسكي عليه بأنه قد شيد لنا هرمًا شامخًا جميلًا  
حقاً ، ولكن العالم الجديد ليس بحاجة إلى أهرام ، بل إلى حرائق كحرائق المدينة

## كتاب اليتيمة

### لابن المقفع

لا أقصد في هذا الفصل أن أحدث عن ذلك الكتاب الذي نشره الأمير شكيب أرسلان، في أواخر القرن التاسع عشر، باسم الدرة اليتيمة، تبعاً لخطوطه التي نشره عنها، ثم نشره الاستاذ كرد علي، بهذا الاسم أيضاً، في مجموعة رسائل البلغاء، فلبس هناك شك في أن الاسم الصحيح لهذا الكتاب هو كذب الكبير أو الآداب، كما كان ابن قتيبة يسميه فيما يقبل منه في كتابه «عيون الأخبار»

وبما عني كتاب اليتيمة الذي كان يشار إليه هذا الاسم في العصر الذي ولد فيه، والذي تعرض لما تعرض له معظم كتب ابن المقفع من طغيان عصور وآت أزمن، وصاع فيما ضاع من ذلك التراث الأدبي، ثم انقرض من نوب، بكثير من الغموض والابهام، إذ احتلفت فيه كلمة العلماء، واضطربوا في حسنه، وبين موضوعه ووجهته. وفي هذا ما يضعف شقة الباحث الذي يمس تبين صورة له، ورسم شيء من خطوطه وملاحجه، ووضعها في مكانه. ثم إن المقفع الأخرى، وتعرف بصلوات التي توافقه بالنباتات السياسية والدينية والعقلية في عصره، ولا سيما إذ عساه أنه كان من أجل كتب ابن المقفع حاراً وكبيراً منزلة، وقد أتبع له من الشهرة وذيع الصيت ما جعله حديث الناس، ومضرب المثل في البرعة وجودة الأداء، كالذي نراه في ذكر أبي تمام له في إحدى مدائحه للحسن بن وهب، إذ يقول :

واقف رأيك والكلام لاني	تؤم، فبكر في النظام وثيب
فكان قسا في عكاظ يخطب	وكان ليلى الأخيلية تندب
وكثير عزة يوم بين نسب	وابن المقفع في اليتيمة بسب

وكما نراه في صفة أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور له ، إذ يقول .  
« ومن الرسائل المفردات الواثية لا نظير لها ولا أشباه ، وهي ركان البلاغة ،  
ومنها استقى البلغاء ؛ لأنها نهاية في المختار من الكلام ، وحسن التليف والنظام ،  
الرسالة التي لابن المقفع ، وهي اليتيمة ؛ فإن الناس جميعا يجمعون على أنه لم يعبر  
أحد عن مثلها ، ولا تقدمها من الكلام شيء قبلها . » وكذلك يجعله ابن النديم  
أحد كتب خمسة ، يقول إنها الكتب المجمع على جودتها .

وقد استطارت هذه الشهرة إلى القرن الحادي عشر للهجرة ، فزى حاجي  
خليفة يصفه في « كشف الظنون » بأنه كتاب لم يصنف في فنه مثله . وسواء  
أكان حاجي خليفة يتحدث بهذا عن « اليتيمة » التي نغنيها والتي يذكرها طيفور ،  
أم يتحدث عن كتاب آخر من الكتب التي نجلت هذا الاسم ، ونسبت إلى ابن  
المقفع ، كما زجح ، فأكبر الظن أنه بعبارة هذه يردد صدق تلك الشهرة التي  
استفاضت بين الناس .

وقد كان جديراً بهذا الذي أتيح لكتاب « اليتيمة » من ذبوع الصيت وارضاع  
المتزلة وما يتبعهما من الحرص عليه ، أن يقيه عوادي الأيام . ولكننا نحسب  
أن هذا نفسه كان من أول الأسباب التي جئت على هذا الكتاب وعرضته  
للضياح ؛ إذ كان هو الذي زين لوراقين أن يستغلوا هذا الاسم الذئع لرفع  
« اليتيمة » فيطلقوه على غير مقامه من كتب ابن المقفع . بل لعلهم لم يكتفوا  
بذلك ، فذهبوا يطلقونه على ما شاءوا من الكتب التي يرجون لها الرواح  
وأكبر الظن عندنا أن الكتابين اللذين يذكرهما حاجي خليفة في سياق كلامه  
عنه : « عظة الألباب » و « التقيمة » ويذكر أنهما مختصران له ، ويصف أحدهما  
بأنه « مشتمل على الحقائق والمعاني وحبار السادة الصالحين » إنما جاء من هذه  
السبيل ، وأنهما لا يمتان ليتيمة ابن المقفع بسبب .

وبهذا الذي صنعه الوراقون ، وهو أمر معروف فيهم ، إلى جانب ما سنشير  
إليه بعد قليل ، اختلط الأمر في كتاب اليتيمة ، وتنكرت معاملته ، فلم يكر شيء  
أيسر بعد ذلك من أن تذهب « اليتيمة » الحقيقية في غمرة الأيام ولأحداث .  
ويكفي أن نعلم أنه في القرن الرابع وحده كانت « اليتيمة » تطلق على كتب ثلاثة  
مختلفة ؛ فإن النديم يصفها في الفصل الذي كتبه عن ابن المقفع بأنها « في الرسائل » .  
ويفهم من هذا الوصف ، ومن جعله الكلام عن ابن المقفع في الباب الذي جعل

عنوانه : « تسمية الكتاب المترسلين من لرسائله كتاب مجموع ، أن اليتيمة هو الاسم الذي أطلق على مجموع رسائل ابن المقفع . وبذهب القاضي أبو بكر الباقلائي ( من علماء ذلك القرن ) إلى أن « ليتيمة » أو « الدرة اليتيمة » تطلق على كتابين : أحدهما في الحكم والآخري في الإلهيات ؛ وذلك حيث يقول في كتابه : « إعجاز القرآن » في الفصل الذي عقده للكلام « في الدلالة على أن القرآن معجز » :

« وقد دعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن ، وإنما فرغوا إلى « الدرة اليتيمة » وهما كتابان : أحدهما يتضمن حكما مقولة توجد عند حكماء كل أمة مذكورة بالفصل ، فليس فيها شيء بديع من لفظ أو معنى . والآخري في شيء من الديانات وقد تهوَّس فيه بما لا يخفى على متامل . وكتابه الذي بيناه في الحكم منسوخ من كتاب بزرجهر في الحكمة . »

والى هنا نرى أن كتاب « اليتيمة » بوصف مرة بانه في الرسائل ، على لسان ابن الديديم ، وأخرى بأنه في الحكم ، وثالثة بأنه في الإلهيات ، على لسان أبي بكر الباقلائي .

وفي ذلك النص الذي أوردناه للقاضي أبي بكر ما لعله يشير إلى بعض لأسباب والملاسات التي كانت تدفع إلى الخلط ، إلى جانب ما ذكرناه ، وهي ترجع إلى شط « الزنادقة والملاحدة » في توهين أمر الإسلام بالطعن على القرآن وإسكار محرمه . وهو نشاط بلغ غاية بعيدة في القرن الثالث والرابع ، فكان من سبيلهم أن هذا أن يتمسوا الآثار الأدبية التي يصح عندهم أن يقال إنها في معارضة القرآن . فلعلهم وحدوا في الكتابين الذين ذكرهما الباقلائي ما يسد هذا الموضع ونفى ذلك الغناء . وإن كان كتاب « اليتيمة » أولى باسمه وبذبوع صيته منهما في ذلك . فلم يكن لهم بد ، تماما على ما يقصدون إليه ، من أن يترعوا عنهما اسميهما ويخلموا عنهما ذلك الاسم ؛ إذ كان أليق بغرضهم وأكثر اتساقا مع الدعوى التي يدعونها . فهذا — فيما نحسب — سبب من أسباب الخلط في شأن ذلك الكتاب ، على النحو الذي نراه في القرن الرابع .

فإذا كان القرن الخامس وجدنا وصفا راعاه عند أبي القاسم صاعد بن أحمد الأدلسي ، في كتابه « طبقات الأمم » ؛ فقد عرض لهذا الكتاب في جملة عرضه لكتب ابن المقفع ، فقال : « . . . وله تأليف حسان ، منها رسالة في الآداب



والسياسة ، ومنها رسالته المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان . وقد جاءت هذه العبارة بنصها أيضاً في كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ( من علماء القرن السابع ) . وإذن فكتاب اليتيمة عند صاعد الأندلسي ثم عند ابن أبي أصيبعة الدمشقي ليس بمجموع رسائل ، ولا هو كتاب في الحكم أو في الإلهيات ، وإنما هو كتاب آخر يعالج موضوعاً معيناً أدنى إلى أن يكون من موضوعات السياسة ، هو « طاعة السلطان » .

وهكذا نرى إلى أي حد تضارب الأوصاف المتعلقة بهذا الكتاب ، حتى يكاد يضيع الحق بينهما .

ولعد فماعسى أن تكون الوسيلة في مثل هذه الحالة إلى تحقيق هذه قصة والنص فيها ، أو على الأقل ترجيح أحد هذه الأوصاف على سائرهما ، إلا أن تكون محاولة الكشف عن بعض المخصوص من هذا الكتاب ومقارنتها . ونحن نملك حتى الآن — قدر ما تسمح لي معرفته — قسماً ثلاثاً منسوبة إلى كتاب « اليتيمة » ، رجع اثنتان منها إلى القرن الثالث في المشرق ، وتوجه لثالثه إلى القرن الخامس في الأندلس . ويستطيع أن نطمئن إلى أن لقطعتين الأوليين — على الأقل — صحيحتا النسخة إلى « اليتيمة » من المقفّع قبل أن تكتبها أيدي المزورين من الوراقين وغيرهم ، ولولاها جاءت في كتاب المنطوق والمنثور ليطفور ، ولثانية في كتاب عيون الأحبار لابن قتيبة . وكلا الرجلين تأمّنوا نصهما صحيحاً لبصر فيما يروى ، إلى جانب قرينه شيئاً ما — من عهد المؤلف . وسرى أن القطعتين تتواردن على موضوع واحد ، مما يقوى رأينا في الاطمئنان إليهما ، وصحة الاستشهاد بهما . كما سنرى بعد أيضاً أن القطعة الثالثة — وقد جاءت في كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر لثمري — بعيدة عن الريبة ومظنة الشبهة . ولعلنا نستطيع بهذه القطع ، إلى جانب الفصل في قصة اليتيمة ، أن تتمثل شيئاً ما ، صورة من هذا الكتاب .

أما القطعة التي أوردها طيفور فقد نص في التقديم لها على أنها من صدر كتاب « اليتيمة » ، فإنا بذلك أن نعتبرها نوعاً من المقدمة له ، يشرح فيها غرضه ، ويبين فيها طرقاً من الدوافع والملازمات التي حفزته إلى كتابته . وكذلك حد الأمر في هذه القطعة ، فلا نخطئ فيها هذين الحائبين ، كما لا نخطئ ، فيها سب

ابن المنعم نخص حصائصه . ويستطيع القارئ أن يرجع إليها في مجموعة « رسائل البلاء » .

وأول ما يلاحظ في هذه « المقدمة » أنها قد بنيت بناءً محكم الترتيب ، فأولها في أخلاق الناس و « الرعية » في ذلك العهد ، ووسطها في الكلام عن علاقة من الراعي والرعية ، وآخرها في الكلام عن راعي الناس في ذلك الوقت ، أو لإمام . فهو قد جمع فيها أطراف النظام السياسي ، وتكلم عن كل طرف على النحو الذي يسوق الكتاب له .

فما كلامه عن « الرعية » فهو وصف بليغ — وينبغي أن يكون صحيحاً دقيقاً أيضاً — لأخلاق الناس وسلوكهم في هذه الفترة المضطربة ، في أول عهد أمهولة عباسية . بل لعله من خير ما يوصف به الناس — بوجه عام — في مثل هذه الفترة من فترات الانقلاب السياسي ، حين تترايل الأخلاق ، ويشيع في الناس الشك والقلق وسوء الظن ، وتزول من بينهم الطمأنينة ، ويكثر فيهم الخيال والتوثب والجموح ، ويعيث فيهم الفساد في جميع نواحيهم : « ففانلهم باغ ، وساءلهم عياب ، وسائلهم متعنت ، ومجيبهم متكلف ، وواعظهم غير محقق لقوله بفعل ، وموعظهم غير سليم من الهزل والاستخفاف ، ومستشيرهم غير موطن به على إنقاذ ما يشار به عليه ، ومصطبر للحق مما يسمع ، ومستشارهم غير مأمون على الغش والخسدة وأن يكون مهنا كاللستر ، مشيعاً للفاحشة ، مؤثراً للهوى . والأمين منهم غير متحفظ من أئمان الخونة ، والصادق غير محترس من حديث الكذبة ، وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجرة . يتقارضون الشناء ، وقبوض الدول ، ويعيمون بالهمز . يكاد أحزمهم رأياً يلفته عن رأيه أدنى الرضا وأدنى نسخ ، ويكاد أمتهم عوداً أن تسجره الكلمة ، وتسكبه اللحظة . »

وإن هذا الوصف الذي يعتبر وثيقة من أحسن الوثائق التي تصور لنا حالة الشعب النفسية في تلك الفترة .

وما كلامه عن علاقة ما بين الراعي والرعية وصور هذه العلاقة ، فقد بناه على نوع من التقسيم المنطقي ، مداره هذان الطرفان مضروبين في حالتى الصلاح والفساد ، على نحو يذكرنا بما هو شائع في كثير من كتب المتأخرين ، فتكون الحالات ربما مرتبة هذا الترتيب : خیرها ما اجتمع فيه صلاح الراعي والرعية ، يؤدي الراعي إلى الرعية حقهم في الرد عنهم وتديير شؤونهم ، وتؤدي الرعية

إني لراعى حقه في المودة والمصاحبة والطاعة . ثم تلى هذه الحالة أن يصالح الامة  
وتفسد الرعية . ثم عكس هذا : أن تصالح لرعية ويفسد الراعى . ثم شره  
جميعاً وهو ما اجتمع فيه فساد الراعى والرعية .

والذى يعنى ابن المقفع من هذه الحالات الأربع هو الحالة الثانية . فأم  
الساس أو الرعية فهم هؤلاء الذين تحدث عنهم ووصف الفساد لشائع فيهم في  
أول هذا الفصل . وما الإمام فقد خصه بالفهم الأخير منه ، وقد جعل يردد  
الكلام فيه بين ناحيتين : مديته التى يسير بها في رعيته ، ومعدنه الذى يرجع  
إليه ويمت به . فيقول في الأولى مثلاً : « ... قد رأينا حظه من الله عز وجل  
في تثبيت العصمة ، فلم يبرح الله يزيد خيراً ، ويزيد به رعيته مذولاً ، فمعدنا  
من هذا وثائق من عبر وبيّنات » . ثم ينتقل من هذا إلى أسلوب من الرجاء ،  
ليكون له بذلك أسلوب آخر في الإقناع ، فيقول : « ونحتسب من الله عز وجل  
ألا يزال إمامنا يسارع في مرضاة ربه ، بالاستصلاح لرعيته ، والصبر على  
ما يستنكر منهم ، وقلة المؤاخذة لهم بذنوبهم ، حتى يقبل الله له بصلاحه قلوبهم  
وبفتح له سمعهم وأبصارهم ، فيجمع ألفتهم ، ويقوّم أوكدهم ، ويلزمهم مرشد  
أمورهم ، وتتم نعمة الله على أمير المؤمنين بأن يصلحوا له وعلى يديه ، فيكونوا  
رعية خير راع ، ويكون راعى خير رعية ، إن شاء الله وبه الثقة » . وأما  
الناحية الثانية ، وهى معدن الإمام « فإن أعظم حقوق الناس منزلة ، وأكرمها  
نسبة ، وأولاها بالفضل ، حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نبي الرحمة ،  
وإمام الهدى ، ووارث الكتاب والنبوة والمهيمن عليهما ، وخاتم السير  
والصديقين والشهداء والصالحين ، بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بهداه  
وسراجاً منيراً ، ثم هو باعنه يوم القيامة مقاماً محموداً . شرع الله به ديه ، وأنم  
به نوره ، ومحق به رءوس الضلالة وجبايرة الكفر ، وخوله الشفاعة ، وجعله في  
الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم . »

فهذا تحليل الفصل الذى اعتبرناه « مقدمة اليتيمة » حاولنا فيه أن نبرز  
خطوطه الرئيسية وقسماته البارزة . ومنه يتبين لنا مبلغ ما في ذلك رأى  
السائد عن « اليتيمة » — وهو الرأى المستوحى من الباقلاوى — من مجانة  
للصواب ، وأن ذلك الوصف الذى وصفه صاعد الأندلسى به ، وهو « طاعة  
السلطان » ، وهو الوصف الذى لم يكده أحد يلتفت إليه ، هو الحق الذى لا ريب

فيه . كما تنبئ لنا منه أيضاً بعض الدوافع التي حفزت ابن المقفع لكتابته ، وهي تلك الفتن والثورات التي غمرت العالم الإسلامي في تلك الفترة ، والتي كانت ترتب بالدولة وتثوب عايتها ، ولا سيما في مدينة البصرة حيث كان يقم ، فكأن كتابه هذا . وهو يشعر بالخطر الذي يهدد هذه الدولة الصديقة — مدافعاً منها محتجاً عنها خاصة وعن السلطان عامة ، يدعو الناس إلى الهدوء ، ويرغبهم في الطاعة ، ويبصّرهم مغبة المعصية ، ويسلك في هذا الإقناع السبل المختلفة ، بين اللين والشدّة . وبين مخاطبة العقل واستثارة العاطفة الدينية ، إلى غير ذلك مما نرى نحوه في قطعة طيفور هذه ، ونحو آخر في القطعة الثانية ، وهي قطعة ابن قتيبة (١) .

وهذه القطعة مبنية على افتراض يدعو إليه الإقناع ، وهو أن في السلطان شراً إلى جانب ما فيه من خير . ولعل هذا الافتراض كان من بعض نواحيه أثراً من آثار الدعوة التي كانت طائفة من الخوارج يبثونها ، منكرين وجوب الإمامة داهيين في تأكيد رأيهم وتأييد دعوتهم لمذاهب المختلفة ، من بيان الشرور في صحته الإمامة وما زالت تصحها ، فكان لا بد لابن المقفع من ذرية في الرد على هذا في ترفق وكياسة ، مستعينا ببلاغته وثبوتيه جميعاً ، فكتب هذا الفصل لدى قلبه ابن قتيبة في أول كتاب السلطان ، وأخذ يضرب فيه الأمثال لقليل مصار السلطان في جنب منفعه ، بامتزاج الخير والشر في جميع ما أفاء الله على أهل هذه الدنيا . فالسلطان عنده نعمة من نعم الله التي أتاحها لعباده ، وقدّر لها خيرها كالغيث والريح والصيف والشتاء والليل والنهار . وما قد يصحب السلطان من ذي وضر فإنما هو بقدر ما لا بد منه في سنن الكون ونواميس الخليقة ، على نحو ما في «الغيث الذي هو سقيا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السفّر ، ويتداعى له البنيان ، وتكون فيه الصواعق . وتدر سيوله فيهلك الناس والدواب ، وتوج له البحار ، فتشتد البلية منه على أهله .

(١) لا ريب عندنا في أن هذه القطعة صحيحة النسبة إلى يتيمة ابن المقفع ، وإن كان ابن قتيبة قد أغفل في إسنادها النص عليه ، إذ اكتفى في ذلك بقوله : « وقرأت في اليقظة » . إذ كان صاحبها في ذلك الوقت متعياً كما يظهر . ذلك أن الثعالي يورد في كتابه « ثعالب ثوب » فقرات من هذه القطعة ، مع النص على أنها من يتيمة ابن المقفع . وهذا دليل مادي يضاف إلى ما يشهد به أسلوبها وموضوعها .

فلا يمنع الناس إذا نظروا إلى آثار رحمة الله في الأرض التي أحياها، والنبات الذي أخرج، والرزق الذي بسط، والرحمة التي نشر، أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها، وينفوا ذكر خواص البلايا التي دخلت على خواص خلق الله إلى غير ذلك من الأمثال التي يشرحها في براعة وجل. وإذا كانت هذه سنة الله في خلقه، فليس في هذا الأذى الذي قد يحسه الناس في السلطان ما يدعو إلى الشك في أنه نعمة من نعم الدنيا، أو يدعو إلى الخروج عليه أو التحلل من طاعته. وما القطعة الثالثة فقد أوردها ابن عبد البر في سياق الأقوال المحتفة في كراهية الرأي ووجوب الرجوع في أحكام الدين إلى السنة والاختصاص بالآثار الصحيحة، وكان ذلك مذهب عامة أهل البصرة، ووجهها من أوجه الخلاف بينهم وبين الكوفيين. وقد يبدو أول الرأي أن هذه القطعة بعيدة عن موضوع القيمة الذي رأينا، وملايساتها التي لاحظنا، وذلك إذ يقول فيها:

« ولعمري إن لقولهم ليس الدين خصومة أصلا يثبتته. وصدقوا، ما الدين بخصومة. ولو كان خصومة لكان موكولا إلى الناس يثبتونه بآرائهم وظاههم. وكل موكول إلى الناس رهينة ضياع. وما ينقم على أهل البدع إلا أنهم اتخذوا الدين رأيا؛ وليس الرأي ثقة ولا حتما، ولم يجاور الرأي منزلة الشك والظن إلا قريبا، ولم يبلغ أن يكون قينا ولا ثباتا. ولستم سامعين أحدا يقول لأمر قد استيقنه وعامه: أرى أنه كذا وكذا. فلا أجد أحدا أشد استحماه بدينه ممن اتخذ رأيه ورأي الرجال دينا مفروضا. »

ولكن هذا لا يكفي في حملنا على الشك في نسبة هذه القطعة إلى القيمة التي يذكرها صاعد، معاصر ابن عبد البر ومواطنه؛ إذ ينبغي أن نلاحظ أولا أنها مقتضبة من سياقها في الكتاب، وأنها لا يبعد أن تكون استطرادا. ومع ذلك فإننا نزع أن الصلة بينها وبين « داعة السلطان » ماثلة، فإن دعاة الثورة وشق عصا الطاعة إنما يعتمدون في دعوتهم على آراء في الدين يرونها. فهذه القطعة — فيما أحسب — منقولة من فصل كتبه في تهجين ذلك المذهب الذي يذهبون إليه. ومهارته تظهر في اصطناع قول البصريين فيما يرمى إليه من الدعوة إلى الطاعة، والبصريون هم في ذلك الوقت أشد الناس مجافاة للدولة ومحاداة لها وإنكارا عليها. ولكن ابن المنفع يخالف البصريين في شيء خطير، وهو

أنه إنما يسلب الناس حق الرأي لا إنكاراً للرأي في ذاته ، ولكن ليهب ذلك الحق للدولة . فعنده أن للإمام وحده حق الحكم بالرأي فيما لم يكن فيه نكر . وبعد ، فهذه صور من كتاب «اليتيمة» نرجو أن يكون فيها بعض البيان عنه ، وإراحة لما تغشاها من غموض وإبهام . على أننا نستطيع بجانب ذلك أن نتمثل بواحي أخرى منه ، إذا نحن نظرنا في رسالة الصحابة له . فقد عرض في خلالها هذا الموضوع الذي بنى عليه كتابه هذا ، وهو طاعة السلطان ، فأورد الآراء التي كان الناس من الفقهاء ومن إليهم يقولون بها في هذا الصدد ، كقول بعضهم : إن أمرنا بالإمام بمعصية الله فهو أهل أن يعصى ، وإن أمرنا بطاعة الله فهو أهل أن يطاع . وكقول الآخرين : بل نطيع الأئمة في كل أمورنا ، ولا نفتش عن طاعة الله ولا معصيته ، ولا يكون أحد منا عليهم حسيباً ، هم ولاة الأمر وأهل العلم ونحن الاتباع وعلينا الطاعة والتسليم . ثم وقف بين هذين المذهبين يناقش كلا منهما ، ويبين ما يترتب عليه من توهين السلطان وتهجين الطاعة ، حتى ينتهي إلى الرأي الذي يراه في هذه المسألة ، وهو الفصل بين طائفتين مختلفتين من أمور الدين : أولاهما المرائض والحدود كالصلاة والصيام والحج وحدهم المرفقة ، وهذه أمور لم يجعل الله لأحد عليها سلطاناً ، فلا طاعة للإمام لو أنه نهى عنها أو رد تعطيلها . والآخرى شؤون الدولة وتديرها ، كالغزو والتفوق ، والجمع والقسم ، والاستعجال والترك ، فهذا مما جعل الله أرومته بيد الإمام ، فمن عصاه فيها أو خذله فقد أوتغ نفسه .

وأكبر الظن أن هذا الذي عرض في رسالة الصحابة كان من الموضوعات التي تناولها بالبيان والتحليل في كتاب «اليتيمة» . فإذا صح هذا الفرض كان هذا الجزء من رسالته مما يزيدنا بهذا الكتاب معرفة ، ولا سيما إذا صح ما تقترضه أيضاً ، وهو أن الظروف التي لا بدت رسالة الصحابة وأوحت كتابتها ، هي لظروف التي لا بدت كتاب «اليتيمة» ، ودفعت بن المقفع إلى وضعه .

طه الحامري



## العابد المثالي

« الفجر »

من وراء الظلام قبل يسرى  
 وعلى وجهه يرفُ صفاء  
 أينما سار فالظلام صياء  
 جاء يسرى، والبدر في الأفق يسرى  
 تارة يأمن العيون فيبدو  
 ورياح المساء تبعث تمجوا  
 فتثير الحنين في كل قلب  
 وأنا جالس على الرتبة الخضر  
 ساهر أنظم الحياة بروحي  
 وبت الوجود أشواق نفسي  
 وأغنى، وياله من غناء !  
 ظل يسرى حتى أتى الغاب فأنسا  
 ومضى في رحابه مستشفياً  
 وقفة عند أيكة تتجلى  
 عند غصن يداعب النور عطفي  
 وتريق الندى عليه النسيما  
 عند زهر يلوح كالشفق الحيا  
 عابد في ثيابه البيضاء  
 مستمد من فائه الوفاء  
 عبقرى الإتيان والآلاء  
 كسرى المستهام في الظلماء  
 فإذا خاف جدًّا في الاختفاء  
 ها لروح الطبيعة المندراء  
 من قلوب العشاق والشعراء  
 وراء، والروح ساج في الفضاء  
 في قصيد يزهو بحسن الأداء  
 لمهود قد أمعنت في التناي  
 ثم أبكى، وياله من بكاء !  
 ب إليه كالجدول المترائي  
 كل ما فيه من بديع الرواء  
 عن غرام محب وغناء  
 ، فيغضى ويلبث في حياء  
 ت فيتر هزة الحناء  
 لم بين السحاب الشهباء

عند مهر كآته الأمل السآ (٥) م يمدو في ظلمته السآ  
 نام في روعة العروس تعرت  
 وعلى الجدول الذي راح يصغى  
 وقف المآبد التي يصلى  
 ويناجيه في خشوع عميق  
 قال : يا خالق الوجود جيلا  
 إن هذا الجمال يغمر نفسى  
 إن هذا الجمال يسمو بروحى  
 فأراى بها هزارا طليقا  
 هز أشواقه نداه خفى  
 عائدا للخفاء موطنه النا  
 كسفين أضله البحر دهرأ  
 وزانى بها شعاعا طليقا  
 هائما ساجحا إلى الشاطئ الثا  
 إن هذا الجمال لحن عميق  
 أنت أبدعته فكان نشيدا  
 هو بين السهول همس ونجوى  
 كل مائ الوجود روح جميل  
 ساحر فائق خريفا وصيفا  
 غير أن العيون لا تسبر الآء  
 وأنا أبصر الوجود بروحى  
 يا إلهى لآنت نبع حياتى  
 فلك الشكر يا بديع البرايا  
 يا إله الوجود تلك صلاتى  
 فتقبلهما مناجاة روح  
 واعف عني إذا تبينت عجزى  
 واغفرلى أن لم أحط بك علما  
 ووداعا يا أيها الغاب حتى

م يمدو في ظلمته السآ  
 فبدا نور جسمها الوضآء  
 في ذهول إلى حديث المساء  
 للإله العظيم رب السماء  
 كنى في ساعة الإيحاء  
 لقلوب إلى الجمال ظاء  
 بضياء الهدى ، ونور الصفاء  
 في حواء طليقة الأرحاء  
 لا ينى طائرا صباح مساء  
 فهنا هائما وراء النداء  
 نى ، وقد جاء من ضمير الخفاء  
 وهده السرى إلى الميناء  
 يتسأ بالشوق نحو العلاء  
 نى على موجة من الأضواء  
 ساحر الجرس ، فائق الأصداء  
 هز روحى وخافقى ودمائى  
 وهتاف فى القمة العليا  
 رائع فى الظلام أو فى الضياء  
 مشرق فى الريح أو فى الشتاء  
 ماق . . . بل تستقر فوق الماء  
 فأرى كل مابه من بهاء  
 وحياتى من أعظم الآلاء  
 ولك الحمد مبدع الأشياء  
 ملؤها نشوتى ، وهذا دعائى  
 برئت من نوازع الأهواء  
 فأنا من عبادك الضعفاء  
 أنت فوق النبى ، وفوق الذكاء  
 يأذن الله بيننا بالقاء

## العابد الثاني

ومضى العابد الثاني من الغا ب إلى أفقه العميق الثاني  
 واختفى في قصائه كشعاع أدركته غياهب الظلماء  
 فاستفاق الوجود من نشوة الحب (٠) وهبت عناصر الغضاء  
 واستسرى الهدوء في لسجة الكبر رى، وغاب السكون في الصوص،

ابراهيم محمد نجا

## جان پول سارتر ومواقفه

### الخيال والوجود

إن نظرة نلقها على موضوعات الخيال تدلنا على أن هذه الموضوعات ليست قائمة في عالم الواقع الذي ندرکه الحواس ويحوى ما يحيط بنا من أجسام وحيوان وأناس مثلاً. بل إن عالم الخيال لا يشترك في حياة «الأناس»، ولا يشترك تطوره، إن صح الكلام عن تطور، في تغير «الأناس». ولعل أقوى دليل على «عدم» موضوعات الخيال كونها لا تبدو قائمة في زمن ما: فلا يمكننا أن نلاحظ موضوع خيال في تغير زمنى متصل، بل غاية ما ندرکه لحظات تتصور فيها الحوادث الخيالية، وهذه اللحظات الخيالية، حتى إن بدت متقاربة فهي مع ذلك متفرقة متباعدة، لا يربط بينها إلا اتجاه الفكر للحوادث المتخيلة، وربطه المستمر بين أجزاء الحادث الخيالى، ونل تفكير في حلم من أحلامنا يؤيد ذلك تمام التأييد. وقد يعترض بنا لشعر عند مطالعنا لقصة من القصص بأن حوادثها تقوم في الزمن، وأن منها ما يعطينا شعوراً بالزمن شديد القوة والحيوية. قد يتعذر الإجابة على الاعتراض إن لم نفكر في أن القصص لا يوحى إلينا بالزمن مباشرة بل يعمل على التأثير فينا، وعلى إثارة اهتمامنا بحوادث القصة، حتى ينتقل زمننا الشخصي إلى هذه الحوادث فيربط بينها، ويعطيها وحدة أو شبه وحدة. وليس من شك في أننا عندما نطالع فصول قصة رائعة مثل إحدى قصص دوستويفسكى أو سارتر نفسه (في الغنيان مثلاً) نحس بكشافة زمنية للحوادث. وهذا الإحساس دونه نتيجة اجتماع شعورين، شعور المؤلف بالزمن وشعور المطالع به. وتقوم في هذا الزمن المزدوج حوادث لها قوة، إن لم تحك في حقيقتها قوة الحوادث الواقعية، فهي قد تفوقها من حيث تأثيرها في المواقف. وما ذكرناه في المقال السابق عن صلة الخيال بالعوامل العاطفية يؤيد ذلك.

والموضوعات الخيالية غير موجودة في المكان أيضاً، ووقت مكانها غير المكان النسبي لدى تتعين فيه موقع موضوعات الحس في كسبانها وتغيراتها المتبادلة. مكان الموضوعات الخيالية مطلق، أقصد أن تعييناته المكانيه خاصة به، جزء منه، لا تنفصل عنه، لهذا الموضوع مكان كما لموضوعات العالم راحة أو لون أو طعم. ومكانه مطلق بمعنى أدق؛ لأنه لا يتعين بالنسبة لموضوعات أخرى قريبة منه أو بعيدة عنه، يتجه نحوها أو تنجيه نحوه. فعندما أتخيل صديقاً لي أقرر أنه قصير أو طويل أو ممين، سى الإخلاق، لا أقارنه بموضوع آخر أكبر أو أصغر، شمن أو أخف، كما لو كانت الطول أو القصر أو غيره من الصفات المكانيه منسوبة له كما ينسب الأحمر للطربوش. وإذا كنت أتخيله سائراً في الطريق، فهو لا يتقدم في تصوري، ولا يتأخر بالنسبة لغيره من الناس والأجسام. وإن تخيلته في غرفته فكأنه جزء منها، أو كأن غرفته جزء منه تلتصق به ولا تنفك عنه.

هذا معنى قول سارتر إن موضوعات الخيال خارجة عن الوجود، وأن لا ركن ولا مكان لها. ويرى سارتر بالإجمال أننا نأمن في الموضوعات الخيالية شهاداً على أن ثمة عدما هو موضوع الشعور، وأن الحوادث الخيالية هي هذا العدم، ومظهر واضح له، إن أمكن وجود مظهر لما لا وجود له. وليس لخيال إلا فعلا يسجل الاعتراف بهذا العدم.

هل تحوى النفس إذن فعلين متناقضين: الخيال والإدراك الحسى؟ وهل هناك موضوعات يكتفى أن تتمثل لندهن حتى تخفى موضوعات الواقع؟ وكيف يصح هذا التناقض ولا يحدث عنه في النفس خلل وفي العالم اضطراب شديد؟ ولكن ربما كان الخيال شيئاً غير أساسى في النفس، وفعلاً طارئاً عديم الأهمية إذ، ووزن الإدراك الحسى، وعرضاً في جوهر النفس ليس له ما يؤثر فيها أو ما يخل بتوازنها. وربما كان الموضوع الخيالى أيضاً يعرض لنا دون أن يحدث بذلك في العالم اضطراباً أو خللاً، هو على هامش الوجود، تعرض له النفس وتقصده في لحظات زائلة، عندما تكون النفس ذاتها على هامش وجودها أشخصي تلهو به وتلعب في لحظات فراغها، كما تلهو الصبية وتلعب. أليس موضوع الخيال عدماً، أى لا شئ، أى ما ليس وراءه شئ، — أى بادلاً وعملاً، يجب ألا نقف عنده، ولا نعيرد أى التفات، ولا نحلق منه مشكلات؟

إذا كان الخيال على هامش النفس وكانت موضوعاته على هامش العالم، أعراضاً بره لا أهمية لها، فليس ثمة ما يسوّغ قيام الخيال في النفس، أقصد أننا لسنا في حاجة إلى مسادى فلسفية تفسره. وليس صادراً عن جوهرها من حيث هي مدركة، وليست موضوعات الخيال صادرة عن جوهر العالم من حيث إن العالم موجود، وإن النفس تدركه. ويصح إذن في هذه الحالة أن نهمله كفلاسفة ولا نعتدّ به، كما لا نعتدّ من حيث نحن فلاسفة بأعراض النفس الغريبة وأعراضها. ما إذا كانت هناك شروط تسوّغ قيام الخيال وتفسر موضوعاته، إذ كان هناك ما يجعل الخيال وموضوعاته أشياء «ممكنة» على حد تعبير كسنت، يصبح ثمة مجال لسؤال كما فعلنا: كيف يمكن قيام الخيال وموضوعاته، دون أن تؤثر في النفس، ويحدث فيها وفي العالم خلالاً أو اضطراباً؟

نستدل من التفكير فيما يباه من عوامل الخيال ومن طبيعة موضوعاته وكيفية موطأ النفس، أن ثمة شروطاً فلسفية تفسره وتجعله «ممكناً» بين أفعال الشعور. وهذه ما ذكرناه من أن موضوع الخيال غير قائم في الوجود وهذا معناه على ما سنشير: (ولاً) أن الخيال يحمل عامل إنكار، بل إنه في ذاته فعل سالب. يمكن حكماً سالماً بالمعنى الدقيق فنحن عندما نتخيل ننتفي عن موضوع ذلك حصاً عن الوجود كما نمثل لنا في الإدراك الحسي الخيال إنكاراً إذن أو صور مقترن بإنكار. (ثانياً) الخيال يحررنا من شرائط الوجود العالمي، فهو إذن شرط لحركة النفس؛ إذ أننا عندما نفكر في الخيال، فنحن نقطع ارتباطنا بما هو الوجود. ومن ثمة لا نخضع لقوانينه. وفي الخيال نشعر بأن موضوعاته، حتى، كان من بينها، فبالإدراك حسي فعلي، تصدر عن النفس لا عن الخارج، ثم تختفي في النفس بإرادتها.

نصل إذن إلى تفسير الخيال تفسيراً فلسفياً، وإلى وضع شروط «مكانه» عندما لاحظ أنه يقوم من ناحية على قدرة في النفس على النفي، ومن ناحية أخرى من حرية النفس، وتعبير آخر على قدرة النفس على إنكار العالم بحملته، وعلى تحرير من العالم بحملته. يتطلب الخيال إذن استطاعة النفس الابتعاد عن العالم، نتحد مركزاً لشعر النفس فيه بأنها في معزل عن العالم، مركزاً يمكنها منه أن تترك العالم بالنسبة إليها، وأن تمكّر ذاتها بالنسبة إلى العالم. العالم في هذا المركز



معدوم بالإضافة إليها ، وهي في هذا لمركز معدومة بالإضافة إلى العالم . وهذا معنى ما يقرره سارتر من أن الخيال فعل معدوم ، للعالم والعدم يتطلب موضوعاً . يبدو إذن أن الساقض بين الخيال وبين الإدراك الحسي أمر لا مفر من الاعتراف به . ولكن علينا أن نسأل مرة أخرى : كيف يصح الإقرار بهذا التناقض دون أن يحدث عنه في النفس اضطراب وفقد توازن ؟ وكيف يصح فيه تناقض صريح بين فعلين ، مثل الإدراك الحسي والخيال ، يسيران جنباً إلى جنب ، أحدهما يفترض قيام الآخر ، وتحاكي موضوعاته موضوعات الآخر ؟ أطنن الأمر يحتاج إلى مراجعة آرائنا عن الإدراك الحسي وعن الشروط التي يقوم عليها . الإدراك الحسي تقرير لواقع ، تقرير لموضوع في العالم من حيث إن هذا الموضوع حاضر أمام الذهن حضوراً فعلياً . ولكن كي يحتفظ هذا لتقرير بقيمته ، وكي يقوم إدراك حسي بالمعنى العام ، يجب أن نفترض ، بين فعل الإدراك وبين الموضوع المدرك ، تمراً دقيقاً . وواضح أننا في إدراك الحسي لشيء واقعي لسنا مختلطين بالشيء ، وأساساً نتمتع ضمناً ، عن شيء ذاتاً المدركة ، لا في طبيعتها فحسب ، بل في شرط وجودها أيضاً . ومعنى هذا أن الإدراك الحسي يتضمن إمكان قيام النفس بمعمل عن العالم الذي تدركه أو عن موضوع منه . ولكن ما هذا الشرط الضمني للإدراك إلا ما ذكرناه بلدات عن الخيال ، يفترض كل من الخيال والإدراك عالماً واقعياً ، ويتخذ الإنسان لدته وكل منهما موقفه إزاء العالم وموضوعاته ، ويميز ذاته في كل منهما عن هذا العالم .

لا يذهب إذن الاختلاف بينهما إلى حد يجمع اتفاقهما ومشابهة موضوعات أحدهما لموضوعات الآخر ، ولا إلى حد يحدث اضطراباً في النفس وفقداناً لتوازنها . وإذا كان الخيال يفترض العدم في موضوعاته ، عدم العالم بالنسبة للنفس التي تتخيل ، إلى حد ما يفترض الإدراك هذا أيضاً ، ولا يمكن كما ذكرنا ، إدراك العالم أو موضوع فيه إلا إذا كنا قادرين على اتخاذ حركة تراجع والسحب بالنسبة له ، وما معنى هذا التراجع إلا أننا في الإدراك لا نقرر على الإطلاق أن العالم شيء واحد ، بل إننا نعتبر العالم عديمًا بالنسبة للنفس . وهذا بالضبط ما يقوله هيدجر إن : « العدم قائم في جوهر الوجود » .

ولكن واضح أن النفس لا تقرر هذا العدم تقريراً صريحاً في الإدراك الحسي كما تفعل في الخيال . وواضح أن النفس عند اتحادها بالعالم في الإدراك الحسي ،

نجد اتحادها ، على قول سارتر ، الموقف الواقعي ، تقترب من العالم أشد اقتراب . فتراجعها عن العالم في الإدراك بالقوة لا بالفعل ، وبحجاوزها له ، بالقوة لا بالفعل . وواضح أخيراً أن الخيال انقلاّب النفس من حالة القوة إلى حالة فعل ، فتتحلى النفس عن مقتضيات العالم ، عندما تطفئ هذه على النفس وتقدها حريتها .

إذا كان الخيال يعني مجرود النفس لتخاض من مقتضيات الوجود ، ولا إعطاء الحرية ثم معانيها ، فالنقطة دون شك هو قصى مراتب الخيال ، وهو أكثر أفعاله سفرراً وانضماماً . فالنقطة على الأقل ما لا خيال من خصائص ، وآليات الفن . لموضوعات الخيال من المميزات . فالنفس لا يعمل كما يدعي البعض على تحقيق فكرة مثالية أو على إنزالها إلى ميدان الواقع ، وصنفاً بلوانه ، بل يجهد من ، ما استطاع ، أن يخرج ذاته وموضوعاته من الواقع . انظر إلى هذه اللوحة لـ "المنصور الفرنسي المعاصر" تجد اللون الأحمر فيها يكتسب قيمته الفنية بتره من صوف سجادة ، ثم لاحظ كيف يتخذ اللون الأخضر الذي يغطي الحائط فيها لماً آجافياً جامداً ، وذلك بمجاورته للأحمر المذكور . والحقيقة أن لون اللوحة تكتسب معناه ومغزاها من موقعها في كل غير موجود أمامنا ، في كل قائم في العدم . واللوحة التي أمامنا وآلوانها وتركيب هذه الألوان والآلوان تخصي بذهننا إلى كل في العدم يوحي لنا المصور به ، ويريد منا أن نشاهده في اللوحة .

تت في دار من دور الموسيقى تتوقع سماع السيمفونية السابعة لبينهنوفس : فنس . تبدأ الجوقة ، فأتت مثل غيرك من الناس تشعر بمرور الوقت شعوراً وفعلاً متفاوت حسب ملائسات خارجية أو حسب حالة نفسك ، ولكن ما تبدأ خوفاً بعرف ، حتى تأخذك النغمة من الواقع ، وتنقل بك إلى عالم آخر هو عالم سيمفونية السابعة ذاتها . وهذه السيمفونية التي تنصت لها في روعة وخشوع لا بد للمعنى الدقيق في هذا الوقت أو ذلك ، ولا تمر أجزاءها بلحظات الزمن سوى بقدرة الناس بشعورهم أو بساعاتهم . وللسيمفونية السابعة نهاية ، ولكن هذه النهاية لا تسبق لحظة أخرى هي التي ستحدد نفسك فيها عند ما تترك مع المستمعين دار الموسيقى ، بل لا تقوم هذه النهاية إلا بالنسبة لابتداء السيمفونية لأحرائها المختلفة ، ولا علاقة زمنية لها بزمك أو زمن الآخرين .

تأمل فيما تشعر به عند خروجك من المسرح من الاشمئزاز . كنت في عالم آخر  
تملكت نفسك حتى عجزت ، عند زوله ، عن اتخاذ ما يناسب العالم الواقع من  
المواقف . هذه ومثله أخرى غيرها تقيد فكرة سارتر في أن الفن كجميع  
مظاهر الخيال يفترض انعدام العالم .

أخيراً يؤدي بنا التفكير في الصلة الوثيقة بين الفن والخيال إلى قول أن  
الخيال غير متحقق في الوجود ، وأن العالم في ذاته غير جميل ، وأما لا نشير  
بالجمال إلا بقدر ما نتراجع عن العلم ، وبقدر ما ندخل العالم بالنسبة لنا في العدم .  
ويقول سارتر إننا لا نستطيع القول عن امرأة إنها جميلة إذا كنا نراها أو نسمعها ،  
بل جمال المرأة يصبح حقيقة لأبد لا تأس ، ولا عين لا تنصر .

هذا بإيجاز ما يراه سارتر في الخيال وفي صلته بالإدراك والوجود ، وهذا  
ما يخلص له من النتائج في الفن والخيال . ولسنا نرمي إلى التعرض لهذه المسألة  
بالفحص والتحصيل ، ولا إلى تخطيط سارتر فيما يدعيه من انفصال قيم الفن  
والخيال عن الحياة والواقع ، ولا إلى مناقشة موقفه من الوجود والعدم بالرغم  
من هذا الموقف من الخطر والأهمية . ولكننا نكتفي بالإشارة إلى المسألة الرئيسة  
التي يعالجها في كتاب « الخيال » . ويبدو لنا أنه إذا لمسا ضعف موقفه من  
الخيال وضعف منهجه في معالجة الخيال ، لمنا ولو عن بعد ، موقفه إزاء المشكل  
الأخرى المتعلقة بالفن وبالفلسفة البحتة .

نلاحظ أولاً أن سارتر لم يميز بين نوعين من الخيال : واحد يسترجع ما عشناه  
الحس مرة أو مرات ، ويقرب من الذاكرة إلا في أنه غير مصحوب بتعريف  
ولا بتعيين . وآخر يصنع موضوعاته صنفاً ، ويؤلفها تليفاً . لا يميز بين نوعين  
من الصور ، صور راجعة وصور جديدة ، وإن كان كثير مما يذكره سارتر ينطبق  
على الخيال المخترع ، فلا شك في أن أغلبه لا ينطبق على حال من الأحوال على  
الخيال الآخر ، وهو صورة أو تصور طبق الأصل لما أعطاه لنا الإدراك الحسي .  
ولا شك أن سارتر بإيمانه هذا المميز يفتقر لتقارب أساذج بجدة ما وصل إليه  
من النتائج ، وباتساع الميدان الذي عملت بحوثه على اكتشافه .

هناك ثانياً نواح في وصف سارتر لا نرى بالضبط صلتها بفعل الخيال  
فما يذكره خاصة عن الشبه القائم بين مظاهر الخيال ، وضروب السحر والشعوذة  
أو تصورات الدائنين شيء قد كان محذوراً عدم الاسترسال فيه . وغلب الظن

عندنا أنه مرفق هذه الأبواب . لأنها من ناحية تسمح له بإنشاء دنى يقبل عليه الجمهور ويحبه ، ولأنها متصلة من ناحية أخرى ببعض نظريات رائجة في هذه الأيام ، يعترض صحتها دون أن يعرض لها بالتفصيل ، ودون أن يناقش قيمتها على الإطلاق . ١

يقول سارتر إن الخيال إنكار هو مظهر لحرية النفس ، وإن موضوعه العدم . ويدعى أن هذا التفسير قد أعانته في حل المشكلة القائمة بصدد صلة الخيال بالإدراك الحسي . ولكن لا يسعنا إلا أن نلاحظ هنا أن ما اعتبره سارتر شرطاً لازماً لفعال الخيال ، عد فصرح بأنه لازم أيضاً للإدراك ، بل قبل ضمناً أنه شرط لازم لجميع أفعال الشعور . كانت : ففي كل فعل من أفعالها تكرر النفس أنها والعالم شيء واحد ، وفي كل فعل تقرر ضمناً أو صراحة حريتها . أي إن الشرط المذكور لا ينطبق على فعل الخيال خصب ، بل هو عام مشترك بين جميع أفعال النفس . لا يميز سارتر إذن الخيال عن غيره ، ولا يفرقه في ذاته ، ولا يعينه بالمعنى الدقيق ؛ فهو لا يفسره من حيث هو خيال .

وحدة القول : يحمل سارتر على إعطائنا وصفاً سيكولوجياً دقيقاً للخيال ، ووفق في ذلك أتم التوفيق . ونجح سارتر في معالجة المسائل المصونة بالخيال بطريقة جذابة مشوقة ، وعبر عن آرائه بأسلوب جميل رائع ، ونظ أفكاره تنظيمياً دقيقاً . ثم إنه حاول إيجاد تفسير فلسفي للخيال ولموضوعاته ، فوفق في ذلك ، ولم يحصل بالفعل على شيء دقيق . وربما أمكن رد عدم توفيقه هذا إلى ما ينقص سارتر من مميزات الفيلسوف الحقيقي ، أي الدقة في التحسين والتحيز ، والتندرة على رؤية الأشياء كما هي في ذاتها ، وعلى الفحص عن مسائل في أعماقها ، ولجهد المتصل بلوغ الحقيقة المجردة مهما كان السبيل إليها وعن عسراً .

نحيب : امري

## مأساة بني سراج

ألقى بعض كتاب الغرب لمحدثين مستقى حصصاً لأفلامهم وحياتهم في بعض حوادث التاريخ الإسلامي التي تمتاز بروعتها ولونها المشحونة وهم يجدون فيها محطاً بالأخص متى كانت تحتوي على عنصر نسوي أو غرامي . فنجد مصرع البرامكة وقصة العباسة أخت الرشيد مثلاً تقدم مادة طيبة لكتاب مثل لا هارب<sup>(١)</sup>، ونجد حوادث سقوط غرناطة ومصرع دولة الإسلام في الأندلس تقدم مادة غيرة لطائفة كبيرة من الكتاب والشعراء الأسبان يصوغونها في ألوان زاهية من الفروسية وفي ساليب شعرية وغنائية مشحونة . ويقتفى أثر هؤلاء بعض الكتاب الغربيين مثل واشنطن إيرفنج الكاتب الأمريكي، إذ يقدم لنا قصة ممتعة من القصص المتعلقة بحمراء غرناطة<sup>(٢)</sup> وشاتوبريان الكاتب الفرنسي إذ يقدم لنا قصته المعروفة: «مغامرات آخر بني سراج»<sup>(٣)</sup>. ومن الغريب أن نجد هذه الألوان المؤثرة الزاهية معاً كتاب الغرب قبل أن يجذب كتاب المشرق، فلا يتخذونها مادة للقصص التاريخية الرفيع، والمسرحيات الممتعة المليئة بالهبر . وسوف نعرض في هذا الفصل لصفحة من هذه الصفحات الإسلامية المشحونة، وهي مأساة بني سراج التي ألهمت قلم شاتوبريان . يبدو أنه يجدر بنا، قبل أن نعرض لجانبها القصصي الذي غلب على كتاب الغرب، أن نحاول أن نرى شيئاً من الضياء على أصلها التاريخي.

ومن بواعث الأسف أن الرواية العربية لا تقدم إلينا في هذا الموطن مادة تذكر، شأنها في معظم المواطن والحوادث التي ترتبط بسقوط غرناطة . وكل ما هنالك أنها تشير إلى بني سراج إشارة عابرة، فيذكر لنا المفسر بعد حديثه عن

(١) في مسرحيته *Les Barmécides* .

(٢) *Tales of the Alhambra* .

(٣) *Les Aventures du dernier Abencérage* .

أصول الأسر العربية القديمة التي تزحت إلى الأندلس أن بني سراج ينتمون إلى مدحج وطيحي من البطون العربية العريقة التي وفد بنوها منذ الفتح إلى الأندلس وكان منزلهم بقرطبة وجنوبي مرسية<sup>(١)</sup>، ولا نجد بعد ذلك ذكراً لبني سراج خلال حوادث التاريخ الأندلسي إلا في مرحلته الأخيرة، أعني مرحلة الانحلال التي انتهت بسقوط غرناطة وسقوط دولة الإسلام في الأندلس. ففي هذه المرحلة تشير الرواية غير مرة إلى الدور الذي لعبته الأسر القوية العريقة في تاريخ مملكة غرناطة، وتخص بالذكر بني سراج وبني الرعزي، وتنوه بما كان بينهما من التنافس في احتناء السلطان والنفوذ، وما كان لذلك من أثر في تطور الحوادث. وقد كان هذا التنافس طبيعياً بين الأسرتين؛ فبنو سراج يمثلون العصبية العربية القديمة، وبنو الرعزي من أصول البربر؛ والخصومة بين العرب والبربر شهيرة في التاريخ الأندلسي. وكان بنو سراج في أواخر أيام مملكة غرناطة يحتلون المقام الأول في النفوذ، وينافسون بني الأحمر ملوك غرناطة في الذخ والجود والبهاء، ولهم شهرة خاصة في ميدان الفروسية. وكان بنو الأحمر يتوجسون أحياناً من منافسة هذه الأسر القوية ولا سيما بني سراج. ولما ارتقى السلطان سعد الملقب بابن إسماعيل النصرى عرش غرناطة حاول أن يقضي على نفوذ بني سراج بوسائل عنيفة سافرة فلم يستطع، لوجهة الأسرة، ورسوخ مكاتها، ونشبت من جراء ذلك فتنة خطيرة في غرناطة (سنة ١٤٦٢ م) كادت تحتل عرشه. وكان تنافس الأسر والعرش من نذر الانحلال والتفكك التي أودت غير بعيد بمصير مملكة غرناطة.

وفي عهد خلفه السلطان أبي الحسن ظهر بنو سراج على مسرح الحوادث مرة أخرى. وكان السلطان أبو الحسن قد أقضى زوجه الشرعية الأميرة عائشة الحرة وولديها عمداً ويوسف وزجهما إلى أحد أبراج الحمراء نزولاً على تحريض زوجه الأسبانية الحسنة إيزابيلا دي سوليس التي تعرفها الرواية الإسلامية باسم «ثيا». وانقسمت غرناطة عندئذ إلى فريقين خصمين، يؤيد أحدهما السلطان وزوجه الأسبانية، ويؤيد الآخر الأميرة الشرعية وحق ولدها في العرش. وكان بنو سراج في مقدمة الفريق الثاني وقد اضطلعوا بأكبر دور في مناصرة الأميرة عائشة ومعاونتها مع ولديها على الفرار من سجن الحمراء (سنة ١٤٨٢ م)؛ وبهذا

(١) راجع فتح الطيب ج ١ ص ١٢٨.



## مأساة بني سراج

استطاعت أن تحشد أنصارها في وادي آش، وأن ترفع لواء الثورة . ولم يغفر السلطان أبو الحسن لبني سراج هذا الموقف قط . ويقال إنه عمد فيها بعد إلى تدمير كمين مروع لإهلاكهم في أحد أرباء الحمراء ، وهو البهو الذي عرف في بعد ، ولم يزل حتى اليوم يعرف بهو بني سراج .

بيد أن لرواية تختلف هنا ، فتنسب تدمير هذا السكن وتنسب لمأساة كابي إلى عصر السلطان أبي عبد الله محمد ولد السلطان بني الحسن وخلفه في العرش ، وهو الذي سقطت على يده غرناطة وانتهت دولة الإسلام في الأندلس . وهنا سند الرواية لون القصص المفرق ، وتقول لنا إن المأساة ترجع إلى أسباب غرامية حللتها أن محمد بن سراج ( أو ابن حامد ) عميد بني سراج وهو من كبار الفرسان والسادة ، هام بحب أميرة من البيت المالكة ، فوجد عليه لسلطان وقرر سحق الأسرة كلها . وتنسب بعض الروايات هنا هذا الحادث إلى عصر السلطان أبي الحسن أيضا ، وتقول لنا إن الأميرة التي هام بها ابن سراج كانت تسمى «فايعة» وهي على الأغلب من بنات السلطان ، وأن السلطان دبر كمينها لهلاك بني سراج بالاتفاق مع ولده أبي عبد الله . ولكن معظم الروايات تقدم إلينا القصة في وضع آخر ، وهو أن آل الزعزي خصوم بني سراج اللد حاولوا انتصاء عليهم بمختلف الوسائل ، فوشوا بهم لدى السلطان أبي عبد الله واتهموه بالنفاق عليه وسعيهم إلى خنعه وقلته ، واتهموا كبيرهم ابن حامد ( أو محمد بن سراج ) بتهمة أشنع وهي أنه يتصل بالسلطانة وهي الأميرة مريعة انصلا غراميا ، وأنه رأى معها أكثر من مرة في أحراش حدائق حنة العريف . فثار أبو عبد الله لهذا الاحتراء الصارخ على عرشه وعلى شرفه ، وقرر سحق بني سراج جميعاً ، ودبر مع آل الزعزي كميناً محكماً لإهلاكهم ، فدعا أكبر الأسرة ذات يوم إلى مدته ، فأتوا قصر الحمراء ، ودخلوا إلى بهو الحفل واحداً بعد واحد ترتيب معين من باب البهو المذكور ، وكلما دخل أحد منهم اقتاده جماعة من آل الزعزي إلى الفسقية الرخامية التي بالبهو ، ونحروه على حافها ، وأخفوا في الحال جثته ، حتى هلك معظمهم على هذا النحو المروع . ولم يفلتن في النهاية لهذه السكن لدموى سوى فلان منهم بئس وصيف لهم استطاع أن يتسلل داخل البهو ، وأن يخبرهم بما يقع . وبلغ من قتل منهم يومئذ ستة وثلاثين من نجب الفرسان والسادة . وهكذا سحقت الأسرة الشهيرة وفقدت كل نفوذها وسلطانها . وسمى المكان الذي تمت

فيه تلك الجريمة الشعاء من ذلك الحين « بهو بني سراج » وهو البهو المقابل لبهو الأسود الشهير . وما زالت ثمة بقع سوداء في أرض البهو الذي وقعت فيه المساة تزعم الرواية أنها بقع من دم القتلى ، وأنها لن تمحى أبداً . وتزيد الأسطورة على ذلك أنه ما زالت تسمع في هذا البهو في بعض الليالي أنات خافتة وقعقة سلاح ، وأنه حدث أكثر من مرة أن رأى حراس الحمراء في جوف الليل بعض الجنود المسلمين وقد ملعت أنوفهم الزاهية وأسلحتهم البراقة يقطعون البهو جيئة وذهاباً .

تلك مأساة بني سراج كما تقدمها إلينا الروايات والأساطير والأناشيد الأسبانية . أما الرواية العربية فلنسأ نجد فيها أثراً لهذه القصص المغرقة ، بل لنسأ نجد فيها دكراً لبني سراج في حوادث غرناطة الأخيرة ، وهي أيضاً ضائعة علينا بتفاصيل هذه الحوادث المؤسسية التي انتهت بذهاب دولة الإسلام في الأندلس . ولكن الأدب الأسباني يتناول هذه الحوادث في كثير من الأقصيص والملاحم المغرقة . وشهر مصادر هذه التراث كتاب وضع في هذا العصر وزعم كاتبه ، وهو أسباني من أهل مرسية يدعى خيتريز دي هيلاء ، أنه نقله من التواريخ العربية ، وهو مزيج من بعض الوقائع التاريخية المخرفة ، وكثير من القصص الخرافية ، يدور معظمه على حوادث غرناطة الأخيرة ومعاركها الأهلية ومنافسات بني سراج وبني الرعزي وغيرهم من محاد غرناطة . وقد ذاع هذا المؤلف في أسبانيا ولا سيما في ريف الأندلس وتوجهم إلى لغات عدة . بيد أنه يبدو من سياقه أنه لا يمكن أن يكون ترجمة لروايات عربية ، وكل ما هنالك أنه مزيج من الأساطير النصرانية والشعبية المغرقة التي ذاعت في ذلك العصر عن حوادث غرناطة ، وأذكاها خيال الأجبار ومرسان والشعراء ، وذكتها بالأخص عوام دينية وسياسية خاصة .

في سنة ١٨٢٦ ظهرت قصة شاتوبريان « مغامرات آخر بني سراج » التي وسعها قبل ذلك بأعوام عقب زيارته لأسبانيا . وقد وقعت حوادث هذه القصة بعد سقوط غرناطة بربعة وعشرين عاماً أعني في سنة ١٥١٥ م وبطلها فتى أندلسي يدعى ابن حامد ، يصفه شاتوبريان بأنه سليل بني سراج وآخر عقيهم . وقد نزع بنو سراج عقب سقوط غرناطة إلى أحواز تونس ، وعاشوا هنالك على مترية من أطلال قرطاجنة القديمة عيشة متواضعة في غمر الحشرات والذكريات

المحنة، واشتغلوا بالتطبيب بعد الفروسية، وهلكوا واحداً بعد الآخر حتى لم يبق منهم سوى ابن حامد. وكان فتي وسيم الطلعة جم الذكاء والقفظة ولكرم، وهي الصفات التي بها عرف آله. توفي أبوه وهو في الثانية والعشرين من عمره، فاعترم أن يهج إلى غرناطة موطن آبائه القديم، فركب البحر إلى الأندلس وجاز إلى غرناطة واتخذ هنالك صفة طبيب عربي جاء لبحث عن الأعشاب النادرة في جبال الأندلس. ففي ذات يوم أخذ يطوف بربوع غرناطة وجرائها وحدائقها للملكية، وقلبه يخفق بالذكريات المؤلمة. ولما جاء المساء لم يستطع أن يقاوم شعوره، فعاد يطوف بأحيائها طول الليل حتى ضل طريقه وأدركه الصباح. وبينما هو يسير هائم القلب إذ وقعت عيناه على فتاة إسبانية رائعة الجمال تخرج من منزلها ووراءها وصيفة فسحره جمالها أيما سحر، ودهشت هي لمنظره وثيابه العربية، فتقدمت منه بظرف وسألته: أهو غريب؟ وهل ضل طريقه؟ فأجابها بالفاظ وعبارات رقيقة أن نعم، فسارت أمامه بظرف حتى قادتة إلى باب الخان الذي يتزل فيه. وترك منظر الحسنة في قلب ابن حامد أثرًا لا يمحي وشغف بها أيما شغف، ولبت أياما يطوف هائمًا في غرناطة وهو يتصورها في كل رؤية وكل مقابلة، حتى كان ذات يوما يقول على ضفاف نهر « حدارة » على مقربة من حدائق جنسة العريف فسمع صوت قيثارة وغناء، فنفق قلبه واقتحم حرش الأشجار، فالتى نفسه بين جماعة من الفتيات ذعرن لمقدمه، وصاحت إحداهن: « هذا هو السيد العربي » وكانت هي فاتنة قلبه.

كانت دونا بلانكا — وهو اسمها — سليلة أسرة عريقة تنسب إلى السيد الكمبيادور، وأبوها الدوق سانتافي، ولها أخ فتي يدعى دون كارلوس. وكان الدوق قد استقر في غرناطة في بعض أملاك الأسر المسلمة التي وهبت لآبيه، وكانت بلانكا لفرط جمالها وذكائها وظرفها معبودة الأسرة، وكانت ترح في ذلك اليوم مع ثمر من صاحباتها. فلما كاد يراها ابن حامد حتى صاح أنه يبحث عنها كما يبحث الظن عن الماء. فأجابته بلانكا أنها كانت تنشد قصة بني سراج وهي تفكر فيه. فخفق قلبه وكاد يصيح بها أنه « آخر بني سراج » لولا أنه خشى أن يثير الكشف عن شخصه ريب السلطات.

وهنا قدم والد بلانكا الدوق، فبادرت إليه قائلة: « هذا هو السيد المسلم الذي حدثتك عنه يا أبت، وقد عرفني وجاء يشكرني على ما أسديت إليه ». فرحب الدوق

بابن حامد ! وأنس الجميع بمقدمه ، وأخذوا يسألونه عن بلاده وأحواله ، فكان يجيب نظرف وفصاحة ، وكان يتحدث القشتالية كأحد أبناءها ، ثم تناولوا الخوى واشيكولاتة ، وانقضى اليوم في غناء ورقص وطرب ثم عاد الجميع إلى غرناطة ، ووعد ابن حامد أن يلبي دعوة الدوق لزيارته .

سرى إلى ابن حامد وبلا نسا حب عنيف متبادل . وكانت بلانكا تقول في نفسها : « آه لو دخل في ديني وكان يحبني لتبعته إلى آخر العالم . » وكان ابن حامد يقول لنفسه : « آه لو أسلمت بلانكا ! » وأفضى إليها بحبه ذات يوم وهما يتنزهان في بهاء الحمراء ، فأجابته كيف يمكن ذلك وهو عربي كافر وهي أسبانية نصرانية ؟ واستدعى ابن حامد خجاة إلى تونس ، إذ كانت أمه على شفا الموت ، فاستأذن من حبيته في السفر ، وأقسم لها أنه سوف يحبها إلى آخر نسمة من حياته ، فأجابته ناكية أنها سوف تنتظره كل عام ، ونها سوف تذكره إلى الأبد ، وتقبله زوجها يوم يدخل دينها .

وعاد ابن حامد إلى تونس فألقى أمه قد توفيت ، وقضى بين أطلال قرطاجنة شهراً وهو هائم اللب ، حتى جاء يوم السفر إلى غرناطة ، فركب البحر إلى مالقة وكانت بلانكا هنالك ترقب مقدمه خلال التلال المشرفة على النغر . فامحت ذات يوم مركبا عربيا منشور الشراع ، فهرعت إلى المرسى ولحمت عربيا يرتدى ثيابا نعمة ولم يكن سوى ابن حامد ، فبعثت إليه تدعوه إلى مكانها ، فهرع إليها ابن حامد وارتقى أمام قدميها ، وقدم إليها هدية طريفة هي غزالة وضعت في سلة ، قائلا إنها تشبهها خفة ورشاقة . وسارت بلانكا والدها الدوق وابن حامد إلى غرناطة ، وهناك ألتقى الحبيبان أوقاتا سعيدة في التجوال والرياضة وتبادل العواطف المنظرمة ، ولكن كلاهما لبث راسخ العزم على التمسك بدينه . فكلما دعت بلانكا إلى اعتناق دينها دعاها هو بدوره إلى اعتناق دينه .

وعاد ابن حامد إلى موطنه ، ثم سافر في العام التالي إلى غرناطة وقصد إلى منزل بلانكا ، وكان والدها الدوق غائبا في مدريد ، فلقى أخاها الدون كارلوس وكانت تعبده ويعبدها حبا ، ولكن تولته الدهشة وانكمش فؤاده حينما ألقى عند قدمي بلانكا فتى لم يره من قبل ، وهو أسير فرنسي من أصل نبيل يدعى لوتريك تونقت بينه وبين الدون كارلوس أواصر الصداقة منذ أسر في موقعة بافيا ، وعاد معه إلى أسبانيا . ورحبت بلانكا بابن حامد وحياءه دون كارلوس برقة ، فأنجنى

ابن حامد مدم الفتاة وانصرف لغيره ، وساور لوتريك الشك في نظرتهما  
 وانصرف هو أيضا . وهما أفست بلاسكا إلى أخيها بمحققة الأمر وباحت له بحجبه . لابن  
 حامد ، فصاح بها ساخطا كيف تحب سليمة السيد الكنيادور عريثا ومسلما ، وقد  
 كان يظن أنها بقتن لوتريك . فأجابته أنها حرة في أمرها وعو صفها ، بيد أنها لن  
 تغدو على أي حال زوجة لمسلم .

وهرع دون كارلوس إلى ابن حامد ودعاه إلى البرار ، فأجابه إلى طلبه وتماززا  
 خارج غرناطة فغلبه ابن حامد ولكمه ترفع عن إيذائه . وهنا جاء لوتريك  
 وبلاسكا إلى مكان المبارزة مسرعين وانتهى الأمر بسلام واحتجب ابن حامد  
 حينما تزولا على نصيح بلانكا .

ولبت ابن حامد تفتتسه مختلف العواطف والمشاعر . وجاءته بلاسكا ذات يوم  
 وهي شاحبة ذابلة وخادبته بمحبة وذكرته له كيف تدوى صحتها في حبه ، فيحس  
 بخاطره مدى لحظة أن يقبل التنصير وينتهي الأمر . وفي الغد كان إلى جانب بلاسكا  
 وأخياها الدون كارلوس ولوتريك في حفل أنيق في حنة العريف ، وأخذ كل من  
 الغتيان الثلاثة ياتي بعض أناشيد القروسية ، وأنشد ابن حامد قصة من وضع شاعر  
 من بني سراج ، وتبين من أناشيد دون كارلوس أن جد ابن حامد وهو درس  
 بني سراج أيام حرب غرناطة قد لقي حتفه على يد أسرة حبيته ، وأن أسرته هي التي  
 استولت على تراث بني سراج ، فعندئذ كشف ابن حامد عن شخصه ، وعلل به  
 آخر « بني سراج » ، وقدم الدليل على نسبته خاتم بني سراج معلقا في عنقه  
 بسلسلة من الذهب ، وتضرع إلى حبيبته أن تنسى كل شيء ، وأنه يحملها من كل شيء ،  
 وأنه يضع نفسه تحت تصرفها لتأمره بما يفعل . فعندئذ أشارت إليه بلاسكا أن  
 يعود إلى الصحراء ثم أغمى عليها .

فركع أمامها ابن حامد ثم غاب عن الأنظار . وفي نفس الليلة سافر إلى مائة  
 وركب البحر إلى وهران ، وهناك انخرط في سلك قافلة الحاج المسافرة إلى مكة  
 ولم يعرف بعد ذلك مصيره قط .

ومرضت بلاسكا حتى أشرفت على الموت ، ثم تماثلت وعاشت في حزن مدم  
 وعزلة مطلقة ، تذهب كل عام إلى مالقة لتحج البحر فلا ترى أحدا ، وتقضي أيامها في  
 التجوال في أبياء الجراء . وقد توفي والدها من الحزن ، وقتل أخوها في مبارزة ،  
 واختفى لوتريك فلم يسمع به أحد .

يقول شاتوبريان: وهناك في تونس عند الباب الذي يؤدي إلى خرائب  
قرطاجنة توجد مقبرة، وبها قبر منعزل ليست له أية علامة مميزة، يصفونه بأنه قبر  
«آخر بني سراج».

تلك هي القصة التي ألهمتها ذكريات بني سراج قلم الكاتب الفرنسي الكبير.  
ومن الواضح أنها لا تقوم على أصل تاريخي، ولكنها تقوم كمعظم القصص  
المتعلق بحوادث سقوط غرناطة وأنجادهما الأعلام، وفروستها الأخيرة على تراث  
الأساطير والأناشيد الأسبانية المفرقة. على أنها تبدو بما يسغه عليها شاتوبريان  
من بلاغته وفنه، وبما يتخللها من ذكريات غرناطة والاندلس، قطعة من الخيال  
المؤثر. وهي ليست إلا مثلاً من أمثلة عدة استطاع فيها الخيال الأوروبي أن  
يجد في صفحات التاريخ الأندلسي الأخيرة كل عناصر الإلهام والفن الرفيع.

محمد عبد الله عثمان .



## ذكريات

القاهرة فيما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٧

في عام ١٩٠٣ اجترينا امتحان الشهادة الابتدائية ، وكما في التخرجه لا يزيد على ثلاثمائة أو أربعمائة تلميذ . وعقد الامتحان في القاهرة . ولم يكن بالقطر منه سوى ثلاث مدارس ثانوية كانت في نظامها ثكنات يتسلط عليها الانجليز بالأوامر العسكرية ولعقوبات العسكرية . والتحق بالمدرسة التوفيقية ثم بالمدرسة الخديوية . وكان الانجليز يحاربون شيئين في الأمة لا ثالث لهما . وكانوا يكفلون بقاءنا في ظلام الجهل وذلة الفقر بهذين الشيئين ، وهما محاربة التعليم ، ومحاربة الصناعة . ونجحوا في ذلك نجاحاً عظيماً ؛ فلم يسمحوا طيلة إشرافهم على وزارة المعارف بإنشاء مدرسة ثانوية للبنات في أي مدينة من مدن القطر . وكانوا يعلمون أن بلادنا زراعية لا تلائمها الصناعة ، كإن القدر قد قضى علينا بالفقر الأبدي . وكانوا يصرون على المحافظة على « تقاليدنا » . فكانت المدرسة السنية الابتدائية في القاهرة ، وكانت نافلرتها إنجليزية ، قصر على البرقع للتمييزات وهن في الماشرة أو الثانية عشرة من العمر . وكان معلم اللغة العربية يفصل من وزارة المعارف إذا نزع صمامته وقفطانه وأخذ البنطلون والجاكتة . وتقدمت الآنسة نبوة موسى لامتحان الشهادة الثانوية في سنة ١٩٠٧ من بيتها . فرفض دنلوب المستشار الإنجليزي لوزارة المعارف قبولها في الامتحان . ولكنها استمرت على الكفاح وأحدثت ضجة في الجرائد ، وتقدمت في السنة التالية فقبلت ونجحت ولكن الانجليز تنبهوا . فلم تفر فتاة مصرية بالشهادة الثانوية منذ سنة ١٩٠٨ إلى ١٩٢٩ حين تقدمت الفتيات اللاتي أنشأت هن وزارة المعارف مدرسة ثانوية في ١٩٢٥ أي بعد إعلان الاستقلال بسنتين .

وكانت التامة في المدرسة الخديوية فيما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٧ سلسلة من التعذيب . فكان أحدنا يعاقب طيلة العام الدراسي بالحضور يوم الجمعة في المدرسة حتى لا يهين بالاجازة الأسبوعية . وكان من العقوبات المألوفة أن يحضر

أحداً في منتصف الساعة السابعة صباحاً في الظلام مدة الشتاء ، ثم لا يترك المدرسة آخر النهار إلا بعد الجلس ساعة أو أكثر . وقد يكون السبب الوحيد لكل هذه العقوبات أن المعلم الإنجليزى قد طلب من التلميذ أن يقعد فوقف ، أو يقف فقطع . وقد تكون هذه المخالفة محض التباس لا أكثر . ثم يتأخر المسكين في الحضور في الساعة السادسة والنصف صباحاً ، فيزاد عقوبة والزيادة تتركه . وهذا إلى عقوبات أخرى مهينة مثل حرمانه من الغداء إلا برغيف يأكله وهو واقف أمام زملائه .

وكان ناظر المدرسة يدعى شارمان ، وكان يتهنى في تعذيبنا . وحدث أن نعية الخيرية الإسلامية أرسلت على يفتها بعض تلاميذها من مدارسها الابتدائية ، وكانت تشتري لهم ملابسهم في شكة واحدة . وكان هؤلاء مسكينون ينجلون من هذه الملابس الصفراء الرخيصة . واشتروا غيرها من ملابس الملوقة ، حتى لا يتميزوا بفقرهم أمام زملائهم . ولكن شارمان أصر على أن يلبسوا ملابسهم التي تصمم بالفقر ، فلبسوها وكانوا يتزوون منا في خجل . ولست أشك في أنه حين أعلنت الجرائد وفاة شارمان هذا غرقاً في أواخر الحرب الكبرى الأولى عم الفرح جميع القارئین الذين كانوا تلاميذه . وقد يستنكر تدرى هذه العاطفة منا . ولكنى تؤكد أن التلمذة في تلك السنين كانت عذاباً لا يضيق . وكان للمعلمين الإنجليز لذة في تعذيبنا . وكانت العلاقة بيننا وبين هؤلاء المعلمين خالية من الإحساس البشرى ، حتى لقد كما أحياناً نجهل اسم أحد المدرسين طيلة العام الدراسي .

وقضيت ثلاث سنوات بالمدرسة الخديوية لا أكاد أعد أسبوعاً واحداً فيها هئت به . ولذلك تخلفت عن الدراسة . وكان من أسباب هذا التخلف أيضاً أن مرضت لعيني واحتجت إلى إجراء عمليتين لا يزال أثرهما المشوه باقياً . كما أن عزو إلى عذاب المدرسة هذه العريضة الجنسية الذاتية التي انغمست فيها لترمي عن نفسى ، وإزالة الكمد الذى كانت تحببه هذه الحياة المدرسية المرهقة . ولكن القاهرة في تلك السنين ( ١٩٠٣ - ١٩٠٧ ) كانت حافلة بتباشير العصر الجديد . فقد رأيت فيها الأوتومبيل لأول مرة . ولكن الحياة القديمة كانت لا تزال راسخة . فكان السقاء يحضر الماء في قريته لمثلنا . وكنا أحياناً نركب الحمير من مكان إلى آخر لأن الترام كان في شوارع قليلة . ولم يكن شئ

من المنازل قد بنى على النصف الغربية من النيل، كما أن هديويو ليس كانت لا تزال هيراء . بل أذكر أن شمال المدرسة لتوفيقية في ١٩٠٣ كان خالياً من المباني إلا القليل المتفرق .

وكنا نتحدث في تلك السنين عن شيئين يحركان المجتمع المصري هما الاحتلال الإنجليزي، وحركة قاسم أمين لتحرير المرأة، ولم أكن أهتم بالحركة الثانية كثيراً . وكان « الحزب الوطني » أعظم قوة تكافح الاحتلال في ذلك الوقت . وكان قد أُلغى في ١٨٩٧ ستة من الشبان المنبشرين هم : أحمد لطفى السيد ( باشا ) ومصطفى كامل ومحمد فريد ومحمد عثمان ( والد أمين عثمان باشا ) وإياد محرم ( شقيق عثمان محرم باشا ) وسعيد الشيمى . وكان « اللواء » جريدة الحزب الوطنى يستهوى النفوس، وكنا نسارع إلى شرائه عقب الانصراف من المدرسة . ولكن الشبان الأفاط كانوا يجدون بعض الاستياء من الدعوة الدينية في الحزب الوطنى وكذلك الدعوة العثمانية فى التركية . وكان مسقطهم يقول : « إذا كنتم تدعون إلى جامعة إسلامية وإلى تبيد الحقوق العثمانية فى مصر مع أن الأتراك ليسوا فقط حاب بل إن تاريخهم يحفل بالمظالم فى مصر، فإن له الحق فى الاتجاه نحو جامعة مسيحية والاعتماد على الاحتلال البريطانى . »

وقد انتهى موقفهم هذا إلى أن حمل مصطفى كامل عليهم وثار عصفاً كبيراً ساءت عواقبه واستغله الإنجليز أيام كرومر وجورست . ولم يصلح هذا الصناد القومى غير أحمد لطفى السيد حين أسس « الجريدة » ودعا دعوة مصرية بحجة ليس فيها شئ من الدعاية للأتراك أو للعرب أو للإسلام . ولكن حتى مصطفى كامل قبيل وفاته بخمسة أشهر أو ستة أعلى فى مقالات أن مصر يجب أن تكون للمصريين فقط ، وكان لهذا يعارض الخديوى عباس فى ممالأته للدولة العثمانية . ولمغ من معارضته له أن جريدة « المؤيد » وصفته بأنه قد أصبح يشبه عرابى والواقع أن المجتمع المصرى فى بداية هذا القرن كان مجتمعاً تركياً أو كالكركى؛ وكان الاصطلياف فى استانبول مألوفاً ، وكانت الحكومة المصرية تؤدى « الجزية » السنوية لتركيا . وكانت العائلات الغنية عائلات تركية خالصة و خلاسية . وقاما كنا نجد « مصرنا » ثريا . ولذلك حين تتأمل العائلات المصرية الثرية فى ١٩٤٦ تجد أنها كلها حديثة العهد بالثراء . وهذه الحال تفسر لنا نفسية الحركة العربية . فإن عرابى كان يتأمل وطنه فى ١٨٨٠ فلا يجد فيه

مصر صميمًا تلك شيئًا يؤبه له . وكان جميع الأثرياء من الزراك أو الشبان الذين بنى محمد على قد احتصمهم بلامنيارات ، وأقطعهم أرض المالكين المصريين الذين استولى على عقود امتلاكهم وأحرقها . ولذلك كنا لا نعرف رئيسًا لوزارة إلا وهو تركي الأصل . بل أحيانًا كانت تؤلف الوزارة وليس بين أعضائها مصري صميم واحد أيام إسماعيل وتوفيق . وكما نرى هؤلاء الأرستقراطيين من سجنهم ونذالهم وهم في عرباتهم يتنزهون على جسر قصر النيل . وكان ينتمى قوامهم أو قواصمهم وكل منهما في سترة تهريجية يحمل عصا طويلة في وضع عمودي ويمدو مام العربى وهو يصيح : هيه ، هيه .

وكانت الجرائد المقررة في تلك السنوات ثلاثًا : «الواء» الذى كان يحرك الأمة إلى المطالبة بالغاء ويقرؤه جميع الشبان . و«المؤيد» الذى كان يؤيد الخديوى ويقرأه أبناء البيوتات التركية والمحفظون من المصريين . و«المقطم» الذى كان يؤيد الإنجليز ويقرؤه الموطنون . أما «الاهرام» فكان فى ركود يشبه الموت لا يقرؤه غير عدد صغير من التجار .

وكان الخديوى عباس محور الحركة الوطنية فى أوائل حكمه . وهو الذى وعى بإيجاد الحزب الوطنى ، وكان يعاونه بالمدل . ومما زاد الخديوى اتجاهها نحو الحركة الوطنية تلك الإهانات الشخصية التى كان يجدها من كرومر ، فقد حصل هذا الرجل على تربيته السياسية فى الهند ، وكان يعامل المصريين كما كان يعامل الإنجليز الهنود قبل خمسين أو ستين سنة ، وكانت له فى ذلك أساليب طفلية . وقد رأيت ذات مرة وهو ينزل من عربته ، فلم ينزل مستويًا على قدميه كما يفعل بشر ، بل تقدم له خادم مصرى وحمله كأنه طفل من العربى فى عناية ورقة حتى حفظ حشته على الأرض . . . وقد فعل هذا فى ظنى كى يثبت أنه سيد مطاع أو ملك غير رسمى . وتشاجر مرة مع الخديوى لأن الخوذى الذى كان يسوق عربته بالإنجليز . وحاول مرة ، عقب انتقاد الخديوى للجيش المصرى الذى كان كتشنر قائدًا عامًا له ، أن يعين وزيراً إنجليزيا . وكان كرومر هذا من عتاة الاستعماريين ، وهو الذى أحال القطر المصرى كله إلى عزية للقطن ، وقتل الصناعة المصرية قتلا تامًا ، حتى إننا حوالى ١٨٩٢ أنشأنا مصنعًا فى القاهرة لغزل القطن ونسجه ، وحشنا له بمدير إنجليزى ، فأصر كرومر على فرض الضرائب الباهظة عليه حتى أغلقه . ثم ، وهنا عبرة ، عين مديره الإنجليزى فى الحكومة المصرية .

وبفضل الحزب الوطنى ، بل بفضل الشاب مصطفى كامل ، تزايدت الحركة الوطنية وأخذت موجاتها تملأ وتزيد . ورأى كرومر عجزه عن مكافحتها ، فحمله الغيظ على العنف الأحمق بل على التوحش الإجرامى . فانتهمز حوالى سنة ١٩٠٧ فرصة التقاء الجنود ببعض الريفيين فى دنشواى إحدى القرى فى المنوفية ، وكانوا يصيدون الحمام الذى كان هؤلاء الفلاحون يربونه ، فاشتبك الريفيون مع الإنجليز فى مشاجرة انتهت بقتل بعض الإنجليز أو بالأحرى بوفاته . وعندئذ عينت محكمة « مخصوصة » كان رئيسها المرحوم بطرس غالى باشا ، ومن أعضائها المرحوم فتحى زغلول باشا ، وكان المحامى عن الإنجليز المرحوم الهلباوى الذى صار بعد ذلك عضواً فى حزب الأحرار الدستوريين . وشرع فى محاكمة الدنشوائيين وعم الأمة توتر نفسى وغلت العواطف . وكتب « المقطم » بأن المشتقة أرسلت إلى دنشواى قبل أن تنتهى المحاكمة ، فخلعت الحكومة وكذبت الخبر . ولكن المرحوم أن المقطم كان صادقاً ، لأنه كان يتصل اتصالاً تاماً بالإنجليز فى ذلك الوقت . وصدر حكم المحكمة بحل الدنشوائيين وشنق الآخرين . وأُشْتُذت الأحكام فى القرية ذاتها ، ورأى الأطفال آباءهم يشنقون أو يجلدون ، ورأت الزوجات والأمهات والشقيقات والآباء أعزاءهم وهم يتدلون من الجبال أو يصبرخون من الجبل .

وأذكر أنى كنت فى الإسكندرية فى ذلك الوقت أُنْتْزَه مع أخى ، وكنا نأكل فى المطاعم . فلما قرأت الحكم عمى جود يشبه الغثيان ، فلم أستطع الأكل جملة أيام . ودارت فى رأسى خواطر جنائية عن هؤلاء المعتدين على بلادنا وأهنا . وخجل الإنجليز أنفسهم من هذا الحادث الإجرامى ، فمزلوا كرومر عن وكراته فى مصر . وكان يرأس الوزارة الإنجليز فى ذلك الوقت رجل من الحريين يدعى هنرى كامبل بانزمان . ولكن وزير الخارجية المدعو جراى بر جريمة كرومر بأن وقف فى البرلمان يقول : إن التعصب الإسلامى قد تفشى فى إفريقيا الشمالية كلها بما فى ذلك مصر . وكتب « المقطم » مقالاً عنوانه « التعصب يمتد ويشتد » ما زالت كلماته ترن فى ذهنى ، ولا تزال « دنشواى » عندى من الذكريات النفسية الأليمة .

وقد وجدت تعزية فى شىء واحد هو أن الوجدان الوطنى أصبح عاماً وتنهت الأمانة كأنها استيقظت من نوم ، فكنت أجد بعض الشبان يشترى « المقطم »

ويعرفونه حتى لا يقرأه أحد ، وحتى الأقباط الذين كانوا متوجسين من حركات الحرب الوطنى الدينية ، أصبحوا وطنيين يكرهون الإنجليز . وكان هذا الاعمال الجديد ملحوظاً فى أعضاء عائلتنا . ولكن اختلاط الحركة الوطنية بالدعوة الإسلامية من ناحية وبالرغبة فى السيادة العثمانية من ناحية أخرى عرقل الاندماج التام للأقباط فى الحركة الوطنية ، فكانوا يشيخون عنها ويدكرون حكم لترك ومظالمهم أيام إسماعيل وتوفيق .

وشعرت فى ذلك الوقت بما لازلت أشعر به الآن ، وهو أن الاستعمار البريطانى ليس هو العدو الوحيد لبلادنا ؛ لأن الرجعية بالتزام التقاليد ، وكرهه لروح العصرى فى السياسة والاجتماع والعقيدة ، كل هذا يتألف منه عدو آخر لرفلة . متنا عن التقدم . وكانت نظرية التطور التى تلمتها من « المفتطف » قد حستنى ألمح بصيصاً من الرؤيا الجديدة ، وأن أومن بأن العلم الذى حقق السيادة وأن لم يحقق السعادة لأوروبا ، جدير بأن يرفعنا من حضيض الفقر والجهل الذى وضعنا عليه الإنجليز ، وأن يحقق لنا استقلالنا . ولذلك وجدتني من ذلك الوقت أدعو إلى أن نعيش المعيشة المصرية ، وأن أناصر الرجعيين المصريين العداء الذى أناصبه للإنجليز .

وكان على يوسف صاحب جريدة « المؤيد » معدوداً بين كبراء الكتاب الصحفيين بحسن المناقشة وياتزم المنطق والتعقل . وكان « المؤيد » قليل الانتشار بسببه « اللواء » ويطلق عليه بمقالات مصطفى كامل النارية . ولكن « المؤيد » كان يثب فى الأزمات . فى حادثة دنشواى مثلاً أقبل عليه القراء ، وهم فى كمد وحزن وحيرة ، يقرأونه ويتعلقون ما يكتبه عن السياسة الإنجليزية المصرية وينظرون للمستقبل من خلال بصيرته .

ولكن علاقه الشيخ على يوسف بالخدوي جعلته يتجه صوب استامبول أو كما كانوا يسمونها « الأستاذة العلية » حتى إنه عند ما أسس « مجلس المبعوثان » فى زكبادا المصريين إلى أن يرسلوا نواباً عنهم فيه ؛ إذ أن مصر جزء من الدولة العثمانية . . .

أما مصطفى كامل فكان يغزو قلوب الشبان . وكان إذا أعلن عن خطبة يلقيها تجمع الألوف لسماعه . وكان فى شبابه وحماسته إغراء للشبان . وقد مات بالدرن ولا يبلغ الثانية والثلاثين .



وفي تلك السنين شبت الحرب بين روسيا واليا مان ، فاتجه الرأى العام نحو اليابانيين باعتبار أنهم أمة شرقية مثانا ، فكنا نفرح كلما قرأنا عن هزيمة روسية ؛ لأن روسيا كانت تمثل في أذهان الجمهور أوربا التى تنتمى إليها بريطانيا ، كما أن اليان كانت تمثل نقطة لشرق . حتى إن مصطفى كامل ألف عنها كتاباً باسم « الشمس المشرقة » .

وحدث خليل صادق نهضة أدبية في تلك السنين لساملة من القصص كانت تخرج كل شهر باسم « مسامرات لشعب » وهى قصص مترجمة عن الفرنسية والإيطالية اشترك في الترجمة له فيها كتابنا المعروفون مثل حافظ عوض وعبد القادر حمزة ( باشا ) ومحمود أبو الفتح وغيرهم . ولكن الأدب لم « يتمصر » في ذلك الوقت ؛ لأن كنا نحن للأمبريالية البريماية كان يستغرق كل مجهودنا . فكان الكاتب الذى يجد في نفسه القدرة على التعبير الفنى يلتفت إلى سياسة قبل « الأدب » ويحاهد في نقد الوجدان المصرى الوطنى . وما بقصنا نحن من هذه لوحته مدته إخوان السوربون عنا ، وهم بالطبع كانوا ، قرب إلى الثقافة العصرية الأوروبية مناه لأنهم تعمسوا في الجامعة الكاثوليكية والجامعة الأمريكية في بيروت . وهم يأت ، لأنهم كانوا مسيحيين ، لم يجدوا العائق لسيكولوجى الذى كنا نجده نحن في مصر . إزاء الثقافة الأوروبية العصرية .

وكنا فيما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٨ في تبلل سياسى وفي تبلل آخر دنى واجتماعى فقد كانت تسود وجداننا السياسى نزعتان : الأولى والكبرى في الاتجاه نحو الدولة العثمانية والدفاع عن استقلالها المصرى ، بدعوى أننا جزء من هذه الدولة العثمانية . وواضح أن موقفنا هنا كان حائراً مقلقاً . ثم كانت النزعة الأخرى وقد بزغت صعيقة تتلجلج بل لا تكاد تنطق ، وهى الدعوة إلى الاستقلال المصرى التام والتخلص من بريطانيا وتركيا معاً .

أما التبلل الإدى فلم نكده نحس به في تلك السنوات . وكان جميع الكتب . باستثناء السوربيين ، يعنون بالأدب دراسة القدماء من العرب لا أكثر . ولكن كان هناك تبلل اجتماعى وضع حميرته نجد عنده وقاسم أمين ، ونمت وركن هذه حميرة في الوسط الإسلامى . وأصبح لها دعاة وخصوص .

وكان الخديو عباس محمود إلى سنة ١٩٠٧ يجد فيه الشباب رمزاً للكنج وكانت شراسة كرومر ، الذى كان يرغب في معاملته كما لو كان أحد مهران

الهدد، تده فيه هذا الكفاح . وتعلق به الجمهور وشاعت عنه مواقف وطنية .  
وبما سمعناه في تلك السنين أن ويصا واصف ومرقس حنا وعدداً آخر ، معظمهم  
من المحامين ، فصدوا إلى سراي عابدين وانتظروا إلى أن هم الخديو يركوب  
عربيته ، فصرخوا على أن يحلوا خيولها ويحروها هم . ولكن الخديو اتخذ موقفاً  
معارضاً لاتجاهات الشيخ محمد عبده نحو الأزهر ، فكان الخديو يصصر على أن يبقى  
الأزهر كما كان منذ مئات السنين محافظاً لا يتسرب إليه تيارات الثقافة العصرية .  
وكان محمد عبده يصصر على أن يتطور الأزهر إلى جامعة عصرية . واتجه المستنيريون  
من الأمة وجهة محمد عبده فازوروا عن الخديو .

ولكن أعظم ما جعل الجمهور المصري يتغير على الخديو هو ما كان يسمى  
بسياسة الوفاق . فإن الإنجليز ، بعد أن رأوا سياسة كرومر الشرسة مع الخديو  
في حالته إلى وطني يدس لهم ويؤيد الحركات الوطنية ضدهم ، عيسوا السر الدون  
جورست وكيلا لهم بالقاهرة ، فتجنب هذا إلى الخديو وزاد في سلطته . وارتاح  
الخديو إلى هذا التغيير ارتياحاً عظيماً جداً ، وشرع يعارض الحركات الوطنية  
المستورية ، ويسير مع الإنجليز في «سياسة وفاق» كان ضررها بالأمة فادحاً .  
وكانت سياسة الوفاق هذه سبباً في انقلاب مصطفى كامل ، إذ أنه أي أن يسير  
مع الخديو ، وأصر على الكفاح . ولم تعض سنوات حتى أصيب جورست  
بالسرطان ومات به في إنجلترا . وأعرب الخديو عن حبه له ، وتقديره لسياسة الوفاق  
بأن زاره خفية وهو في فراش الموت .

ثم جاء كتشنر ، فأعاد سياسة كرومر ، ولكن في حاجة العسكرية وغشوته .  
وعاد الخديو إلى موقف المعارضة والمعاكسة للإنجليز .

ولو سئلت عن الفرق في القاهرة بين ١٩٠٥ و ١٩٤٥ لقلت إن نبض القاهرة  
قبل أربعين سنة كان أبداً ، كما أن الإيقاع كان شقيقاً في كل شيء تقريباً . وكان  
الباشا يشقون أكثر مما يركبون . وكانت المدينة متجمعة متكثلة في رقعة صغيرة  
لم تستغض بعد إلى صحراء هليوبوليس أو إلى الضفة الغربية من النيل . وكنا في  
ملابس نعر طور الاستقل . فإني أذكر أنني لبست قمطاناً بحزام وأنا تسيّد  
مدرسة الأقباط في الرقازيقي ، وكنت في العاشرة من العمر . ثم لبست أيضاً وأنا  
في الثامنة عشرة بذلة رمادية من طراز الريدنجوت . أما نساؤنا وآلاتنا ففتن  
كلهن إلى سنة ١٩١٩ يتخذن البراقع والخبرات .

وكنّا نقضى ليالى السرور عند الشيخ سلامة حجازى . والحق أن هذا الرجل كان ممثلاً بارعاً ، ولكنه لم يكن يمثل قدر ما يغنى . فقد وجد إقبالاً عظيماً على أغانيه فكان التمثيل عنده ملحقاتاً بالغناء . وظنى أنه كان يفعل هذا مضطراً ؛ لأن كفاءته المسرحية كانت عظيمة جداً . ولا بد أنه كان يتألم ؛ لأن الجمهور لا يقدرها ويؤثر عليها الغناء .

وكانت هناك إلى جنب مسرح الشيخ سلامة ملامه أخرى كانت غاية في الفحش ، حيث كانت الراقصات يقمن بحركات وإيماءات هي في صميمها محاكاة غير فنية لتعارف الجنس ، محاكاة فاحشة رخيصة دنسة متهككة . وقد اضطررنا بعد سنة ١٩٢٢ ، إلى إلغاء هذا الرقص . ولكن بعض الأغاني القديمة الفاحشة لا تزال تغنى إلى أيامنا هذه .

وشرعنا ، بعد ذلك بسنوات ، نحس الوجدان المسرحى ، وندرك معنى الدراما ومغزاها ، مما ترجمه فرح نطون ومما مثله جورج أبيض من الدرامات عن اللغة الفرنسية .

مصر موسى

## آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية

### العادات المصرية القديمة الباقية في مصر إلى الآن

تنتشر في كل أمة من الأمم مجموعة من العادات والتقاليد، يزاؤها الأفراد في كل وقت كأمر طبيعي سهل ميسور لا يمكن أن يكون مجالاً للبحث والمناقشة. وشأننا في مصر شأن باقي الأمم، فمن نجد أنفسنا محاطين بطائفة من عادات نراها وننمىها في كل يوم منمئة بين طبقات مختلفة من الأمة هي لسواد الأعظم من أهل هذه البلاد، بحيث أصبحت هذه العادات والمعتقدات دستوراً عند العامة في المدن، وجميع أهالي القرى من الفلاحين والمزارعين.

هذه العادات تترفع عنها تلك الألفية من المتعلمين في هذه البلاد، فيصفونها بالخرافات، وإذا ترققوا في الوصف والتعير سموها بعلم «الركة»، وهم يعنون بذلك فن الترهات والأباطيل والخرعيلات.

ولكن هل جشم أحد هؤلاء المعاصرين نفسه، فبحث عن أصل هذه العادات والخرافات والمعتقدات بحثاً علمياً ردها جميعاً إلى أصولها القديمة، صيقات لقواعد علم «الفولكلور»؟

الواقع أننا لا نعرف شعماً في العالم تجمع شتى محافظة من الشعب المصري على سلبه وعادته. فقد مرت على مصر أدوار مختلفة من التاريخ غيرت لغة البلاد ودينها عدة مرات، ولكن الغزوات التي توالى على مصر لم تستطع أن تغير شيئاً مما ورثه الشعب من التقاليد والمظاهر. قد يكون من المحتمل أن آلاف اليونان والعرب الذين استقروا في البلاد قد تمكنوا من إحداث أثر ما في المدن الكبيرة التي استقروا فيها مجتمعين، ولكن باقي البلاد التي تشل آلاف القرى والساكنات بقيت محافظة على مصريتها الثابتة وتقليدها المدمجة دون أن يمتورها نقص أو تثر. فالفلاح الحالي لا يزال يشبه أحده

الدين عاشوا منذ أربعة آلاف سنة تمام لمشاهدة ، مع فارق بسيط هو أن الفلاح الحالى قد أصبح يتكلم لعربية ويدين بالإسلام و بالمسيحية ، ما ملاحظه وطريفة معيشته وأدوات الزراعة التى يستعملها والمنازل التى يسكنها والعادات التى يراولها وانتقالها التى يسير عليها ، فهى مصرية فرعونية فى روحها وشكلها . فما زال الفلاح يعيش هو وماشيتة فى منازل مميية من الدن كما كان يعيش الفلاح فى العصر الفرعونى ، وما زال يستعمل فى فلاحه الأرض نفس الحراث والمجمل والمذراة وغيرها من أدوات الزراعة التى كان يستعملها جدده الأقدمون . وما زال يروى أرضه بنفس الشدوف الذى كان يروى الفلاح القديم أرضه به . فإذا جمع محصوله من الحبوب وضعه فى صوامع من الطين يقيمها فوق ممره كما كان يفعل الفلاح القديم تماما . وما زال هذا الفلاح الذى رآه اليوم خير خلف لسلفه العظيم فى صبره وحلده ، يعمل فى حقله طول ليله ويكد طول نهاره دون أن يدركه كل ولا ملل . وهو فى وسط فقره يستعين عليه بروح المرح والدعابة . وما زالت السلال والمقاطف « والرأب » التى تعرف « بالشيف » والحس بل الأنوال التى يستعملها فى نسجه ، وكذا المنازل هى نفسها أدوات سامه العظيم . وما زال فلاحا قنوعا يكتب من عيشه بالكفاف ، إذا جاع فكل ما يتمسه قطعة خبز يسد بها رمقه ، وهو كالفلاح المصرى القديم لا يختلف عنه فى ما كانه ، لون الطعام الذى يوده ويهواه هو البصل والفجل .

فهذا الفلاح الذى وصفناه هو الذى حافظ على ما ورثه من تقاليد وسادات ظل يتلقفها من أسلافه ، وينقلها وديعة إلى خلفائه ، جيلا بعد جيل ، وفرة بعد قرن ، حتى وصلت إلينا فى صور مختلفة من المعتقدات التى نطلق عليها الآن اسم علم « الركة » .

من المعروف أن قدماء المصريين كانوا يعبدون الشمس ، واستمرت عاداتها زمنا طويلا . ولكن الكثيرين سوف يدهشون عندما أقول إن أثر عديها لا يزال ظاهرا بيننا إلى اليوم . فى بعض قرى الوجه البحرى لا يزال يتمم الأهالى بالشمس فيقولون : « وحياة الشمس الحرة » وفى جهات أخرى يحسدون بالشمس فيقولون : « وحياة البهية التى تطلع من جبلها » . ومظهر آخر من هذه المظاهر يتضح فى عادة رمى السن إلى الشمس فيقول الصبي : « يا شمس

بشمس ، خدى سن احمار وهاتى سن الغزال . « أما البات فتقول : « يا شمس  
بشمس ، خدى سن الجاموسة وهاتى سن العروسة . »

وقد وجدت الشمس عند قدماء المصريين مع الجمل ( الجعران ) . فسميت  
« حيرع » ، وإلى الآن نجد أهالى بعض جهات الصعيد إذا مرض أحدهم بالحمى  
لمسة عن ضربة الشمس ، حاط إلى طرف ثوبه حملا ليأخذ الحمى .

وكما كان المصريون يعبدون الشمس ، فإنهم كانوا يعبدون أنواعا مختلفة من  
لأشجار ، كشجر الحميم والسند والنخيل ، وكانوا يعتقدون أن الإلهة « هاتور »  
و « نوب » قد حلت فيها . وفى كثير من الرسوم نرى الميت وقد وقف أمام  
شجرة برزت منها الإلهة وهى تقدم له مائدة عليها قرايين مختلفة . فهذه العبادة  
لا تزال موحودة فى مصر إلى الآن يزاوها كثير من المسلمين والأقباط على  
السوء . وشجرة المطربة التى تعرف بشجرة العذراء هى بلا شك خلف لشجرة  
هيبو وليس المقدسة التى كانت تحمل فيها الإلهة ويعبدها المصريون القدماء .  
وفى إحدى قرى الفيوم شيخ اسمه الشيخ صبر دفن فى مكان لا تقوم فيه  
سوى شجرة كبيرة بحج إليها كل ذى حاجة يريد قضاءها من أهالى البلاد  
محورة ، ويأتى لها المرضى من كل فج عميق آمدين الشفاء من أمراضهم ، فيدق  
كل مريض فى خدعها مسماراً يلف عليه حصلة من شعره ، فإذا فعل هذا اعتقد  
المريض أنه سيشفى من مرضه لا محالة .

هذه الأشجار ، وخاصة احمير ، لا تخلو منها جبانة حديثة فى مصر أو  
صرح من أصرحة الأولياء والمشايخ . ونعتبر الشجرة وأغصانها مقدسة ، أما  
أوراقها وفاكهتها فلها قيمة محترمة .

وانقطط الآن عند العوام منزلة خاصة ، فهم يرعون جانبها ويحسنون معاملتها  
ويحسبون صربها . وهم يعتقدون أن الأرواح والجنان يتلبسون أجسام هذه  
الغصن ويظهرون بأشكالها . وتفسير هذه الأفكار والمعتقدات الغامضة  
هو أن انقطط كانت إحدى معبودات المصريين القدماء ، يعبدونها باسم الإلهة  
« باسنت » .

ويعتقد العوام من الناس أن لكل منزل ثعبانا بحرسه ، فهذا الاعتقاد  
يرجع إلى أن المصريين القدماء كانوا يعبدون أحيانا ثعبانا كبيرا يظنون فيه  
الخدود ، ويعتقدون أنه يسكن حقلأ أو غابة أو كهفا أو جبلا ويقوم على حمايته .



ولدينا بالمتحف المصرى تمثال ثعبان وجد بمعبد أتريب ، بهذا الحالية ، ووضع هناك لحمايته .

أما ما نجده أحيانا معلقا على أبواب المنازل من تماسيح محنطة ، فإن هي إلا بقية من بقايا عبادة هذه الحيوانات في عصر الفراعنة ، إذ كان التماسيح إلهنا عبدوهم ومحموه « سبك » .

يعتقد العوام الآن أن لكل شخص أختا تحت الأرض أو قريبة تولد معه . فهذا الاعتقاد ورثناه عن الفراعنة الذين كانوا يعتقدون أن كل شخص له روح أو قرين تطلقوا عليها « كا » وكانت هذه « كا » تعيش معه ، فإذا مات تبعته إلى المقبرة .

هذه كلمة عاجلة عن المعتقدات . أما مداد فكثيرة لا يدركها حصر ، فنقتصر على ذكر أهمها :

يحرص الفلاحون في القرى على الإكثار من الأولاد والنسل حتى يكون لهم أسرة كبيرة وذرية ، وهم يذكرون في الزواج بدرحة يستغريها لكنه ون بهذه عادة ورثناها أيضا عن المصريين القدماء . قال الحكيم المصرى فى وصية إلى ابنه : « اتحد لنفسك روحه وأنت صغير حتى يضيئك أبنا تقوم على تربيته وأنت فى شبابك ، وتعيش حتى تراه وقد اشتد وصبح رجلا . إن لسميد من كثرت ناسه وعياله ، فالكل يوقرونه من أجل أبيائه . فثبتت هذه العبارات بألفاظها ومعانيها هى التى لسمعها كل يوم من أفواه المسنين من الفلاحين يوصون بها أولادهم ليل نهار ؟

نعيب على مواطنينا تمسكهم بوظائف الحكومة وتعظيمهم بديلتها ونعير قلوبهم : « من فاه الميرى أتمرغ فى ترابه » ، ولكننى نسئ أو تناسى . ورثنا هذه العتامية عن جدادنا . فهدد ورد فى المصوص الفرعونية صورة حفظ كتبه أب لابنه يقول فيه : « ياغنى لك تهمت دراستك وسرت وراء ملاهيت ، فهل تريد أن تكون فلاحا تشق وتكدح ! لا تكن فلاحا ، ولا تكن حنذا ، ولا تكن كاهنا ، بل كن موطعا يحترمك الجميع ، ويمتقن منرك حنذا وحشم ونعيم فى مجلس الثلاثين إلى جانب رجال البلاط . »

ولطالما مرأنا بألاف المرفئين وما يمدونه من ضروب المداينة والمصعة

## آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية

الرؤساء انشاء مرضاتهم ، ولكننا نسيما أن هذا الداء مولود فينا توارثناه عن الآباء والأجداد . ألم يقل الحكم « بتاح حنب » الذي عاش منذ خمسة آلاف سنة : « الحس مأم من هو فوقك ، مأم رثيبك في شؤون الإدارة الملكية حتى يسمر بيتك مفتوح ، ويسمر ررقك وراتبك جاريا ، ولا تعصه فإن عصيان من يبيده السلطة شر مستطير . »

ندى الآن بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا انتقل الموظف إلى جهة بعيدة ، ولكن يجب ألا نلام على ذلك ، فإن الاغتراب قد ولد فينا كرهه حين ولدنا ، وورثناه ضمن التركة التي خلفها لنا الأجداد . ألم يشك هذا موظف المسكين الذي نقل من بلده منفيس منذ أربعة آلاف سنة ، فكتب يقول : « بنى أجلس هذا الجسم على حين لطير روحى إلى منفيس حتى تظمئن على الأحوال هناك وتستقر . إنى أحلس هنا ولست بمستطيع أن أقوم بعمل ، أى إلهى « نوح » أحضر إلى وخذنى إلى منفيس ودعى أرها ولو من بعيد . »

ثم إن الكثير مما نشكوه من عيوب مجرى في دماننا بحكم الوراثة من آباءنا وأجدادنا . فتمسكنا بالمظاهر الكاذبة وما تحمسه من تمذير شديد عيب قديم فيما . لا خبرنا لمصوص « أن الملك رمسيس الثالث الذى كان يعفى ١٨٥٠٠٠ كيس من القمح سنويا لمعايد ، هو بعينه الملك الذى كان لا يستطيع أن يرسل خمسين كيس من القمح شهريا لهالة في الجبانة ، وقد كانوا يتضورون جوعا !

« كرم المصريين وإسراهم في الولائم والأفراح فيها موروثة أيضا . فمما شهدت قاعات منارل الأثرياء في عصور الفراعنة ولأتم رائعة كان يدعى « عشتات الصحب والخلان وتتخللها الموسيقى والرقص والغناء . وكان المصريون لا يدخرون وسعا ، كما نفعل اليوم ، في تقديم الكميات الوفرة من « حوم وأوان مختلفة من «لذات أنواع الطعام ؛ إذ كانت تقاس عظمة لداعى بكية « يقدمه من طعام . فإذا حان وقت الطعام غسل كل مدعو يده قبل الأكل ، فكان يتقدم الضيف إلى رجل يصب على يده الماء من إبريق في طست يشبه كلاهما طست والإبريق اللذين نستعملهما اليوم كل الشبه ، فإذا فرغوا من أكلهم غسلوا أيديهم أيضا كما نفعل اليوم .

أما حثارتنا للفلاح فهو قديم . وقد وردت في رسوم المقابر الفرعونية مئات الرسوم التي تهزأ به وتسخر منه ، وكان إذا تأخر في دفع ما على أرضه من

## آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية

ضرائب 'نته جباة الأموال وطرحوه أرضاً و'وسعوه ضرباً لعصبيهم حتى يدفع أفلم يكن هذا هو النظام المسع في جباية الأموال إلى عهد قريب ؟  
وهناك مئات من العادات الصغيرة نراها كل يوم دون أن نلح إليها ، لا فلفني المدي لدينا والمقرى' وهو يتلو القرآن كلاهما يضع إحدى يديه على حده وهو ينشد . فهذه العادات وردت لها عشرات الرسوم في الآثار المصرية لئلا تدن بل إن نفس الرمزة ( المزمارة ) التي يستعملها المعنون في القرى هي نفسها التي كانت تستعمل في عصور الفراعنة .

ثم إن التعقيق بالأيدى لمصاحبة الغناء 'خذناه عن المصريين القدماء . وكما «الطريقة» بأصرف الأصابع عند الرقص ورثناه عنهم أيضاً . وكما كان بعض المصريون القدماء من المغنين وعازين من كان 'نحى لا يصير ، فإسلا نزال في الآن تفصل من المقرئين من كان كتبهف النصر . ما عادة وضع القلم على الأذن التي يزاوها كل يوم مئات من كتبه المحال التجارية والمحصلين وحماة الأموال ( الصرافين ) في القرى والأقاليم ، فهي عادة انحدرت إلينا من كتبه قدماء المصريين الذين كانوا يضعون الأقلام على آذانهم .

بل إن عادة إظهار الإعجاب بحسن صوت المعنى أو المنشد أو إظهار 'مخ العظيم بأن يبقى لشخص ملابسه و طربوشه هي أيضاً عادة مصرية قدمه فقد ورد في نصوص الأهرام وصف لوصول ملك بعد موته إلى العالم الآخر حيث « وجد الآلهة في انتظاره مندثرين بملابسهم ومنتعبلين تعالاً بيضاء ، فما كادوا يرونه حتى ألقوا بملابسهم ونعالهم من الفرع وصاحوا قائلين : « إن فينا لم يدخلها الجبور والفرح إلا عند مقدمك » .

أما ما ندعوه الآن بالسحر فقد ورثناه : كمله عن المصريين القدماء فقد اشتهرت مصر منذ قديم الزمان بالسحر ، وإلى الآن لا تعدم قرية من قرى ساحراً تغلق عليه خيراتها وتضع فيه ثقها ويستمتع فيها بنفس النفود وثقة التي كان ينعم بها سحرة العصور القديمة .

كان المصري القديم يلجأ إلى الساحر إذا أراد التخلص من عدو . ونجبر ، النصوص أن الساحر كان يعذب هذا الشخص بما يطلقه عليه من أحلام مرء وأشباح مرعبة وأصوات مستغربة ، بل إن الساحر كان يسلط عليه الأمر من فتنهك قواه وتهيد بدنه . وكان الساحر قادراً على أن يجعل النساء يتركن زواجهن

ونعلقن نذل من يريد الساحر من رجال ، حتى لو كانوا موضع كره من قبل . وكان الساحر يطلب في مثل هذه الأحوال لكي ينجح عمله أن يؤتى له قليل من دم الشخص المطلوب أو فلامه من طافره أو حصاة من شعره أو قطعة قماش من ثياب يكون قد لبسها ، فإذا حصل الساحر على ما طلب صنع تمثالا من شمع بشكل الشخص المطلوب العمل له ، ووضع في التمثال أو استعمل في صنعه الأشياء التي أحدها . فإذا سم له ذلك لبس التمثال ملابس كالتي يرتديها الشخص نفسه حتى يشبه تمام المشابهة . ثم يبدأ في أن يحرق على التمثال رائحة من الأعمال السحرية ، فكان إذا دق مسامرا في التمثال أصيب الشخص بحرق ، وإذا قرب التمثال من النار صارت شخص حتى حمية ، وإذا طعن التمثال بسكين قتل شخص و حرق . ويظل الساحر يزاول أعماله حتى يقضى على الشخص الذي يرده . وقد ورد في المصوص أن هذا النوع من السحر قد استعمل ضد الملوك رمسيس ثالث ، ولكنه اكتشف الأمر فتمنع على هؤلاء السحرة وصادر ما وجدته لديهم من تمثيل الشمع التي صنعت بشكله ( راجع ورقة هاريس البردية السحرية وورقة تورين البردية الفصائية ) . فليس هذا النوع من السحر وعمل التماثيل من الشمع أو طين وشكله بالامر والدبابيس هو الذي يستعمله سحرتنا في القرى والأقاليم الآن ؟

وأيضاً الأمر مقصوراً في ذلك على القرى والأقاليم ، بل إن القاهرة نفسها وهي حاضرة بلاد تعجب عن يعتقدون فيها بالسحر وقوة فعله . ونحن نورد في هذا ملف فقرة نشرت جريدة الأهرام في اليوم السابع والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٣٥ قالت فيها تحت عنوان : " تشكو من السحر " : " تقدمت فتاة مصرية إلى الموليس تشكو شاباً معيناً به ذنب على أن يستعمل لها السحر حتى نفس مرقدها ، وطالبت من الموليس أن يحول بين ذلك الشاب وبين أعماله السحرية . وكل ما لديها من غرام بالتائم والتعاويد والأحبة : كحجاب الحب والسكره والحفظ ، وآلاف التائم التي تعلق في رقاب الأطفال حتى تطول أعمارهم ، كل هذه إن هي إلا عادات ورثناها عن أجدادنا القدماء الذين كانوا لا يسبرون خنوة لا ولدتهم تراقمهم وتحبهم . وزيارة واحدة له تحف المصري تريساً آلاف التائم التي استعملها المصريون القدماء .

ويقرب من هذا اعتقاد العوام منا عتقاداً حازماً بالعين وقوة أثرها فأت

إذا جلست إلى رجل من العوام حدثك كيف أن هناك فئة من الناس لا تكاد ترى شيئاً تعجب به حتى يحصل له حادث ما . ولنا في ذلك تقاليد غريبة . فإذا توقعك طفل عزت أمه انحراف صحته إلى عين الحسود ؛ فتذهب إلى أحد المشايخ وحينئذ يوعز إليها أن تلتقط « ريحة » الطفل ، ثم يكتب لها حجاباً ويعطيها قديلاً من « الكسبرة » لتبخريها طفلها ، ثم توضع « الشبة » الزفرة في النار ويطوفون خلال ذلك بالمريض حول النار وهم يقولون : « من عين أمك لعين أبوك ، لعين الناس إلى حسدوك ، إن كانت عين مره ، يبتليها بشرشرة ، وإن كانت عين راحل يبتليها بشراشر . يالمبة ، مساء الخير عليك ، فلان منكدرمى نكده عليك » . ثم تأخذ إحدى النساء النار بعد أن تلتقي فيها ملليماً وترميها من وراء ظهرها إشارة إلى نبد أذى العين .

وبسبب العين أيضاً نشأت فكرة تعليق الصحون على مداخل المنازل وقرون الأغنام و عروسة القمح على الأبواب ، وكذا طائفة من التائم تراها معلقة على العربات بل على سيارات الأغنياء منا والمتقنين بشكل حرز أو قلائد توضع دفعا للعين ؛ فهذه الخرافة ورثناها أيضاً عن مصر القديمة . فقد وجد في مكتبة معبد الإله حوريس في أدفو كتاب مملوء بالرق والتعاويذ لطرد العين الشريرة . كما أن هناك نشودة معروفة للإله تحوت يرجع تاريخها إلى الدولة الحديثة ، وقد ورد فيها ما يأتي : « أيها الإله تحوت إذا كنت تحميني لم يبق لي حاجة إلى الخوف من العين » .

يعتقد العوام عندنا أن هناك ساعات من النهار بل أياماً مخصوصة لا يحس بالمرء أن يأتي فيها عملاً لأنها منحوسة . فهذا الاعتقاد في الأمام سعادها ونحسها قديم أيضاً ؛ إذ كان المصريون القدماء يعتقدون أن الأيام تكون سعيدة أو منحوسة طبقاً لما وقع فيها من حوادث سعيدة أو كرهية في أساطيرهم الدينية ، فالיום الأول من أمشير الذي رفعت فيه السماء ، وكذا اليوم السابع والعشرون من هاتور الذي عقد فيه صلح بين الإلهين حوريس وسيت وتراضيا فيه على اقتسام العالم ، كانا يومين كلهما سعد وبركة . أما اليوم الرابع عشر من طوبة الذي نكت فيه ايزيس دنفتيس على أوزيريس فقد كان يوماً منحوساً . وكان هذا الاعتقاد من القوة في العصر الفرعوني بحيث إن كثيراً من الأعمال كالبدء في سفر بعيد أو عقد صفقة تجارية أو ما إليها كان يؤجل من أجل هذه الأسباب .

وما زلنا الآن بعد مضي خمسة آلاف سنة نؤجل أشغالنا لهذا السبب عينه . وقد اعتدنا في ليلة شم النسيم أن نعلق البصل فوق الأماكن التي ننام فيها أو نصنع تحت الوسادة ، وفي الصباح نكسر البصل ونشمه ، وفي بعض القرى يعتقدون هذا البصل على باب المنزل . فهذه العادة مصرية قديمة ؛ إذ كان الناس في عهد الإله « سكر » إله الموتى في مدينة منفيس يطوفون حول جدران هذه المدينة وقد علقوا البصل حول رقابهم ، كما كانوا يعلقون البصل أيضاً حول أعناقهم في الليلة التي تسبق هذا الاحتفال .

كان الطب في مصر القديمة يخاطب احتلاطاً كبيراً بالسحر ، فالعلاج بالعقاقير والأدوية كان يسير جنباً إلى جنب مع العلاج بالرق والتعاويذ . وقد ورننا شيئاً كثيراً من قدماء المصريين في هذا الباب . ففي القرى نجد الشخص إذا مرض لحى إلى شيخ يزاول السحر ، فيكتب له تعويذة على طبق ، ثم يضع الماء فيه كي يحتلط بالكتابة التي عليه ، ثم يكلف المريض بشرب هذا المنقوع لكي يشفى من مرضه . فهذه الطريقة نقلناها عن قدماء المصريين . ولدينا على ذلك الدليل : في المتحف المصري يوجد تمثال من الجرانيت الأسود يقوم على قاعدة ، لكاهن سحر يدعى زحر اشتهر بما كان يحفظه من الصيغ السحرية لعلاج مختلف الأمراض . فهذا الساحر المشهور الذي لا يشق له غبار في فنه صنع لنفسه هذا التمثال وغطاه هو وقاعدته بالتعاويذ السحرية الواقية من عدد كبير من الأمراض لكي يستفيد به بنو جنسه بعد موته . فكان إذا أصيب أحدهم بمرض مما نصت عليه تعاويذ ذهب فصب الماء على التمثال فيصبح الماء بعد جريانه على التعاويذ المنقوشة عليه متشبعاً بفضيلة التعاويذ . وما على الإنسان بعد ذلك إلا أن يغترف السائل الذي يجري إلى تجويف القاعدة فيتناوله المريض ويشربه لكي يحصل له الشفاء .

فليس هذا هو الأصل في العادة التي ذكرناها ؟ وليست فكرة « طاسة الخضة » الموجودة لدينا الآن بما عليها من كتابات ونقوش وآيات ووضع الماء فيها لشربه هي شيء شبيه بما ذكرناه ؟ بل ما أشبه « طاسة الخضة » هذه بإناء من المرمر وجد في مقبرة توت عنخ آمون حفر على حافته سطر من الكتابة الهيروغليفية يتضمن أدعية للملك وتعويذة لحفظه نقشت في هذا المكان حتى



## آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية

تحتاط بما يشربه الملك عندما يضع شفته عليها وقت الشرب فتمسحه الصحة والسعادة .

ثم إن لأصل في تلك التكرار الغربية لمستبحه حتى تمسك فريخا من نساء  
والتي تملحصر في أن فلاه عليها شيخ و عليها عقرت ، لا يعدو الخيال لدى مد  
على عقلية سقيمة معنلة من نساء أكثر من دلالتها على جسم سقيم أو مرض  
عصوي . والمسألة فوق هذا وذاك تقيد ورثناه ، نحدري إليها جسم المركب  
خلفها له المصريون القدماء . السنا نقرأ في قصص المصريين لقضاء قصة  
بختن وقد حلت في جسدها روح شريرة لم يمكن إخراجها من جسده .  
بعد أن ذهب إليها لإله خنسو بنفسه وخرجها بقوة سحره . ولما سر  
في هذه القصة نفسها أن هذه الروح قد اشترطت قبل خروجها أن يقد  
احتفال فم لشرك فيه الإله مع مير تختن بحضور هذه الروح ، ومن  
الاحتفال وقدمت فيه الهدايا والقرابين والضحايا لهذه الروح فم لإله  
خنسو ، فلما أخذت منها بأوفر نصيب ، وعند ما فارقت الحفلة لأله  
« خرجت لروح ذاهبة إلى حيث تريد » كما تقول لمصوص المصرية القديمة .  
والآن لا نجد في هذه القصة المصرية القديمة تفسيراً للعصير الذي استقبل  
هذه الحفلات الهائلة المأجحة التي باعها الرز . ولأولئك « الأسياء الذين  
يحلون في أجسام سيداتنا المصريات .

وهناك صور كثيرة تقع تحت أنظارنا في كل يوم تحاكي أشد المناظر  
مصرية قديمة تتفاصيلها كما وردت رسومها على جدران المقابر . فنارل الفلاحين  
في القرى هي كما قلنا شديدة الشبه بالمارل المصرية القديمة ، فهي تبني مثب من  
البن الذي يضرب في قالب من الخشب بنفس الطريقة أي كان يضرب بها  
عند قدماء المصريين ، ثم يرم في الشمس ليحف . ونفس المصطبة التي نراها  
أمام منارل الفلاحين الآن كانت توجد عند المصريين القدماء أمام منارلهم .  
إن الأخصاص التي نجدتها الآن مقامة في المزارع والحقول وفي جهات مسدة  
من القرى ، والمصنوعة من سفائف من البوص المطلى بالطين ، هي أيضا كانت ذاتها  
الانتشار عند قدماء المصريين .

والآن ننتقل إلى صورة أخرى نراها كثيراً مرسومة على جدران مساكنهم ،  
الأقصر الحالية ، وهي صورة حلاق القرية ، وقد جاس على الأرض وماءه رجل

## آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية

بحاق له في الهواء الطلق ، أفليست هذه الصورة بعينها هي التي نراها في قرانا  
لآن ، بل في كثير من مدينته . بل في العاصمة نفسها على إخمير الطريق بجوار  
سور حديقة الأزبكية .

و نحن إذا سارنا في القرية رأينا فرقاً من الصبية وقد حلقوا رؤوسهم ، ولم  
يركوا عليها إلا خصلات متناثرة من شعر لاريمه . فهذه العادة أيضاً حداثها  
عن أطفال قدماء المصريين .

والآن فلنتقرب من حفلة عرس لرى ما يدور فيها . فهنا نجد المغنين وقد  
وضعوا كفتهم على حدودهم عند الغناء كما كان يفعل المصريون القدماء . وعلى  
مقرنة منهم نجد العازفين على الرمارد ، وهي قصبه من الموص طويلة الساق ذات  
ثوب تشبه غمام الشمه ما كان يستعمله قدماء المصريين . وهناك نجد طائفة من  
الرافضات وقد سرفس في التكحل وعمرن لحدود بالأصماغ كما تعود سلافهن  
من المصريات في العصر الفرعوني أن يفعلن ، ويجدن في يديهن نفس الطيبه  
والدريكة ولرق والطار التي كانت تستعملها الرافضات المصريات في عصور  
الرعشه . كما ترى الحق وقد تشفى شرب بريد ملح ، وهو نفس البريد لدى من  
يفضله المصريون القدماء في أمثال هذه الحفلات .

و نحن إذا تركنا هذا كله حاساً وعمماً شطر الأرضي المروعة والحقول  
سعة رأينا فيها ما يدهشنا . فالحقول تقسم الآن إلى مربعات صغيرة  
سبيل ربيها بنفس النظام الذي كان يسير عليه المصريون القدماء منذ عصر  
فيل التاريخ . ونجد الحقول وقد انتقلت المحراث وبوارثته عن المصريين  
سواء ولم تغير ، مع توالي العصور عليه ، لا من شكله ولا من طريقة استعماله .  
فإنها تنظم الشادوف بشكله المتعارف عند المصريين القدماء أيضاً ، يقوم على  
سعمله الفلاح المصرى الحديث كما كان يقوم سلفه العظيم على استعماله منذ آلاف  
السنين فإذنا نرى الزرع واشتد عوده وآن وأن حصاده ، فطريقة قصه هي بالمنجل  
وهو من المنجل الذي كان يستعمله المصريون القدماء بشكله المعروف الذي  
حدثناه عنهم . وطريقهم في المذرية هي نفس الطريقة التي نستعملها نحن الآن ،  
كما نرى الأداة التي تستعملها فيها ، وهي المذراة ، هي عينها لم تتغير منذ عصور  
قدماء المصريين طبقاً لما نراه مرسوماً على جدران المقابر .

و نحن إذا سارنا على جسور القرى نرى صفوفاً من الرجال والمناشيه والدواب

## آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية

وهي تسير في لافق البعيد ، فتعيد إلى ذاكرتنا مناظر الصفوف الطويلة المشابهة  
المرسومة على جدران المقابر والآثار . ومما يزيد هذه الصورة حركة وقوة حياة  
ما نراه يرقف فوق رؤوسنا من طيور ، فهنا نجد الإلهة المصرية القديمة  
نخبت ترقف على شكل عقاب . وهناك يطير الإله حوريس على شكل صقر  
كبير ، وعلى مدى البصر يسير الإله أنوبيس على شكل ابن آوى ، فيختبئ  
في الأودية والسهول . وعند موطن أقدامنا يرى خبير يسير متمهلاً في شكل  
جعل صغير . وهناك تحت الشجرة مقدسة نرى الإله حموم يرقد تحت ظلها  
في هيئة كبش كبير . وهكذا في كل جانب من جنبات الوادي وسهوله يرى  
الحروف والعلامات الهيروغليفية تقفز بيننا ، تذهب ومحى كأبوابها تقوس  
مبعد فرعونى قديم قد عادت إليها الحياة حاة بقوة ساحر عظيم .

وهكذا تتالى أمام أعيننا في مصر الحديثة صور مختلفة يخيل إلينا معها أن  
رسوم جدران المقابر قد تحولت في لحظات إلى رسوم حية و « تابوهات »  
مجسمة تنبض بالحياة .

فنحن ، كجرائنا ، نعيش في نطاق تركب خلفها لنا القدماء ، تشدنا إليها سلسلة  
من التقاليد والعادات ومختلف الأشياء التي تربطنا بها ربطاً وثيقاً لا نجد إلى  
فصم عروته سبيلاً . فنحن كما كنا وسنظل دائماً أبناء لفراعنة ، وإننا بهذه التركة  
بكل ما فيها من محاسن وعيوب لجد نفورين .

محمد كمال

## الطفلان العاشقان

١ هو في الثالثة من عمره ، وهي في مثل سنه  
أو تنقص عنه قليلا ، نشأ بينهما الحب صارا  
لا يطيقان الفراق في ليل أو نهار . [

أفديهما من عاشقي  
فصنان في ظل الصبا  
ما منهما بحبيبه  
إن غاب عنه أنْ مُدَّ  
قرت به عيناً — فلم  
يتعاطيان من الهوى  
من خرق لم تتخذ  
وتراها — تحت الكرى —  
متبسمين له كما اب  
إن يغضبها فالقلب أب  
هي لحظة تمضي وما  
كم من وداد عاد به —  
ولربما أبدى المحب (٢)  
فن من الحب الرقيق

ن تشاكلا حنا ومعنى  
بذأ غصون الروض حشنا  
إلا أخو وكله معني  
تافاً ، وإن وافته غنى  
تألف سواه — وقر عينا  
كأسا زكت غرسا وبجنى  
إلا حنايا الصدر دنا  
يستقبلان الطيف وهنا (١)  
نسم المروع إذا اطمانا  
يضر لم يسى بالحب ظنا  
حملا بها في الصدر ضغنا  
د الهجر وهو أشد ركننا  
تجلى والقلب مضى  
ح وقد عرفت الحب فنا

(١) الوهن : نصف الليل .

لله حين تراهما  
والزهر أيقظه الندى  
أرنا الرقيب، وقل أن  
«خشف»<sup>(١)</sup> يعانق مستطاً  
يتقارضان الهمس كيت  
كيسا الهوى العذرى كوا  
لم يندما يوماً إذا

تزلا من الأشجار كمتا  
والورق في الأوراق وسنى  
يلقى أخو الصنوات مما  
رأى لته خشما أغنا  
رى في ثنابا التمس لحنا  
بأ طاهراً ذبلاً وردنا  
قرعت غواة لب رستا

25

يا أيها الفنانات لا  
ولقيتما يوماً  
لا تسمعا قول الوشا  
وليرع حبكما العفا  
لو كان يهوى الناس مث  
مقلتما لى فى صفا  
سقىا لروضكما وحيًا

بريح الهوى بكما مهنًا  
سعداً يظلكا ويمننا  
ة، ولا تعيرا العذل أذنا  
ف، فلم يزل للحب حصنا  
لكا جتبوا سلوى ومنا  
هواكما «قيسا ولبنى»  
ه رهاد المزن غنا

على الجنى

(١) خشف : ولد الفزال .

## عدي بن زيد

نشأ عدي في أسرة كريمة بالحيرة ، وكان جداده صدقاء لمؤكفي الذين ولوهم ثقتهم وعظمهم . وكان جده حماد أول من تعلم الكتابة ، وكتب للنعمان الأكبر . وقد بوثقت صلته عمرزبان الحيرة فروخ ماهان ، حتى عهد إليه تربية ولده زيد من بعده ، وقد عمل المرزبان بوصية صديقه . وكان يريد الطفل يجيد العربية فوجه المرزبان لدراسة الفارسية والتكلم بها ، ثم أوصى به خيراً عند كسرى وصرح أن يجعله على البريد في حوائجه ففعل ، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا لولاد المراتبة . وهلك المعين ، واختلف أهل الحيرة فيمن يولي من بعده إلى أن يعقد كسرى الأمر لرحل ينصبه ، فأشار المرزبان عليهم بزيد بن حماد ، فكان ملكاً على الحيرة إلى أن نصب كسرى المنذر بن ماء السماء .

ولشأ عدي بن زيد طفلاً في الوقت الذي كان أبوه ملكاً فيه ، وكان رفيقاً لاس المرزبان ، يلعبان معاً ويتلقيان علوم الفارسية معاً في الكتّاب مدرسي ، وصحح عدي وشاهان مرد ، ابن المرزبان ، كأنهما أخوان . ولما قويت الصلة بين كسرى والمرزبان عمل هذا على إلحاق عدي بخدمة كسرى كما فعل ديه من قبل ، فهو ينتهر فرصة إثبات كسرى له ولولده في صحابته ، فيرحوه أن يلحق بأبنائه هذا الفنى العربى الذكى الذى تعلم الفارسية وتقنها ، والذى يقول الشعر بالعربية . وكان عدي جميل الوجه - والفرس تتفائل بالوجه الجميل - فما كلفه كسرى وحده ظريف المحضر حاصر الجواب ، فأجبه وألحقه بديوانه ، فكان أول من كتب بالعربية في الديوان . وعلا شأن عدي عند كسرى فكان يؤذن له عليه في الخاصة .

وبينا عدي ينعم بما حظى به من عطف كسرى إذا بأعراب الحيرة يشورون على المنذر ، فإنه يعتدى على حقوقهم ، ويأخذ ما يريد منهم قسراً ، فهم يريدون حلمه ، وهو يحس ببغضهم له ، فيؤثر أن يتحلى عن عرشه ، وأن يعيش بقية



همره في أمن وسلام . ولكن زيذاً والد عدي يصلح ما بين الملك وشعبه ، ويرضى العرب برأى زيد على أن يكون له الحكم وللمنذر الملك . وخذ عدي يتردد على الحيرة بين الحين والحين . والناس يرون فيه الرأي الناضج ويحسون نفوذه القوي عند كسرى ، فيعرضون عليه الملك ، ولكنه يأتي أن يكون ملكاً ؛ لأنه لا يحب حياة الحكم بل يريد أن يكون حراً طليقاً ينعم بما ينعم به من غوث في بلاد كسرى ويحيا الحياة التي يحبها بين الفرس ، فإذا حن إلى بلاده استطاع أن زورها متى شاء فيلقى من حب أهلها وتقديرهم له ما يخل على نفسه السعادة والغبطة والبهجة الحقة بالحياة . ويشعر المنذر بما لعدي من مقام عند كسرى ، وما له من حب في نفوس العرب ، فيعمل على تقريبه منه ، ويسحذه صديقاً ويمهد إليه بتربية ابنه النعمان .

وكان للمنذر غير ابنه النعمان أبناء كثيرون يستقون لأشاهب العلم ، وأظهروهم الأسود الذي تربى في حجر بني مرينا . فما احتضر المنذر أوصى أبناءه إلى قسصة الطائي وملكه الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه . ويفكر هذا في أن يفضّ نظر عن هؤلاء الأمراء الصبية ، ويرغب في أن يولي على الحيرة ، برأ فارسيّاً . ولكن عدي بن زيد يذود عن العرب وهو في بلاد كسرى . إنه سكر للمنذر أنه منع الأعراب من أن يأخذوا ما عطوه لأبيه من جمال البيت . ويذكر قوله : « لا واللات والعزى لا يؤخذ مما كانت في يد زيد تفروق » . وناصح لصوت . « ثم إنه يريد أن يحفظ النعمان الذي تربى في حجره ولاية عرش أبيه وأحداده . ويسأل كسرى عديّاً عما بقي من آل المنذر وهل بقي فيه أحد فيه خير ؟ فيجيبه : « إن في ولد المنذر أمانة ، وفيه كنه خير » . فقتل كسرى . « يا ليت إليهم فأحضرهم ، فبعث فأحضرهم ثم رلهم جميعاً عنده » .

ودعا عدي النعمان فوعده بأنه سيملكه الحيرة . ولكنه سينتقص من قدره أمام إخوانه وسيظهر لهم من المودة والاحترام ما لا يغير له ، لأنه يريد أن يبره بذلك حتى يملك له عند كسرى . وجمع لأشدهم أوصاهم بالدب على المائدة وقال : « إذا دعاكم كسرى للطعام فالبسوا من ثيابكم أحسنها ومن زينتكم أناسهم ، وتطأوا في الأكل وصغروا القمم وزرروا ما تاكلون فإن الفرس قوم ذو مدنية وحضارة ، وهم لا يأكلون ما يأكل العرب ، إنهم يتذوقون الطعام ندى ولا يردردونه ازدرداء » . قال : « وإذا سألكم كسرى ، أتكفونني العرب ، فولو

إنا نقدر عليهم ولكن لا نقدر على أنفسنا ، حتى لا يطمع في أن يضرب بعضهم بعض ، وحتى تفلل مهابة العرب موفورة في نفوس الفرس . - وخلا عدي بصاحبه النعمان فنصحه بأن يتجوع وأن يدخل غرفة الطعام في ملابس السفر ، وأن يسرع في المضغ والبلع ويكبر القم وي زيد في الأكل ، وألا يحفل بما حوله من مظاهر المدينة الفارسية المترفة . قال : « وإذا سألك : أتكفيني العرب ؟ قل نعم . فإذا قل وإخوتك ؟ قل إذا عجزت عنهم فإني عن غيرهم لا أعجز » . ودخل الأشاهب على هرمزد بن كسرى وقد تمهم إليه عدي بن زيد ، فأعجبه جماله وحسن زيهم ، ولقت نظره هذا الأحمر الأبرش القصير الذي لا يحفل به عدي بن زيد كثيراً . ودخل هرمزد إلى غرفة الطعام ومعه الأشاهب فرآهم يأكلون كما يأكل أهل الحضريتنا طائون ويتناقون ، عدا هذا الأحمر الأبرش القصير فقد جلس إلى المائدة وكأنه في محبة ، فهو يُقبل على الطعام بشهية فيقطع اللحم بيديه ويزدرده ازدراداً ولا يكاد يلتفت إلى شيء إلا لما يتهياً للانقضاء عليه . ونظر كسرى فأطال النظر إلى هذا الفتى ، والتفت إلى من حوله وقال بالفارسية : « هذا أصلحهم للملك » . ورفع طعام وأخذ كسرى يسألهم فرداً فرداً عن العرب فيجيب كل منهم بما أملاه عليه عدي ، حتى إذا كان هذا الأحمر الأبرش القصير قال : « أكفيك العرب وإخوتي جميعاً » . فقام كسرى وألبسه التاج ونودي به في البلاط ملكاً على الحيرة .

وعاد عدي مع صاحب الملك وعاد الأشاهب ومن بينهم الأسود ووليه عدي بن مريسا . وأراد عدي بن زيد أن يصفو الجو للنعمان وأن يزيل ما بالنفوس من صفائن وأن يترع ما فيها من غل ، فدعا ابن مريسا وأصحابه إلى طعام في بيعة . وبعد الطعام قال له عدي بن زيد : « يا عدي إن أحق من عرف الحق ثم لم يعلم عليه من كان مثلك ، وإني قد عرفت أن صاحبك الأسود كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلمني على شيء كنت على مثله . وأنا أحب ألا تحقد على شيئاً لو قدرت عليه ركبته . وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي ، فإن نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك » . وقام إلى البيعة خلف الأيهجوه أبداً ولا يبغيه غائلة ولا يزوي عنه خيراً أبداً . فلما فرغ عدي بن زيد قام عدي بن مريسا خلف مثل يمينه ألا يزال يهجوّه أبداً ويبغيه الغوائل مابق . وتوثقت الصلات بين عدي بن زيد والنعمان ، وكان هذا يستشير في أموره ويعمل برأيه . وقد بلغ من تأثر الملك بعدي أن ترك الوثنية واعتنق النصرانية

نصيحته<sup>(١)</sup> . ولكن عدياً لم يكن يطيل الإقامة في الحيرة ؛ فهو من أصحاب كسرى الأقربين ، وهو يؤثر البقاء في فارس حيث الترف الذي ألفه منذ صباه . فينتهز ابن مرينا فرصة ابتعاد عدي بن زيد عن النعمان ليتقرب منه . وكانت السبيل إلى هذا التقرب ميسورة ؛ فقد كان ابن مرينا غنياً وكان يستعين بأموال الأسود ، فكان يبعث بالهدية تلو الهدية إلى النعمان ويتردد عليه ولا يترك مجلسه ، فاتخذ النعمان منه صديقاً أميناً . ولما أحس ابن مرينا بتمكنه من النعمان أخذ يدس لعدي بن زيد ، فصوره وقد استعلى على النعمان لأنه صاحب الفضل عليه . وأحس أهل مجلس النعمان بما لا ين مرينا من منزلة وبما تقول من أثر فكانوا يتملقونه بالموافقة على آرائه وتأكيده ما يصدره من أن عدياً لا يؤمن شره . ومهما تكن طبيعة الوسائل التي تذرعه بها ابن مرينا في الواقعة بين الصديقين فإنه نجح في السعي بينهما والايقاع بعدي .

وبعث النعمان إلى عدي عند كسرى يدعوه لزيارة الحيرة فاستأذن فأذن له وما كاد يدخل الحيرة حتى أخذوه فألقوه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد . وأدرك عدي بن زيد أن خصمه ابن مرينا قد أفسد ما بينه وبين الملك . فكتب إلى النعمان يشكو إليه سعي أعدائه به ، ويذكر بما كان من أمر نصره له والأخذ بيده حتى علا العرش :

سعى الأعداء لا يألون شراً	على ورب مكة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدي	ليُسجن أو يُدَهْدَه في القليب
وكنتم لراز خصمكم لم أعرد	وقد سلوكوك في اليوم الخصب
أعالتهم وأبطن كل سر	كما بين اللحاء إلى العسيب
فقرت عليهم لما التقينا	بتاجك فوزة القيد الأريب

ثم شكما لما لقي من الحبس والقيود ومصادرة الأموال ، وقد أصبح بيته مقفراً إلا من زوجات وأرامل هلكن من النحيب :

أحظي كان سلسلة وقيداً      وغلاً والبيان لدى الطبيب

(١) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحزرة الأصفهاني من ٧٤ .

أناك . بأننى قد طال حبسى ولم تسام بمسجون حريم  
ويبقى مقفراً إلا نساء أرامل قد هلكن من النحيب  
يبادرن الدموع على عدى كشن خاتنه خرز الربيب  
يحاذرن الوشاة على عدى وما اقترفوا عليه من الذنوب

ثم يستعطفه ويعتذر إليه عما قد بدر منه :

فإن أخطأت أو أوهمت امرأة فقد يهيم المصافي بالحبيب  
وإن أظلم فقد طابتموني وإن أظلمت فذلك من نصيبى

وحيراً يقول له إنه سيندم عليه إذا افتقده فى الشدة فلم يجده :

وإن أهلك تجد فقدى وتخذل إذا التقت العوالى فى الحروب

وكان كثير الضيق بهذه الأغلال التى شدوه بها . وقد زارته أمه فسأه أن  
رأته وقد أوثقوه وهو ينصحها ألا تقترب منه ولا تحاول معاقبته ، فإن المصنف  
بالأغلال لا يروق له عناق :

ولقد ساءنى زيارة ذى قرى بى حبيب لودنا مشتاق  
ساءه ما بنا تبيين فى الأدي دى وإشفاقها إلى الأعناق  
فاذهبي يا أميم غير بعيد لا يؤاتى العناق من فى الوثاق  
واذهبي يا أميم إن يشأ الله بنفسي من أزم هذا الخناق  
أو تكن وجهة فتلك سبيلك اس لا تمتع الحتوف الرواق

ثم يخاطب إخوته طالبا منهم أن يغيثوه ويخلصوه من سجنه :

وتقول المدة أودى عدى وبنوه قد أيقنوا بفلاق  
يا أبا مسهر فأبلغ رسولا إخوتى إن أتيت صحن المراق  
أبلغن حاصراً وأبلغ أخاه أننى موثق شديد وثاق  
فى حديد القسطاس يرقبني الحاء رس والمرء كل شيء يلاق  
فى حديد مضاعف وغلول وثياب منضحات خلاق  
فاركبوا فى الحرام فكثروا أخاكم إن عيراً قد جهزت لانطلاق

وأخذ عدي يرسل القصيدة تلو القصيدة للنعمان مستعظماً ، والنعمان لا يابأه له ، ويكتب الشعر لأعدائه ناصحاً تارة ، ومهدداً تارة أخرى فلا يلتفت إليه أحد منهم . وكان له أخ اسمه أبي كان قد ألحقه بديوان كسرى ، فكتب إليه شاكياً ما يلقاه من سجن وقيد . ورفع أبي أمر أخيه إلى كسرى فكتب إلى النعمان بأمره بإطلاقه . ولكن خليفة النعمان أرسل إليه بما كان من أمر كسرى ، ثم إن جماعة من خصوم عدي جاءوا يعدون إلى النعمان وحدثوه بأنهم رأوا رسول كسرى يدخل السجن ويقابل عدياً ، وأن الرسول في الطريق إليه ، فخشي النعمان إن ترك عدياً حيّاً أن يخرج من السجن فينتقم منه ، فأرسل إليه جماعة فغتموه حتى مات . وجاء رسول كسرى فدخل على النعمان فأحسن وفادته وتلقى رسالته ثم أبلغه أن عدياً قد مات .

ولم يكذب ابن مرينا يتخلص من عدوه الأكبر عدي حتى أظهر النفور والبغض للنعمان ، فانه لم يكن يريد ملسكا على الحيرة ، وإنما كان يسعى للأسود . وأحس النعمان بما كان من حقد ابن مرينا على عدي والإيقاع به عنده ، فقدم على ما كان من قتله ، وأخذ ولده زيداً فأحس رعايته ، ثم بعث به إلى كسرى راجياً أن يكون خلفاً لأبيه .

وقبل ملك الفرس زيداً وولاه وظيفة أبيه . وكبر زيد وزادت منزلته عند كسرى ، وفي نفسه أن يكيد للنعمان انتقاماً لأبيه . وكانت الملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم ، وكانوا يبعثون إلى الأطراف في طلبها ، ولكنهم لم يفكروا في بلاد العرب لظنهم أنها خالية منها . ودخل زيد ذات يوم على كسرى فوجده يتحدث في ذلك القول ، فقال له : « إن عندك النعمان من بناته وأخوته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . وأراد أن يحكم انتقامه فحدث كسرى بأن شئ في العرب ، وفي النعمان خاصة ، أنهم يتكرمون عن العجم . والتمس من كسرى أن يذهب بنفسه إلى النعمان حتى لا يغيبن أو يعرض غيرهن ، فبعثه كسرى ومعه رسول من عنده . وأقبل زيد والرسول على النعمان فأبلغاه الرسالة . فقال : « أما في هذا السواد وعين فارس ما يبعث به كسرى حاجته ؟ » فسأل الرسول زيدا : « ما المأ والمأ والعين ؟ » فقال له بالفارسية : « كإوان أي البقر » . واعتذر النعمان عن تلبية طلب كسرى . فرجع زيد ومعه الرسول فحدثا الملك برفض النعمان ، وقال زيد : « إني خبرتك يا مولاي بضعهم بنسأهم على

غيره وأن ذلك من شقائهم ، وإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال . فسأل كسرى الرسول فقال : « إنه أجابنا بقوله أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ؟ » فغضب كسرى ووقع في قلبه منه ما وقع ، وقال : « ربَّ عبد قد راد ما هو أشد من هذا ثم صار أمره إلى التباب . »

وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان ، فأصبح في حيرة من أمره : أيحارب كسرى ذوداً عن الأعراض وهو لا يقوى على قتاله ؟ أم يبعث بزوجاته وبناته وأخواته إليه ، وهو ما يأباه الرجل الحر ؟ واستجار برؤساء العرب فلم يُجِروهُ أحد منهم فليس منهم إلا خائف من كسرى طامع في رضاه . فأودع أهله رئيساً من العرب ، ثم سار إلى كسرى الذي بعث يطلبه .

وقابه زيد بن عدى على قنطرة ساباط فقال له : أنتجُ نعيم إن استطعت النجاء . قال . أفعلتها يا زيد ! أما والله لئن عشت لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربي قط ولا لحقنك بأبيك .

قال زيد : إمض لشأنك نعيم ، فقد والله أخيت لك أخية لا يقطعها المهر الأرضي .

ولما بلغ كسرى أن النعمان بالباب أمر بقيده وإلقائه في السجن ، فظل به إلى أن لقي حتفه .

وهكذا انتقم زيد لأبيه الذي مهد للنعمان بلوغ الملك ، والذي قال له وهو مجين :

نحن كنا قد علمنا قبلك تهمد البيت وأوتاد الإصار

بمدي الشاب



# من هنا وهناك

## عبد الحق حامد وأفكاره الفلسفية

قبل أن أدلى ببيان رأى نحو أفكار شاعر مفكر جليل القدر مثل عبد الحق حامد يحسن بي أن أورد نبذة عن شخصيته المعنوية وطبعه الشاذ ؛ فإن هذه هي القاعدة المتبعة والدأب للقبول لدى الناقدين .

ولكنني آسف لعدم كفاية وقتي ، وهذا ما جعلني لا أقف منه موقف الناقد ، فأردت مع ذلك أن أضع بالاختصار تحت ضوء البحث في عدة صفحات شيئاً مما قد يثير الفضول مما درسته عن هذا الموضوع . وإني أؤكد للقراء المحترمين أن ما سوف أقوله إنما هو صورة صادقة لظني الناقد الذي سيطر على فكري نتيجة بحثي الذي قمت به بصبر ودفء .

إن شخصية حامد المعنوية معتدة جداً ، وهي تكاد تقرب مثلاً لفطرة متعددة أوجوه أعني أنها تجمع في نفسها نماذج من شخصيات متخالفة ومتنوعة . ولذلك أعتقد أنه لا يكون صحيحاً أن نعتبرها شخصية واحدة ، وإن كانت وحيدة في تاريخ أدبنا كآية لعبيرية .

إن حامداً للفظ مشترك ، بل إنه لاسم جمع ، وإني هذا الاسم تسبب شخصيات معنوية محملة كلها على فطرة متناوئة .

وهو ذاته قد أدرك هذه الحقيقة ، فقال للتعبير عن معنى التضاد الموجود في طبعه :

حقيقة أيكي شخصين ، اعتقادهم : يرى هميشه مبشر ، يرى مكدر در !

[ ما أنا إلا شخصان ، وفي اعتقادي أحدهما أن مبشر والآخر مكدر . ]

ولقد يفهم أن قائل هذا البيت يعرف أنه وهو ليس بطبيب — أنه يكون نموذجاً لتلك الظاهرة الروحية النزوية المسماة « ثنائية الشخصية » ويعتقد أنه هكذا ويعترف ، هذا صحيح ! ولكنه يقوله من وجهة التأوؤم والتناؤل . ولعله من المستطاع أن يقال إن المني الذي أقصده أنا لم يخطر قط بباليه . إذن لا تبالغ كثيراً ولا نعد حالة الشاعر مطابقة للأشجورية الروحية المشهورة عند الأديباء النفسانيين .

وفي الحقيقة قد يوجد في بعض الأشخاص الثنائية الشخصية . ونحن نعتبر هذه الثنائية لأسباب عدة حالة مرضية . ومثلاً قد طور بعد البحث والاختبار أن بعض الناس يعمل بفعل الروحين ، أنهم يصلون كشخصين متفاوتين ليس بينهما أدنى تشابه ، وأن أحدهما بعد أن يظل يطهر معنويته لمدة وبطابع معين يزول عن الوجود ، أو على تعبير علماء النفس يفادر المشرح ثم يظهر كأنه متجرد من الروح الأولى ويعمل على فطرة أخرى ، هذا الشخص الثاني ليس بالشخص الأول وهو على تقيضه تماماً سواء أكان ذلك من حيث الفكر أم الاعتقاد أم الخلق . والريب أن هاتين الشخصيتين المختلفتين ليستا على اتصال الواحدة بالأخرى ولكل منهما ذاكرة خاصة ، ولكل منهما حرم يحيط بمعنويتها ، كل منهما تمثل دورها على المشرح أي تعمل بحكم شخصيته وتتذكر أعماله السابقة وتواصل حياتها المعنوية بعد استئصالها من المرحلة التي تركتها فيها .

ولولا أن اعتقاد التناسخ باطل بالبداهة  
لكان الانسان يستطيع أن يدعى أمام هذا  
الحادث العجيب: أن روحين مختلفتين تترددان  
على قالب الجسم نفسه دون أن تشعر إحداها  
بالأخرى، وتصرقان فيه التناوب!

وماك الظاهرة الغريبة التي نسميها بالثنائية  
الشخصية ولها أنواع، والأطباء الاختصاصيون  
يمدون هذا النوع منها مرضاً خاصاً ينهك  
الشخصية.

والشاعر المهور الذي أنشرف بمعرفته  
جيداً ليس ولا شك شخصاً عجيباً مثل هذا  
وأنا كفيلاً بذلك. وإذا قلت: إنه من دوات  
الشخصيات العديدة فلست أقصد العنق المذكور  
تعبساً، فأرجو ألا يفهم ذلك خطأ. فكل  
ما أريد أن أقوله هو أن لروح حامد مظاهر  
متنوعة ولذكاؤه تجليات ولطبعه ميولاً مختلفة.

ولكنها تكون في ذات حامد سجاياء ذلك البروز  
والاستلال، بحيث إنما تكاد تكتفي بتمييز شخص  
من كتبه الخمسة. وهذا النوع من الأسان  
ليس نادراً، وليست هذه النظرة من شأن  
الشخصيات المنظمة بالضرورة، وإني هي  
إلا فطرة جبلت عليها غسب.

وإني إضال أن لحامد شخصيات عديدة،  
ولكنها تتغير. أعرف منها ثلاثاً، وكتبت  
هذه الرسالة لتقدير إحداها حق قدرها.

أولاً إنه لروح طفل دمثة مرحلة غير خاضعة  
لنظام بل نائمة في بعض الأحيان. ولقد نمرها  
ففي إلى فاحتفظت بشبابها ولم تعرف الهرم.

وهذه من روح غائرها مدة طويلة ووصو  
هنا رغم جوانها ولاهم وانقون من أنها بريئة  
وليس من شأنها أن تكبر فهي فتية دائماً!

أليس الشاعر كالطفل في فطرته؟ وما الطفولة  
بشارة ما دامت لا تفكر صفو العبقرية. ألم  
يكسب شارد بايرون، بول فرلين وروبرت  
لويس ستيفنس وكثير من كبار الرجال؟

وليست معنوية الطفل هذه لا تقهر شاعرنا

فحسب بل هي تذهبه بحيث لا يمكن تقديرها  
حق قدرها. حينما تضيق روح الشاعر ذرعاً  
بالافتراضات غير المجدية للعقل الذي يشعر بعجزه  
ويستقد لسانه أمام أسرار الغيب، يلتجئ  
الشاعر المسكين إلى معتقدات الطفولة البريئة  
الخالصة فيجد فيها شيئاً من العزاء. هذا الرجل  
الذي تغلق باله فكرة الانعدام إلى الأبد، يسليه  
عها النظر إلى وجوه الأطفال، فيخيل إليه أن  
الذين مضوا يعودون فيهم إلى الحياة، فيقتلي  
برؤيتهم على عيائهم. ومثلاً أنه أوضح جيداً  
جداً كيف شعر بسرور مؤلم حينما لاحظ أن أما  
ماتت قد عادت إلى الحياة في شخص نقى.

والشاعر بعد أن خاطب أولاده ولا سيما  
ابنته ونبه عليها قائلاً:

شاعر ده جوجوتدو، أي تيزم! ييل.

[ اعلمي يا بليقي أن الشاعر طفل أيضاً! ]

يرهن على ما أوردته بالآيات الآتية:

جوق مسئلة حل ايدر وجودك  
بازيجه سي دراو دست جودك  
من مك فيلان اول مزاري تأويل  
مهرم اوله جق سنكاه تكيل.  
بن سنجه او يوجياغم مسلم.  
سن سه بكا برغريب تمثيل.  
سندن بولورم بودم تسلي  
لكن اونه برالم تسلي؟  
برطرز يانله آ كلا شيلماز،  
فريادو فنانله آ كلا شيلماز!

[ إن وجودك لمذبح حل صائل كنيرة ]

وهو لعبة بيد الخالق الكريم  
وما وجودك إلا تأويل للتعبير  
وما أنت إلا تكلة لعمري  
وما أنا إلا لعبة في يديك  
أما أنت فأية عجيبة لي

وإذا كان الإنسان لا يدرك — كما يرى الشاعر — حقيقة الأشياء وعلّة الكون وفأية الحوادث : أى سبب الحياة وسر المات ، وقف موقف المتفرج من جريان الوقائع . وإذا لم تكن للمعرفة سوى ذلك ، فإن معرفة الأطفال وحكمهم الذى يصدر عنه عفواً وبسذاجة الجدير بالرجحان ، إذ الأولى هو عدم المعرفة . وهو يستمد من روح الطفل تلك عندما لا يجحد في جريان الحوادث نظاماً ، وفي الكون فأية معقولة ، أى حين يقع في الشك وهو يعين النظر في مشكلة الة النهائية . ولا غرو أنه تصور الله كالطفل الأكبر تحت تأثير هذه المشكلة . وهذا يعنى أنه عند ما لا يرى نظاماً في العالم يتعذر من قبول عقيدة الإيجابية .

نقلها إلى العربية إبراهيم صبرى

توقيعه رضا

وليس لي عزاء سواك الآن  
ويا له من عزاء مؤلم !  
لا أملك بياناً ولا نوحاً لتبينته . [

عندما تميز كل الأفكار الفلسفية أن تسد فراغ القهر يأس الشاعر من الاهتمام إلى وسيلة لشفاء آلام روحه العميقة القاسية ، فيجد النظريات الفلسفية والمعتقدات كلها عبارة عن أقوال باطنة لا غناء فيها ، وحينئذ يرجع إلى الطفولة ، ويرى اعتقادهم أولى بصفاء الضمير ، وفي قوله :

سزلده كي اعتقاد ، خوشدور .  
اك دوغروسى او ، بزمكى خوشدور .

[ إن اعتقادكم أحسن وأصح  
أما ما عندنا فهو واه ]

ما أثبت ما أسلفته . .

### جناية

كتب إلينا الأستاذ حبيب زحلاوى رداً على ما أنير حول القصة التى نشرت له في أحد أعداد هذه المجلة ، وظهر أنه سبق أن نشرها في إحدى المجلات الأدبية تحت عنوان آخر . ولنا نحب أن نعود إلى ما كتبناه عن ذلك في العدد السابق . غير أننا نقول إن مادركم الأستاذ عن علم سكرتير التحرير سابق نشرها لا يمكن أن بطابق الواقع ، كما أن تبير العنوان إنما كان بعمل الأستاذ مؤلف القصة وبخطه ، ويثبت ذلك أصلها المفسوط في الد ر . والأستاذ رأيه في ميدته الخطر عن حق المؤلف في بيع المقال الواحد لأكثر من بائع . ولم يبق بعد ذلك إلا أن تنشر خطابه بدون تعليق :

حضرة المحترم سكرتير تحرير مجلة الكاتب  
المصرى  
أت في العدد التاسع من المجلة ، كلمة بعث بها أديب من العراق إلى رئيس التحرير يستنكر فيها نشر قصتي « جناية » التى نشرت بالعدد السابع من المجلة ، ويقول إنها نشرت

من قبل ذلك بمجلة « الرسالة » بعنوان آخر . وقرأت أيضاً تعليقك على تلك الكلمة . وقد بدالى أن أهل الرد عليها تجاوزوا عن الروح الذى أملى عليك ذلك التعليق ، واستغفانا بالواقعة نفسها ، لأن طبيعة القصة تقبل النشر في أكثر من صحيفة ، وفي أزمان

أقول : بلى ! هذا من حق وليس لمخلوق أن ينازعني فيه ، وإلا فأراى الأستاذ حسن محمود فى موضوع أو موضوعات أدبية يذيعها أديب بالمذيع فأخذ عنها أجرا ، ثم ينشرها فى صحيفة أو أكثر فينال عنها أجرا ، ثم يبيعها فى كتاب ويقدمها للناسر فأخذ عنها أجرا ، ثم ترجم إلى لغات أجنبية وتشر فيقبض عنها أجرا ، فهل يتطبق تصرف هذا الأديب على تصرف التاجر الذى يبيع السلعة الواحدة مرتين ؟  
اللهم كلا !

نشرت صحيفة « كانديد » الفرنسية قصة متسلسلة عنوانها « سيدة فى نافذتها » لقصوى يدعى دريس لاروشيل ثم نشرتها بعد ذلك مجلة « باريس » فى عدديها ٢١ — ٢٢ الصادرين فى أول وفى منتصف شهر أكتوبر سنة ١٩٢٩ من سنتها السادسة والعشرين ، فانها كتبت القراء تحمّل الشكر لقلم تحرير « مجلة باريس » التى يسرت لهم قراءة القصة دفعة واحدة . وهل فعلت سوى أنى نشرت قصة فى عدد واحد من « الكاتب المصرى » كانت نشرت فى مجلة « الرسالة » متسلسلة فى مجلة أعداد ؟ وهل فى هذا الأمر الذى اتفقنا عليه معاً ما يستوجب اللوم ويستحق الانتقاد ؟

محمد الزمزمى

مقارنة البعد ما دام فيها ما يكفل لها ذلك من عناصر الحياة وخصائص البقاء . ولكنى أناول الرد على التعليق بالمقدار الذى يضع الاسم فى نصابه ، ويجرد المسألة من الزوائد التى حثرها السائل بسؤاله ، والكاتب فى كتابه .  
عرضت عليك — باتفاق بينى وبين رئيس التحرير — قصة « لقيط » ( وقد نشرتها مجلة « الكاتب » ) ، فأبيت أخذها بحجة أن فيها ما يمس فتاة مجنونة فى الجيش البريطانى ، عرضت عليك مجموعة قصصى المدة للنشر وترك لك حرية الاختيار ، فاخترت أنت القصة التى نشرتها لطايعها الشامى البديع . ولكن عنوانها « الجارم » لم ينبجك ، فاستبدلنا به عنوانها الجديد وهو « جنابة » وكتبته فى رأس القصة بقلمك وحبرك ثم نشرتها . ولما تلاقينا بعد ذلك لقيتني ببشاشة ظاهرة وإقسامه عريضة ، وقلت لى : « متى تتحفنا بقصة جديدة لم يسبق نشرها » فاعتذرت لك بانصرافى إلى كتابة القصة الطويلة ، وانتهى الأمر .

إذن كان المعلوم أنك اخترت قصة نشرت من قبل ، وكان المفهوم أنك تقرأ مجلة كجلة « الرسالة » ، فامعنى أن تسألنى الراى فى التاجر الذى يبيع السلعة الواحدة مرتين ؟ ولكن أليس من حق أن أبيع قصة لناسر سبق لى نشرها ؟

# شهرات

## شهرية العلم

### الالكترونون الحائر وبوهر العظيم

طالبان : عالم الالكترونات عاش فيه البشر ملايين السنين ، وأكبر خصائصه انبعاث الضوء والكهرباء ، وعالم نووى يشغل العلماء مرجحه نواة الذرة . وأظن أننا سنعيش فيه ملايين أخرى من السنين إن لم ينقطع بقل الانسان جبل الحياة على الأرض . ولقد تحدثت عن العالم الالكترونونى فذكرت أن ذرة كل عنصر تتركب من نواة وسطى يدور حولها عدد من الالكترونونات كما تدور الأرض حول الشمس . وإني لا أدخل في أصل الفكرة عند رذرفورد ومدروسته اللذين افترضا للمادة هذا النظام الشمسى ، ومع ذلك فانه لا يمكن أن يفترض رذرفورد ذلك ليكون افتراضه صحيحا ، فالعلم يتطلب التحقيق من طريقين طريق البحث النظرى وطريق العلم التجريبي . ويتلخص الموقف فى نظريتين ، إحداهما تعتمد على افتراض حركة بدولية لا حركة دورية للالكترونون داخل الذرة ، وهذه تفسر الانبعاث الضوئى ولا تفسر مواضع خطوط الطيف . والثانية تفترض للالكترونون حركة دورية حول النواة ، وهذه لا تفسر خطوط

الطيف إلا على حساب حركة قديمة للالكترونون نحو النواة ، وهو ما ليس حادثا لعدم تغير مواضع خطوط الطيف . وهكذا لم يمكن الاحتفاظ فى بادئ الامر بنموذج رذرفورد الشمسى ، وهو النموذج المحبب إلى العلماء ، مع تفسير فى الوقت ذاته للانبعاث الضوئى ووجود خطوط الطيف فى مواضع ثابتة . صعبات تتلوها صعب لم يمكن التنب عليها إلا فيما بعد . على أن مهيت اليوم أن أشرح كيف قلب العلم على هذه الصعاب ، وكيف ثبت للعالم دوران الالكترونون المشير حول النواة ، وكيف أمكن مع هذا تفسير الانبعاث الضوئى وتحديد مواضع خطوط .

ولعل بدء النجاح فى التنب على هذه الصعاب يرجع إلى مجهود رجل متواضع ، مجهول الاسم فى زمانه ، له مكاتته اليوم بين العلماء المحدثين ، هذا الرجل هو بالير الذى ظل متزويا فى قاعات التدريس فى ثانوية بال بسويسرا . عكف باليسير عام ١٨٨٥ على دراسة طيف الهيدروجين الذى تظهر له



علياً لو أننا استخدمنا فكرة الكم عند بلانك ، وهو الذى يقول إن الطاقة ظاهرة غير متصلة ، وإنها لا تحدث إلا بكم معين أى بوحدة معينة . وتطلع بومر بناقب فكره نحو الإلكترون محاولاً أن يسطيه نموذجاً يتفق وفكرة الكم السابقة ، نموذجاً يفسر به الانبعاث الضوئى ، مع الاحتفاظ بنموذج رذرفورد السابق .

حدثنا العلماء أن المادة لا توجد إلا بكم ووحدة معينة هى حبيبات ذرة العنصر ، وأن الكهرباء لا توجد إلا بكم معين أى وحدة لا تتجزأ هى الإلكترون . ويحدثنا بلانك أن الطاقة فى هذا الكون مهما كان نوعها لا توجد بدورها إلا بكم معين لا ينقسم إلى وحدتين . ولندرك ذلك أذكر أننا إذا أردنا مثلاً أن ندعو عدداً من الناس لتناول الطعام ، فإنا نغضون أن ندعو ثمانية أشخاص مثلاً أو تسعة أو عشرة الخ . . . ، ولكننا لا نستطيع أن ندعو تسعة أشخاص ونصف شخص ، إذ الإنسان موجود فى الحقيقة بوحدات معينة ويستحيل وجوده بأنصاف هذه الوحدات — كذلك الحال فى الطاقة التى لا توجد فى الحقيقة إلا بوحدة معينة وكم معين .

هذا الكم للطاقة تطلع إليه بومر لبونق بين أعمال جليسة لبالمير صاحب السلسلة ، وأعمال هامة لبلانك صاحب الكم ، وأعمال أخرى لرذرفورد صاحب النموذج الذرى المحبب إلى العلماء لانسجامه مع بقية الكون . وهكذا بدأ بومر عمله محاولاً تفسير الشفرة التى عثر عليها بالمير ، وكان بومر يقول : « ليست هذه الورقة لبالمير عديدة القيمة ، إنما هى ورقة تحتاج إلى من يظالمها » . وهكذا تشبث بومر بهذا المستند ، وهو يقول للعالم أجمع : « أعطوني وقتاً كافياً لعملى اوفق لقراءة هذه الرسالة المعجبة » .

خطوط رأسية تقرب بعضها من بعض ابتداء من خطوطه الأولى فى الأحمر نحو البنفسجى كما فى الشكل ، وقد انضح له فى بادئ الأمر هدم وجود نظام معين بين أوضاع هذه الخطوط ، ولكنه وجد أن هناك ارتباطاً بينها وبين بعض ، كالمثل هذا الارتباط لطيف العناصر الأخرى . وهكذا أصبحنا يعمل بالمير أمام دالة رياضية تشمل متغيرين أحدهما طول الموجة والآخر ترتيب الخط الطيفى ، بحيث وجدت علاقة لأول مرة بين الأعداد الصحيحة وموضع هذه الخطوط .

ولسهولة علاقة بالمير ولشعورى باهتمام فريق من القراء ببحوثه ، بل ولاهمية هذه البحوث ، أذكر أنه إذا فرضنا أن :

- ١ عدد الذبذبات الضوئية فى الثانية أى التردد  
٢ ترتيب الخط الطيفى فى الهيدروجين  
٣ عدد ثابت يسمى ثابت ريدبرج ومقداره :

$$76 و ١٠٩٦٧٧ (م.س) - ١$$

فإن علاقة بالمير تكتب كالآتى :

$$1 = \left( \frac{1}{n_1^2} - \frac{1}{n_2^2} \right) R$$

ويلاحظ أنه إذا عوضنا فى السلسلة المتقدمة العدد بترتيب أى خط ابتداء من الخط الثالث نحصل على التردد الخاص بهذا الخط ، وبإتالى على طول موجته ، وقد طابق هذا الواقع إلى حد كبير .

ذلكت أعمال بالمير منذ سنة ١٨٨٥ لا تجد تفسيراً إلى أن قام عالم دأمركى يافع فى سنة ١٩١٣ بالخطوة الحاسمة فى هذا الموضوع ، وهذا التاريخ الأخير يجب أن يذكره الإنسان بكثير من الاهتمام ، فقد عرف نايلز بومر لأول مرة أن هذه السلسلة لبالمير تجد تفسيراً



أرجو أن يقال موافقة العلماء المعاصرين .  
ولقد حاول بوهر بهذا أن يفسر عملية  
انبعاث الضوء التي لم يصحها إلى دوران  
الالكترونون، وإنما عزاهما إلى حادث عظيم وقع  
لهذا الكوكب الصغير ، حادث لم يقع حتى  
الآن لكوكبنا الأرض منذ دورانه حول  
الشمس ، وهذا الحادث الجسيم الذي وقع  
للالكترون هو وئبة له من إحدى المدارات  
إلى مدار آخر ليس له أن يتعداه إلا بمحادث  
آخر مماثل للأول . على أن هذه الحوادث  
وأمثالها التي أحدثت تغييراً في طاقة الالكترونون  
هي التي سببت لنا على شبكة البين ما نراه من  
الامتصاص الضوئي الذي يرجع في أصله إلى هذا  
الاضطراب الالكتروني ، فترى للصوديوم  
هذين الخطين ، وترى هذا آخر وذلك أصغر .

هنا يمحروننا بوهر من كل قيودنا العلمية  
السابقة ، ويباعدنا عن كل معارفنا وعن  
كل ما ورثناه وورثه فيزيائيو هذا العصر من  
علوم . فتلاكم يمكن أن نتصور مع بوهر  
الالكترونون دائراً في مدار معين لا يرس  
أمواجاً كهربائية وفق نظرية مكسويل ، تلك  
النظرية التي اضطرب بوهر إلى هجرها . بل ربما  
نصادف بعد ذلك صمويات جمة ، أو لها أن  
لا ندرك لماذا تعطي وئبة الالكترونون إشعاعاً ،  
وثانيتها لماذا يتبع نظام المسارات وحدة بلايت  
وأخيراً يقتصر بنا الفكر أن نفهم لماذا ومن  
الالكترونون ؟

ومهما يكن من خطورة هذه الاشعة ، فإن  
بوهر لم يعرها انتباهاً ، وربما كان هذا سر  
عظمته . وهكذا كلما عارضته فكرة قديمة عمد  
إلى ترك القديم ، وظل شاخصاً إلى الطيف  
لا يسأ بكل تاريخ الفيزياء ، مادام يجده بطريق  
الخاصة تفسيراً لوضع الخطوط الطيفية ،  
وهكذا أحدث ثورة علمية كبرى .

على أن هذا النجاح لبوهر ، وإن تعارض

والآن دعونا نسأل لماذا ترى في  
الصوديوم خطوطاً طيفية معينة ، وترى  
لهيدروجين خطوطاً أخرى ؟ دعونا نسأل  
هل هناك علاقة بين ما نراه وبين ما هو داخل  
الذرة ؟ إننا لم نر هذه القطعة من الصوديوم  
هذه الخطوط إلا بعد أن هيئنا في القلب —  
ترى ماذا جرى في عالمها الالكتروني ؟  
وما هذا النوع من الاضطراب ؟ وما الذي  
طرا على الالكترونات الدائرة داخل ذرات  
هذا الصوديوم ؟ ترى ما الذي حدث للصوديوم  
أو لهيدروجين أو غيره من أحداث طالية  
جعلتنا ترى لكل منها خطوطه المنتظمة ؟

هنا احتفظ بوهر العظيم بنموذج رذرفورد  
ولكنه لم يوافق على ميكانيكا لورنتز البندولية  
ولا على تلك الفكرة التي تفسر الانبعاث الضوئي  
تفسيراً خاطئاً ، من تقدم مستمر للالكترونون  
نحو النواة عند دورانه حولها . وأصر بوهر  
على أن الالكترونون يدور ، ولكنه يدور  
في مدار ذي قطر معين أو مدار آخر محدد ،  
وحسب أن لكل مدار كمية معينة من طاقة  
الالكترونية تزداد بازدياد المسار ، وفي هذا  
ازدياد لطاقة الالكترونون الكامنة ، وهي  
الطاقة التي يعطيها كاملة فيما لو وقع في النواة  
مثلاً . وهنا أدخل بوهر فرضاً جريئاً له علاقة  
بكم بلانك متقدم الذكر ، ففرض أنه لا توجد  
مسارات للالكترونون إلا تلك التي تطابق  
التنبي في الطاقة بمقدار كم واحد . وهنا حسب  
هذا الكم الذي يرتبط بمقدار المسار وتنبع  
في ذلك الأعداد الصحيحة ١ ، ٢ ، ٣ الخ  
وكمه فرض في الحيز حلقات معينة حول النواة  
لا يمكن للالكترونون أن يدور إلا فيها .  
وأظن أنه يمكننا أن نفترض في الحيز هذا  
النوع من عدم الاتصال بجوار للمادة . بمعنى  
أنه يصح لنا أن نفكر أن وجود المادة  
تفرض على الحيز بجوارها أو عندها فرضية  
بوهر المظلمة للتقدمة . وهو رأي خطري

كل هذا يجعل الموضوع عسيراً ، ومع ذلك اندفع جيش من الفيزيائيين النظريين في كل جامعات الأرض محاولين تتبع أعمال بوهر وتطبيقها والاضافة إليها ، وذلك بالانتقال من عنصر إلى عنصر والتغلب على صعوبة الحساب ، وتوالت الرسائل العلمية في هذا الباب سنين طويلة حتى إنني كنت لأصادف في السوربون سنة ١٩٢٥ والعشر السنين التي تلتها إلا طلاباً مشغولين بقضية الطيف ، وهم بالمشكلات من جميع أجناس البشر ، بعضهم يتابع النظر إلى طيف العناصر في المعامل ويحاول أن يقوم بتحسين في الطيف ، وبعضهم يتابع الحساب ويقابل ذلك بما تحتمه التجارب . ومن هؤلاء ، هؤلاء من يمكنهم على عمله أعواماً ليجد حلاً موقفاً بين ما يصل إليه عن طريق الحساب وما يثمر عليه غيره من الطرق التجريبية .

وهكذا كان على بوهر أن يواجه فيزيائي هذا العصر ، يفسر ما هو معروف من ظواهر طبيعية ليس من اليسير هجرها ، وما قد يستجد من الظواهر . ألم يجد بوهر تفسيراً خالداً لظاهرة زيمان ، نسبة للفيزيائي الهولندي الذي كشفها ، وتلخص في أن المجال للمغناطيسي القوي أثر في الانبعاث الضوئي ، بحيث إذا وضعنا قطعة الصوديوم المتوهجة بين قطبي مجال مغناطيسي ، فإن الخطوط الطيفية تنقسم فيما بينها ، فنرى للخط الواحد اثنين وثلاثة . ويطول بنا الصرح لو فسرنا كيف استطاع بوهر دون أن يتخلى عن فكرته أن يفسر هذه الظاهرة تفسيراً صحيحاً ، بل إنه وجد تفسيراً لظاهرة أخرى اسمها ظاهرة ستارك من أسم مكتشفها الألماني ، وهي ظاهرة خاصة بأثر المجال الكهربائي في الضوء .

هذا هو بوهر العظيم ، وهذه هي الالكترونات الحائرة تدور حول النواة كما

مع ما ذهب إليه الفيزيائيون في عصره ، لفت إليه نظر جيش كبير من هؤلاء . وقد تمكن من وضع حساب دقيق لخطوط الهيدروجين ، بل تمكن من تفسير ثابت ويدبرج الذي ذكرناه في سلسلة بالمير المتقدمة ، والذي ظل العلماء يرون فيه عدداً بسيطاً لا تمت للذرة في شيء ، فوجد أنه دالة لكتلة النواة وكتلة الالكترون وشعته وثابت بلانك وسرعة الضوء .

ولم تكتمل هذه الصفحة المجيدة لبوهر دون أن يصادف صعباً لا تمد لها صماب ، فقد امتحن العلماء طيف الهيليوم فوجدوا أن العدد الثابت يختلف قليلاً عما يحتمه حساب بوهر . وهنا أخذ بوهر في عمل الاعتبار أثر الالكترون المتحرك على النواة مسبباً لها حركة ضعيفة ، فصحح بهذا ما ظنه العلماء خطأ . وأخبراً عند ما يثمر فيزيائي من ذلك العهد على خطوط غريبة في أنبوبة هيدروجينية لا تتفق مواضعها مع معادلات بوهر ، فإن بوهر يؤكد له خطأه التجريبي ، ويذكر له في جرأة أنه لا بد أن يكون هناك أثر طفيف للهيليوم مثلاً في هذه الأنبوبة ، وهو أثر طالمًا اختفى عند تحضير الهيدروجين من جديد والحصول عليه بحالة نقية .

ومع كل ما ذكرت فقد تمخل عمل بوهر صعوبة علمية كبيرة . فبينما لا يشمل حساب مجموعتنا الشمسية إلا تسعة كواكب ، يصل عدد الالكترونات نواة العناصر المختلفة إلى ٩٢ . هنا نرى صعوبة يرضا أولئك الذين وهبوا حياتهم لتتبع رياضيات بوهر المتقدمة . وتنحصر صعوبة الحساب في تحديد ما لهذه الكواكب ( الالكترونات ) ، من أثر بعضها في بعض ، وفي ميل مسارات الواحدة منها على الأخرى ، بل في اختلاف هذا الليل من كوكب إلى آخر .

النواة وعن شمسها الخطيرة ، نحلنا ما في هذه السيارات التي تدور حول نفسها وحول النواة . وأغلب الظن أن جولتنا كانت متعة لك وعسيرة على نفسي ، فقد أمنت الفكرة فيها أكتب ، وأطاك النظر فيما تطالع . ولكنها بلدتنا خلقت على نحو هذه الحلقات المتعددة . والميراث العلمي يزداد على هذا النحو الذي تراه ، ومع ذلك فلم أعرض في هذا المقال لأعمال ديراك الخالدة ، وما يحته من حالة متناطسية للألكترون ، ولم أعرض كذلك لدوران الإلكترون حول نفسه ، وكلها أعمال متممة لأعمال بوهر .

ولقد تبعت مع القارئ في الجزء الأكبر من هذا العرض طريقي الخاصة في الكتابة والشرح ، واستمتت في جزء منه بطريقة في العرض لريشباخ . وما هذا وذاك إلا محاولة مني لعرض آرائي وآراء غيري . ومع ذلك فإن لقي القارئ مشقة في هذه الجولة ، فأكبر ظني أنه أفاد مما تم من أجله ، وسأحاول أن تكون جولتي القادمة أيسر عنده من جولتي السالفة .

محمد محمود غالي

تدور الأرض حول الشمس ، هذه الإلكترونات التي ذكرنا أن النسبة بين كتلة إحداهما وحية للسبحة كالنسبة بين هذه الجبة والكرة الأرضية ، أصبحت معروفة في دوراتها ووتباتها داخل العالم الذري بقدر ما نعرف من حركة السيارات داخل العالم الشمسي .

لقد عز على نفسي أن أذكر نايكز بوهر فيما نشرته بالكاتب المصري في بضع سطور (١) بعد أن لمع اسمه في سنة ١٩١٣ والسنين التي تلتها ، وبعد أن لمع اسمه من جديد في الطاقة الذرية وما جرى بين صحراء المكسيك وميروشيما .

هذا هو بوهر العظيم الذي قرر الانبعاث الضوئي من وثبة للإلكترون من مدار بعيد في النواة إلى مدار أقرب منه ، وجمع في هذا التفسير بين فكرة الكم وبين نظام الطيف . هذا هو بوهر الدنمركي الذي يرأس اليوم أعمال الطاقة الذرية بأمريكا ، والذي أفاد أخيراً من أعمال أوتوهان في برلين ، قد أطلعتك على جزء من أعماله الخالدة التي هزت العالم هزاً ، وما نحن أولاء نجولنا في الذرة معاً بعيداً عن

(١) • مقتله الذوية وانعدام الذرة • ، لكاتب المصري محمد ١ ( أكتوبر ١٩٤٥ ) • صفحة ٩٥ .

## شهرية السياسة الدولية

### كأنه ركود

كان السياسة الدولية إذ تفتلى مراجعها ، في ركود ؛ فهي لا تزال تعالج نفس المشاكل التي بدأت فيها من شهور : ومشكلة إيران لا تزال حتى هذه اللحظة التي نكتب فيها هذه الشهرية واردة في جدول أعمال مجلس الأمن وهي فيه منذ بدأ أعماله بلندن في أواخر شهر يناير الماضي . ولا تزال كذلك المشكلة الأسبانية شاغلة أعمال المجلس ذاته منذ انتقل مقره إلى نيويورك . ولا تزال أنظمة الحكم والدستور في فرنسا واليونان وبلغاريا

وإيطاليا محل الاستثناءات والانتخابات والمشاتات داخل هذه البلاد ، وموضع التأثير في الانجماحات الخارجية لها وللدول العظمى من ورائها كذلك . ولا يزال مؤتمر وزراء الخارجية الأربعة يستعد جلسات في قصر لوكسبور يتلمس حلولاً لمشاكل معاهدات الصلح مع إيطاليا والنمسا وبلغاريا ورومانيا والمجر وفنلندا وما يتفرع عنها من تسديد التخوم وتقرير نظام المستعمرات .

### ولكن

ولكنه ركود في الظاهر ليس غير ؛ إذ الواقع أن العالم الدولي كان طوال الشهر المنقضى في حركة دائمة يساورها شيء من التلق ، ويحس عليها شيء من الحرص على الرغبة في الاستقرار . وكان مظهر تلك الحركة خطبا يلقيها وزراء الخارجية في انجلترا

والولايات المتحدة وروسيا ، ورسالات يوجهها الرؤساء إلى شعوبهم وهم يخرجون من ديارهم أو وهم يعودون إلى ميادين العمل فيها . على أن الأمر لم يقف عند حد الأقوال تلقى والمباراة تدون ، بل إنه تجاوز الأقوال والمباراة إلى الأعمال والمواقف .

### في إيران

فبينما يستبقى مجلس الأمن المسألة الإيرانية في جدول أعماله ، تتم المفاوضات بين حكومة طهران وزعماء أذربيجان الذين كانت قيامتهم سباً مباشراً أو غير مباشر لمرض القضية الإيرانية السوفيتية على هيئة الأمم المتحدة ، ونصل إلى تفاهم بين الطرفين يسفر عن بقاء الأقليم المتحضر في دائرة الامبراطورية الإيرانية ، على أن يستمتع بنوع من التجز

في الإدارة المحلية ، إذ يكون له حاكم عام من أبنائه ، وإذ تخضع الإدارة فيه لنظام المجالس الاقلية والقروية ، وإذ يحظى أهله بنصيب واخر من العدالة الاجتماعية والثناء البشرية . والمنظور بمد هذا التفاهم في سبيل الاستقرار أن تسحب القضية الإيرانية بل تشطب من جدول أعمال مجلس الأمن وقتئذ زال الخلاف الذي سبب رفعها إليه .

## اسبانيا

العامة لهيئة الأمم المتحدة . وبين هؤلاء الآخرين من يرى أن تكون التوصية مقصورة على اقتراح النظر في قطع العلاقات الدبلوماسية مع أسبانيا ، مادام نظام فرانكو هو السائد فيها . وبينهم من يرى التوسع في الاقتراح بحيث يشمل قطع العلاقات بالنص ، كما يشمل فتح الباب أمام الحماية العامة للاتجاه إلى أي اقتراح آخر تراه .

ويخشى الكثيرون أن يكون هذا التردد في المواقف وهذا الترجيح بين الآراء معيدا إلى الذاكرة سوابق مؤلمة من سوابق الضعف التي كانت تلمص بعصبة الأمم البائدة !

لكن المشكلة الأسبانية ، أو «الفرنكوية» لا تزال معروضة على المجلس ، ولا تزال محل تنازع الاتجاه بين أعضائه . فمنهم من يرى قطع العلاقات الدبلوماسية في الحال مع تلك الدولة التي يتطوى نظامها الداخلي على مظاهر صريحة من مظاهر العاشية التي قامت الحرب العالمية الثانية للقضاء عليها . ومنهم من يرى المرض للنظام «الفرنكوي» حراما في ذاته ، إذ هو تدخل في شؤون داخلية بمنه ميثاق الأمم المتحدة ذاته . ومنهم من يرى عدم اتخاذ المجلس قرارا حاسما في المشكلة ، والاكتفاء برفع توصية منه إلى الجمعية

## في فرنسا

إلى الاشتراكيين لتجعل منهم رئيس الجمعية التأسيسية في شخص فرنسوا أورول ، ورئيس الحكومة في شخص ميسو جوان رئيسها الحالي .

وفي اللحظة الأخيرة ، بالنسبة لهذه الشهيرة جد جديد ، بل حدث حدث . بدخول البيرال ديجبول في الميدان وإلقائه خطابا اعتبره الكثيرون خطاب ترشيح لرياسة الحكومة الجديدة .

ولتطور الأمور في فرنسا على نحو آخر أمر كبير في السياسة الدولية . والمعروف أن الانحداد السوفيتي يؤيد الشيوعيين الفرنسيين ، كما أن حكومة المال في إنجلترا تميل إلى الاشتراكية ، والعناصر الكاثوليكية والرجعية في كل مكان تدعو بالحزب والاقبال للحركة الجمهورية الشعبية .

وقد جرت الانتخابات العامة الثانية في فرنسا خلال الشهر المنقضى وأسفرت عن بعض التحول في الموقف السابق عليها . وقد كان الشيوعيون هم أصحاب المكان الأول فأصبحوا في المكان الثاني ، وكان الاشتراكيون في المكان الثاني فأصبحوا في الثالث ، وكانت الحركة الجمهورية الشعبية في الصف الثالث فطفرت إلى الصف الأول ، وإن كانت الفروق في الأصوات لا تزال طفيفة كما كان شأنها من قبل .

وقد كان من شأن هذا التبدل أن حسب الجمهوريون الشعبيون — وهم المسيحيون الديمقراطيون السابقون — أن من حقهم أن تكون لهم رياسة الجمعية التأسيسية الجديدة وأن تكون لهم رياسة الحكومة أيضا . ولكن بعض المضاعفات جاءت تميل أول الأمر

### في إيطاليا

وفي إيطاليا أسفر الاستفتاء عن فوز النظام الجمهوري على النظام الملكي، وكان المصوتون خمسة وعشرين مليوناً أو يزيدون. فازت الجمهورية منهم بأثنى عشر مليوناً وفازت الملكية بأحد عشر مليوناً وألغيت بطاقات ميلونين. فكان هذا الانهيار ماثراً للشك والظن ولتأجيل الاعلان الرسمي للجمهورية بالمرش.

### في اليونان

ولا تزال الازمة النظامية قائمة في اليونان بين الملكيين والجمهوريين. ولا يزال الملكيون يطالبون ببقاء الجنود البريطانية في اليونان لحفظ الأمن الذي يخشون عليه من الجمهوريين اليساريين إذا خلاهم الجو. ويقوم الجدل في أثينا حول الموعد الذي يجري فيه الاستفتاء. وكان المفهوم أنه لن يسبق سنة ١٩٤٨. لكن بعض المصائر النيبية تحاول إجراؤه من الآن أو على الأقل

ترك الملك يعود إلى بلاده ويتولى سلطاته مادام النظام القائم هو النظام الملكي، ومادام الوصي على العرش هو المتولى رئاسة الدولة بالفعل نيابة عن الملك الأصيل. لكن المسألة أعوض من أن تعالج بالسهولة. وعودة الملك الآن قد تكون إيذاً ما بقيام حرب أهلية واسعة النطاق. ولذلك فأغلب الظن أن الحال تستمر على ما هي عليه وقتاً آخر إلى أن نجى شهرتنا للقبلة على الأقل.

### مؤتمر وزراء الخارجية

أما مؤتمر وزراء الخارجية فقد بدأ اجتماعه في جو تفاعل به «الملاحظون»، وقد رضى الرفيق مولوتوف أن يدع المسألة النموية ترد في جدول الأعمال بعد الفراغ من معاهدات الصلح. لكن المواضيع الدقيقة في المعاهدة الايتالية لا تزال قائمة ولا يزال

الخلاف عليها ناشباً. ولم يضح بعد أي اتجاه لأية دولة وسيل أية ناحية من نواحيه. ولو أن المتشائمين يخشون أن تكون تريستا مبعث شرارة جديدة، أو أن يكون الخلاف على مصير بركة وطرابلس سبباً لاخفاق المؤتمر وإيذاً ما يتجهاد حاسم جديد في الميدان الدولي كله.

محمد عزمي



## شهرية الفن

### معرض مائة صورة

#### من عيون الفن لمدرسة باريس

الذي يقوم في نفس الأطفال والمجبن ، وفاة هذا المصوّر هو اهرت من هجوم الحياة .  
« أما » الانبياء » فقد بشّروا في عالمهم في نحو سنة ١٨٩٠ تحت تأثير جوجون وحده الصداقة ، ونحمةهم اكتشافات واحدة ، وقد عمدا في حماسة وتواضع حتى ربطت لهم بالتقليد منقوده . ويمد يونان من أجرهم وأكثرهم اختراعا ، وهو يحدد وتوار وريدون على حين يرت فيار كلا من شاردان وديجاس ويتميز موريس دني صاحب نظريات الجماعة . ويمت روسل وقالوتون بصلة إلى فرا أنجلكو ودانجر وپوسان ؛ وكل منهم حاول أن يتخلص من حدود لوحة التصوير ، ونجح في التصوير على الحوائط .

أما الوحوش فكل منهم في اللون . وقد ظهر فن هذه الجماعة في سنة ١٩٠٥ ، ومارتيس وفلامنك وروو وماكجان وپو وفالا وماركيه وفان دونجن . وهم جميعا يقتنون في الألوان ومزجها وتنويعها . وتسمى الوحشية أيضا بالنار : ففلامنك يصور حريق الشمس على حين يصور روو العالم وهو يحترق في نار الحميم .

أما المذهب التكعبي فهو اتجاه جديد في التصوير الفرنسي المعاصر . فالوحشية ليست إلا نوعا جديدا من المذهب التأثري ، أما المذهب التكعبي فهو قطع لكل صلة بالأسس ورفض لكل ما أتى به المصورون منذ سنة ١٨٧٥ ، فانت ترى شدة الحياة بدلا من لغة

إنه لمن أصعب الأمور اختيار مائة من خير الصور وجمعها في صعيد واحد بحيث تكون هذه الصور فوق متناول النقد . ولكن متحف شاربنيه قد تمكن من القيام بهذا العمل المعجيب ، حين عرض ما سماه « مائة من أهم الصور التي أخرجتها مدرسة باريس » . وهذه الصور تظهر لمن يجهل حتى الآن ما أخرجته المدرسة الفرنسية في فترة خطيرة من حياتها ، منذ مطلع هذا القرن في مونمارتر مونيارناس وغيرها من أحياء باريس .

أكثر هذه الصور من عمل رجال توفوا ، وهي تنتمي إلى مداوس عدة من طرق الفن الحديث أطلق عليها أسماء غريبة مثل الانبياء والوحوش والمدرسة المتجاوزة مدى الواقعية والمدرسة التعبيرية .

ومدرسة أصحاب الفرزة لا تنتمي إلى « البساطة » ولا « الأوائل الحديثين » وليس هنالك كلمة يمكن أن تعبر عن الصفة الأساسية لهذا النوع من المصورين ، على أن تسميتهم بالفريزيين تصفهم بما فيه الكفاية ؛ إذ أن هذه الصفة تجمع بين أشخاص ذوي أخلاق متباينة وتكوينات متعددة ومطامع أحيانا متعارضة . وهؤلاء الفرزيون يتركبون الكلام لقلوبهم وما فيها من الشعر وما تنطوي عليه من أحلام . وهذه الأحلام تختلف عن أحلام المتجاوزين مدى الواقعية ؛ إذ أن الآخرين يحاولون تصوير ما ينطوي عليه العقل الباطن ، وإنما الحلم عند الفرزيين هو ذلك

ولم يسبق لفن التصوير أن بلغ من الثقل والجرأة مبلغه اليوم ، وإن كنا لا نجد في رسومه الأخيرة ما كان في الوسوم الأولى من عنف وتأثير ، إذ يثقل عليها الهدوء والحب والروحانية ، وهذا غير ما نألفه في المدارس الأخرى . على أننا نجد فوق كل هذا ، تلك الروعة التي نجدها في صور عظماء المصورين على اختلاف المصور .

نتنقل إلى الأجانب ، قال وجود المصورين الأجانب بين المدرسة الباريسية ظاهرة جديدة وهامة بالنسبة لمدنهم وصفاتهم .

لقد ظهرت مواهب كثيرين من الأجانب عندما سكنوا باريس ، فكان لباريس الفضل في أن أحيطوا بحجراتها وحالاتها ، والحربة ، وتعلموا كيف يعبرون عن رسالتهم ، وهم بدورهم زادوا مدينة النور ثراء .

وهكذا نرى بيكاسو في تاريخ الفن الفرنسي يتأثر سيزان دون أن يلبس بلده أسبانيا . ولقد تأثر الفن الفرنسي بالحياة الإسبانية عن طريق جوان جري وميرو ، وأدخل إليه كل من موديلاني وكيريكو شعور العظمة . ونستطيع أن نقارن قتهما حين كانا بايطاليا بقتما وهما في فرنسا ، فتبجلي لنا فضل باريس عليهما . ولكن أليس أنفع ما دخل الفن الفرنسي هو ما جاءه من شرق أوروبا ، لأنه أبعده المؤثرات وأكثرها غرابة ؟ إن فن سوتين وتحليلاته للطبيعة ، وشاغال ونحولاته ، مما أدخل خمرة جديدة في الألوان القديمة التي ألفها المصورون الفرنسيون ، ولم يظهر في مجال الفن منذ ثلاثين سنة مثل هذا المنصر الجديد الذي بلغ مبلغ الثورة . فالفن الفرنسي المعاصر يحتوي على عناصر متعددة فيها حياة ، ولذلك كانت رسالته لا تزال في انتشار .

الحياة التي نجدها عند رنوار ، وترى التناقض الجدى في اللون الأحمر أو الرمادي بدلا من الألوان الحمراء الزاهية ، وترى الأشكال الهندسية بدلا من الخطوط المؤثرة لبيسارو ومسلي ومونييه ، في المذهب التكبيبي بأجمعه رفض للبحوث والاكتشافات السابقة . ولكن هذا الرفض ليس سلبيا ، إذ هو يسير عن شيء آخر ولكنه يحذف ما لا يلائمه ، فأصحابه يريدون العودة إلى فن العظمة ، ولذلك يرفضون على أنفسهم نظام كبار المنعنين . فالصورة ليست مجرد لعبة ظرفية ، بل هي تعبير عن إرادة لا تتفق مع التساهل . ويجب ألا يحسد بين الحين والآخر وبين الجد وارفة وبين العظمة والتأثير . وقد تمكن محترعو هذه نظريات التي دهش لها الجمهور من أن ينشئوا نهضة فنية لا يتخذ العالم الخارجي لا دربه لينتهي ، فتأ حسب حاجاته .

وفي العالم الذي شب سنة ١٩١٠ وظهرت فيه نمجة جديدة من رجال الفن ، كان التصوير عن طريق التكبيبي من أوائل طرق التعبير عن ذلك النوع من الشعاع . ثم جاء مذهب التجاوزين مدى الواقعية على أمر التكبيبي ، وقد انبعثت في العالم هوة صامته ، وكان الأرض قد توارت كتلا ، وكان الحيوان قد دهش لنفسه ، وكان الانسان قد قلق لقوته .

ثم جاء التعبيريون . وإذا كنا نستطيع أن نتكلم عن مذاهب الوحشية والتكبيبي والتجاوزين مدى الواقعية ، فانه لمن أصعب الأمور أن نحدد وصف للمدرسة التعبيرية . وكثيراً ما سمى روي Roualt أبا المذهب التعبيري الفرنسي ، وإلى جانبه جرومير . ورسوم روي تدل على تطور متناسق ،

## معرض الستائر في باريس

وظهر في هذه الأثناء مصور الستائر حديث هو ميسو لوركا ، فأقيم له معرض في متحف كاريه ، وبلغ ميسو جرومير في أوغوستون مبلغاً من الاتقان لا يدانيه فيه أحد ، فلا زال الفرنسيون في فن الستائر والسجاد يشغلون مركزاً هاماً .

ويشغل للعاصرون في المتحف طابقاً بأكمله . ويعتبر كل من ميسو راؤول دوف ولوركا وجرومير زعماء هذا الفن الفرنسي في القرن العشرين ، وهؤلاء الرجال الثلاثة لم يخترعوا مع ذلك شيئاً غير منتظر ، وهم يمتنون بصفة قوية إلى ما نشاهد في الطابق الأسفل من فن للقدماء في هذا الباب .

أقيم معرض عظيم في المتحف الأملى للفن الحديث. بشارع الرئيس ولسن بباريس ، وفيه ترى صوراً متتابعة لتاريخ الستائر الفرنسية . وقد نرى القسم القديم منها ميسو قرليه ، والقسم الحديث ميسو جان كاسو ، يماونهما في ذلك رجال المتاحف الأهلية .

ولقد عادت الحياة إلى فن الستائر في فرنسا منذ بضع سنوات ، وبدأت الحركة متواضعة حين نسجت ستائر في يوفيه مطابقة لرسوم راؤول دوف ، ثم قويت في عهد الاحتلال الألماني عند ما نسج جان أدنيه رسوم ساقال وبريانشون وكوتو وروهنر وغيرهم .

## شهيرة السينما

### عودة القافر (شركة أفلام التاج)

قصيرين ، إلا أنه تمادى في ذلك ، حتى إن نصف القصة أو ما يقارب النصف لم يكن الحديث فيه حول كفاح حمدي في الحياة بل حول حياة هذا الشيخ ، وهي حياة هادئة متصلة الهدوء لا يمكن صغرها سوى حدث أو حادثين لا خطر لها مطلقاً .

ويعتد الشيخ ولا يترك حمدي وزوجه شيئاً من الثروة التي جمعها . فيعود الشاب إلى الكفاح في سبيل قوته وقوت أسرته ، وتتم به محن كثيرة : منها أن زوجته التي تزوجته عن حب وأنجبت منه طفلاً أو تقى الرابطينهما ، والتي قبلت أن تكافح مع زوجها ، هجرته هذه الروجة لتعيش مع شاب كان أبوها ينفذه كل البغض ، ولم تظهر له قبل زواجها أى ميل . فل يمكن فتاة شريفة مثل التي صورها لنا المؤلف بحبة زوجها مخلصه له كل الاخلاص ، هل يمكن هذه الفتاة أن تقبل دعوة شاب للتزوم معه ؟ فهي تضحي بزوجها وبأبنائها وبسعادتها لترحل مع هذا الشاب الذي يسعها عن زوجها ما يجرح شعورها وكبرياءها ! ولو لم تكن بطة الصمة بالأخلاق التي انصفت بها ، لكان لهذه الزوجة منها مسوغ .

ويواصل حمدي كفاحه في الحياة حتى يصبح محامياً مشهوراً تحقيقاً لرغبة حماء ، وينتقل من السر إلى السر . وهناك يمرض ابنته ، فتسرع زوجته بهذا المرض فتذهب لمساعدة المريض الصغير ، ويتقابل الزوجان حول سرير ابنتهما ، فتسكون التوبة ويكون الغفران ، ويمرود الزوجان لعيشة مأساة .

فيل إن قصة هذا الفيلم من وضع الأستاذ يوسف جوهر ، وقيل أيضاً إنها حازت الجائزة الأولى من وزارة المعارف العمومية لمسابقة القصة . وقد تكون الجائزة الأولى من وزارة المعارف لقصة ضامناً كافياً لنجاح الفيلم ، ولكنها في هذه المرة لم تكن كافية لهذا الضامان ، فقصة هذا الفيلم مفككة بها من التطويل ما يمل التاري أو المشاهد . على أني أعترف للمؤلف أنه ذو خيال خصب جامع لم يحسن التحكم فيه فأوحى إليه مواقف وقصص كثيرة غير مرتبط بعضها ببعض . فنجد ما يتكلم عن أسرة حمدي وما بينها وبين الأسر الأخرى من ضغائن يخيل إليك أن محور القصة هي تلك الضغائن ، ولكن سرعان ما يتضح لك أن تاريخ الأسرة ليس له علاقة بالحوادث القادمة مطلقاً بل إن كانت نعمة علاقة فلم يحسن المؤلف إظهارها . وعلى أية حال فقد غالى في سرد هذا التاريخ وأسهب فيه حتى أسأمك منه .

ثم ينتقل بك من الماضي إلى الحاضر : فيبتدىء حياة حمدي ، وهي حياة كفاح كما قيل في البرنامج الذي وزع على النظارة ، وهي حقاً حياة كفاح ، غير أن كثرة الحوادث والشخصيات شغل المؤلف عن إعطاء هذا الكفاح المرتبة الأولى في قصته . فأطال مثلاً في دراسة شخصية هذا المحامي الشيخ إطالة لا مسوغ لها مطلقاً ، إذ أن شخصيته ليست ذات غناء في الفيلم أنهم إلا في حدود تأثير هذا الشيخ في صهره حمدي . وكان من البسير جداً على المؤلف أن يظهر مدى هذا التأثير في منظر أو منظرين

الحامى الشيخ وفى إيماءاته وخطواته البطيئة كأنه يمثل على المسرح . فهذا التمثيل لا يصلح للسينما لكبر المناظر ، ومن ثم تبدو المواقف طويلة مملّة . وقد أصاب الأستاذ حسين صدقي فى تمثيله توفيقاً يجعله أهلاً للشقاء ، وهو يبدو طبيعياً فى كل مواقفه . أما السيدة حميرة خلوصي فقد أمثلاً جسماً إلى حد لا يسمح لها أن تقوم بأدوار الفتيات ، ولم تحسن فى لبس سرورال ركوب الخيل لأنه زاد من بدايتها . وعلى المخرج أن يختار لمثلثة الأولى ما يلائم جسماً وبجى ما به من عيوب . وقد قامت بدورها وصابت نجاحاً ونموفاً

غير أن نجاح الفيلم تمثيلاً لم يمنعه من الاختفاق تماماً . وكيف لا يكون ذلك نصيبه . القصة مفككة لا رابط بين أجزائها ، والإخراج رخيص لم يبدل فيه المخرج عناء . والسينما المصرية لن تعرف إلى النجاح سيلاً إلا إذا دقت فى اختيار قصصها ، وأخرجت لنا من الأدب العربى الحديث والأدب الأوربى أيضاً ما أنتج من نصير عالية متقنة . ولنعلم الذين يعنقون بشؤون السينما أن القصص الطامرة والحواثر ، ليست من أحسن القصص . والدليل هنا جلى واضح .

ونرى من هنا أن الجزء الأول أو مقدمة القصة قد أغارت على القصة نفسها وفاقته طولاً مع أن المقدمة ونهاية القصة لم يحظيا إلا بقط يسير ، وأن الابتعاد عن موضوع القصة طغى عليها حتى فقدت وحدتها وضاعت معالمها فى هذا الطينيان .

ولم يحسن الأستاذ أحمد بدرخان فى إخراج الفيلم إخراجاً سينمائياً . ولربما كان له فى ذلك بعض العذر ، لأنه ليس من حقّه أن يقتطع من الرواية ، مما جعل إخراجها مسرحياً أكثر منه سينمائياً . فقد أطلّ فى تصوير المونولوج فى الفيلم ومناجاة الشيخ لصورة امرأته أو توب الخدماء ، إلى آخر هذه المواقف التى طالت حتى شعثناها . ويبدو أنه لا بد من وجود مناظر واقعة فى الأفلام المصرية ، ولو لم يكن لها مسوغ . وإذا كان المخرج يتهاون بفنه إلى هذه الدرجة ، فكيف يقبل المؤلف أن يدخل على قصته هذه المناظر التى ليس لها أى مسوغ . بل تعد إطالة لا تستساغ ؟

وكان التمثيل مسرحياً أكثر منه سينمائياً . فالأستاذ حسين رياض — ونحن لا ننكر هنا أنه ممثل قدير — قد غالى شيئاً ما فى تمثيل

## فولبوني (فيلم أيل دى فرانس) (١)

الفرنسى جول وومان فصاعداً صياغة فرنسية خالصة محتفظاً فيها بعالم شخصياتها كما وضعها مؤلفها الأخير . ويتقصد اللادع إميد المجتمع مساعره . ويدركه التام طبيعة الانسانية البقيضة . وقد يكون الكاتب الانجليزى غالى فى تصوير هذه الطبيعة حتى أصبحت شخصياتها قريبة كل القراة تمت على البنس والكراهية . إلا أن الكاتب

يبدو أن السينما الفرنسية تتجه إلى إخراج المسرحيات الخالدة على الشاشة البيضاء ، مع أن هذه للمسرحيات غير صالحة للسينما مطلقاً . وقصة « فولبوني » التى عرضت علينا منذ قليل ما هى إلا مسرحية « فولبوني » أو « الذئب » التى ألفها بن جونسون سنة ١٦٠٤ واقتبسها عنه الكاتب النمساوى ستيفان زفاييج ، ثم تناول موضوعها الكاتب

من طابعها الواقعي ما يجعل من شخصياتها  
صوراً « كاريكاتورية » .

وثمة فوارق بين السينما والمسرح محد من  
نجاح أية مسرحية إذا أخرجت إخراجاً  
سينمائياً . فبينما تتركز المسرحية على الحوار  
دون المناظر نجد أن الفيلم السينمائي يتركز على  
الناظر دون الحوار . وبالرغم من هذا البون  
الشاسع بين أسلوب هذين المظهرين للفن التمثيلي  
نرى الشركات الفرنسية تتزاحم على إخراج  
المسرحيات في السينما . فهي لا تقتبس  
للمسرحيات وتصلحها ولكن تعرض المسرحية  
في أمانة تامة . أما قولبوني فقد أدخل  
المخرج على مسرحية جول وومان مقدمة  
للقصة ليكثر من المناظر الخارجية في الفيلم .  
وعند انتهاء هذه المقدمة عادت إلى أسلوب  
المسرح في الإخراج . وعبتا حاولنا أن  
نتتبع موسكا في غداوته وروحانه في المدينة ،  
فالمنظر ظل واحداً طول الشريط . لم تنتقل  
من حجرة قولبوني إلا مرة واحدة للذهاب  
إلى المحكة . ولولا التمثيل وجمال الحوار  
لبدا عملا هذا الأثر اللقي . فهاري بور  
ولويس جوقيه وشارل دولان كان هم  
النصيب الأول في نجاح هذا الفيلم باعقراهم  
فيه بفنهم الرفيع . كانت هاري بور يقوم  
بدور قولبوني وهو دور عسير إذ يحتوى  
على دورين في آن واحد : قولبوني على  
فراش الموت ، وقولبوني الصحيح البدن الذي  
يلب بالرجال ويسخر منهم بواسطة ماله .  
والجمهور المصري يعرف للممثل القدير لويس  
جوقيه الذي ينفرد في تمثيل مسرحيات جان  
جيروودو ، وقد أثنى القيام بدور موسكا ذلك  
الشاب المستر الذي قضى جزءاً من حياته عالة  
على قولبوني ثم نجح في أن يستولى على مال  
سيده . ونذكر أخيراً شارل دولان وكان  
يقوم بدور كورباتشيو ذلك الرجل المسن  
الذي كان يقرض النقود بالربا الفاحش . وقد

الفرس قد حرم كل الحرص ، وهو أمين في  
اقتباسه ، على الاحتفاظ بهذه الصورة التي  
تدعو إلى الاعتزاز أكثر مما تدعو إلى  
السخرية . ولا تنكر أن الفيلم ما عدا الجزء  
الأول منه كان أيضاً أميناً في اقتباسه لهذه  
المسرحية الفريدة .

وقصة قولبوني تصور تصويراً دقيقاً أطلع  
الناس في المال وفرض سلطانه عليهم . فهم  
عبيد له لا يعيشون إلا لجمعه كلاً وجدوا  
إلى جمعه سيلاً ، والاستمتاع بمنظره وهو  
مكدس في خراشهم كلاً تيسر لهم هذا  
الاستمتاع . وهم في سبيل هذا وذاك لا يبالون  
بالوسيلة التي تيسر لهم هذا الاستمتاع وهذه  
الثقة . فهم يضعون بأزواجهم وأولادهم  
وأعراضهم لينالوا حتى اليسر من المال ، يتفانون  
في خدمة هذا الإله الطاغية وهذا السيد  
للسبب ، لا شباع أهوائهم وملذاتهم .  
فقولبوني تاجر شرقي يعيش في البندقية وقد  
جمع من تجارته مالا كثيراً ، فأذاع  
بين الناس بواسطة موسكا تابه أنه أشرف  
على الموت وأنه حرر وصيته ، ولكنه لم  
يذكر في تلك الوصية اسم وريثه ، فأخذ  
الناس يهرعون إلى قصره طمعا في أن ينالوا  
لليراث .

فهذا يقدم له كاشاً من الذهب الخالص  
وذلك كياً من القطع الذهبية . وحين يتضح  
لهم أن هداياهم ليست بذات غناء يلتجئون إلى  
وسائل أخرى ، فهذا يحرم ابنة ميراثه  
ليجعل قولبوني وريثه الوحيد ، وذلك يحضر  
له امرأته ليقتضى معها لية فاجرة تمنا لهذا  
لليرات الذي يود الحصول عليه . ولكن  
لا يحصل على هذا الميراث أحد منهم ، فقولبوني  
يفقد ثروته التي جمعها وحرص على إخفاؤها  
بفضل دهاء تابه موسكا . فهذه صورة بشمة  
لنفسية الإنسان ووضاعتها لا تخلو من التهكم  
والسخرية ، ولكن أرى فيها من المبالاة بالرغم

ثم بهذا الدور دون منالاة : لقد غير من  
ملاحه وصوته وضحكته بما يلائم الشخصية التي  
كان يضطلع بها . ولا عجب أن يتجسج شارل  
دولان في هذا الدور فهو يمثل منذ سنة

(١) سيرانو دي برجيراك تأليف إدمون روستان (فيلم فرناند ريفير)

برجيراك أن نعمة شابة يدعى كريستيان يكف  
كلما شديداً بتجويبه وروكان حبه بتدنية يد  
المساعدة في هذه للفاصرة الترامية . والدافع إلى  
ذلك هو أن سيرانو دمير الهيثة لم يجد في  
السعادة في الحب سيلاً بالرغم من لباقة وإتقانه  
لغة الهوى ، على حين كان كريستيان شاباً وسيم  
الطرفة جذاباً ولكنه لا يعرف كيف يتكلم إلى  
النساء . ويصل العاشقان إلى مرادهما . ثم  
أن تهم روكسان بالشاب كريستيان ، ومن  
فيه جماله ولباقة سيرانو . ويموت كريستيان  
أثناء محاصرة أراس ويحتفظ سيرانو بالسر  
الذي كان يربط بينهما ، ولم يبح به لروكان  
إلا عند وفاته أي بعد أربع عشرة سنة .  
وقد اجتمع في هذا الفيلم عقوبة رحاين :  
عقوبة الشاعر روستان الذي لشعره ، قد  
قلما وجدناه في مسرحيات أخرى ، وعقوبة  
الممثل العظيم مسيو كلود دولان . وشعر  
روستان في غنى عن تقديمه إلى الجمهور ، قليل  
من الناس من لم يظلموا عليه ولم يشعروا عند  
قراءته بهذه الموسيقى التي تنطلق منه .  
وروستان يمتاز بسهولة اللفظ : فشمه كاه  
جدول نقي شفاف . أما روحه المرحية وسكانه  
المستلحة ومواقف مسرحياته المثقنة وخياله  
الجامح ، فهذه العناصر كلها متجمعة ، مهدت  
لمسرحية سيرانو الطريق إلى الحلود . أما مسيو  
كلود دولان فهو يمتاز ببساطة في التمثيل

من الخطأ أن تعد هذا الفيلم إنتاج  
سينمائي . وإن توجه إلى مخرجيه الأمانة على ما فعل .  
فلم يرم مسيو فرناند ريفير عند ما أنتج هذا  
الفيلم إلى أن يمر على مسرحية حادثة وشوهد  
بأن يقتطع من مشاهد ما لا يصلح للسينما  
وأن يضيف إليها ما يراه ملائماً ليصل إلى  
التجاسس السهل الرخيص كما يفعل بعض  
المخرجين المصريين . بل كان مقصده نبلاً كل  
النبيل ؛ إذ أنه أخرج هذه المسرحية بأكلها  
كما كتبها إدمون روستان دون أن يغير فيها  
كلمة واحدة ، وأهداها إلى هؤلاء الذين قرءوا  
شعر روستان وحالت الظروف بينهم وبين  
مشاهدة تلك المسرحية . وقد يوجد من بين  
النسابة من يرى هذا الإنتاج بلا ضالة  
ويساطة الإخراج وقلة المناظر . فليعلم هذا  
الفريق من المشاهدين أنهم يعتمدون عن الأمانة  
في النقد ؛ لأن فيلم « سيرانو دي برجيراك »  
ما هو إلا تسجيل سينمائي لمسرحية حادثة  
مثلت وأخرجت على أنها مسرحية لا فيلم .  
ولا أرى في ذلك أي خطأ بل على العكس  
أرى أن فيه خدمة جليلة لعاشقي الفن والمزج  
الفرنسي أولئك الذين حرموا هذا النوع من  
المسرحيات والتمثيل منذ زمن بعيد .

وقصة « سيرانو دي برجيراك » خالية من  
الحوادث الكثيرة ، مع أنها متقنة حواراً  
ودوناً وشوفاً كل الاتقان . لما علم سيرانو دي



## شهرية الينا

و باسم شخصيه الى منها فقد أخرج  
شخصيه سير، نو كعرفها وكارسيها مؤلفها :  
سحبنا جميع الهيئه ، ولكنه يتنازل للناقة في  
الكلام ، وحب المحاضرة ، والافتحار بالي  
مقامته وتضمه إلى الحرية والاستقلال  
المكرى مهما كلفه ذلك من غناء ، ومهما  
أوجد له من مشاعب كل نواحي هذه

الشخصية كانت واضحة في تمثيل هذا المثل  
البارع .  
وما تأخذ المخرج به هو إدخاله بعض  
لرسوم المتحركة على الفيلم ليصور قصة سيراته  
عن صعوده إلى القمر . ولست أجد معنى لهذه  
الرسوم ، وقد أضدت قليلا من وحدة الفيلم  
وصاحبه المرحي .

شهرية كامل

# من كتب الشرق والغرب

## تزهة النفوس ومضحك العبوس

هذا عنوان ديوان (١) ألقه شاعر مصري يسمى ابن سودون ، وقد كان يعيش في القرن التاسع الهجري ، وكان إماماً ببعض المساجد ، إلا أنه اتخذ الهزل منهجاً له في حياته ، فطار اسمه وتنافس الظرفاء في الحصول على شعره الذي يذهب كله مذهب الضحك والفكاهة . وقد عني أخيراً بجمع هذا الشعر في ديوان وأضاف إليه طائفة من الحكايات والملايق ، كما يقول هو في مقدمة هذا الديوان ، وهو يملؤه بضروب من القصائد وللوشحات والزجل والدوبيت وأنواع من المواليا مضيئاً إليها طائفة من الطرف المعجبة والتحف القريبة .

وقد بنى أغلب الديوان من اللفظ العامي ، وهو من هذه الناحية يسجل جانباً له أهميته في تاريخ لغتنا الشعبية ، فإن من يطلع عليه يرى أنه لا تكاد توجد فوارق بين لغة هذا الديوان ولغتنا المصرية المحلية الحديثة ، وإن في هذا بعض الدلالة على أن مصر بلد محافظ وأنها لا تتطور إلا بقدر محدود ، فكثير من أمثال هذا الديوان واصطلاحاته وألفاظه لا تزال ماثلة تحت آذاننا في العصر الحديث . ولكن الشيء الذي يلفتنا حقاً في هذا الديوان هو أنه ألق كله في ضروب من الهزل والدعابة ، ولنا نعرف شخصاً قبل ابن سودون كتب ديواناً من الشعر كله يأخذ مأخذ

الفكاهة ، أو على الأقل لسا نعرف في مصر شاعراً احتكره الهزل هذا الاحتكار . حقاً أن في الخريدة شعراء فاطمين يمتدون بالفكاهة في شعرهم ، وكذلك الشأن في العصر الأيوبي ، ولكننا لا نجد شاعراً يخص نفسه بالهزل هذا التخصيص الذي نجدده عند ابن سودون .

والحق أن ابن سودون شخصية طريفة في تاريخ أدبنا المصري ، لأنه يقصص إقصاء واضحاً عن مزاج المصريين في هذا الجانب الذي تشتهر به مصر في عصورها الإسلامية الحديثة . وإن من يقرأ هذا الديوان يلاحظ أن صاحبه كان يعتمد في فكاهاته على المفارقة ، فهي المفتاح الذي ينصب منه جميع نغم الهزل في الديوان . وقد كان يسلك إلى هذه المفارقة طريقة واضحة ، هي أن يقف بين يدك موقفاً جاداً يريد أن يروي لك بعض المعجائب ، ولكنه ما يبدأ في ذكرها حتى تحس مفارقة ونبوءاً وشذوذاً عن منطق الحوادث ، وبذلك تسترسل في الضحك لا لسبب إلا لأنك تشعر كأنك قد تدت توازنك ، فقد كنت على أمة أن تستمع لأشياء غريبة ، فإذا بك تستمع لأشياء كأنها يدب فيه نكزة الفتنة لهو وصناب . ومن هنا يأتي الضحك لأن الحقائق تصعد أمامنا وتهوى وكأنها تهوى من أمكنة عالية ، من مكانة المنطق الواقع ، فتضطرب معها ولا تلبث

(١) طبع هذا الديوان في القرن الماضي طبعة سيئة . ولحسن بدار السكتب المصرية نسخ منه صورة منه مختلفة .

أن تضحك في غير نظام ، بل في فوضى كفوضى الكلام الذي نسمعه . وانظر إليه يقول :

تيقن أن الأرض من فوقها السما  
ويبينها أشياء متى ظهرت ترى  
لتعلم أني من ذوى العلم والحجى  
ومنهم أبو سودون أيضاً وإن قضى  
أنا ابتها والناس هم يعرفون ذا  
قصر بها نيل على الطين قد جرى  
وليست تيل الشمس من نامق الضحى  
بها الظهر قبل العصر قبل بلا مرا  
ترى ظهر كل منهم وهو من ورا  
بها الشمس حال الصحو يدو لها ضيا  
ويبرد فيها الماء في زمن الشتاء  
بطر كصنعي طرقت سوأ سوا  
ويكي زمان الحزن فيها إذا ابتلى  
فذاك له في الهند بالين قد رأى  
لأنهم تبدو بأوجههم لحي  
تراه بها وسط النهار وقد مشى  
نماراً كأنما العراقة لها نوى  
بأنمارها قالوا يحركها الهوى  
تدل على أني من الناس يا فتى  
ولا امرأة قد زوجاني ولا جما  
وحققها بالنهم والمخدق والذكا  
إذا سمعت أني أفوق على جعا

إذا ما التقي في الناس بالعقل قد سما  
وأن السما من تحتها الأرض لم تزل  
وإني سأبدي بعض ما قد علمته  
فن ذاك أن الناس من نسل آدم  
وأنت أبي زوج لامي وأنتي  
وكم عجب عندي بمصر وغيرها  
وفي نيلها من نام بالليل به  
بها الفجر قبل الشمس يظهر دائماً  
وفي الشام أقوام إذا ما رأيتهم  
بها البدر حال النيم يخفى ضياؤه  
وتسخر فيها النار في الصيف دائماً  
وفي الصين صيني إذا ما طرقت  
بها يضحك الانسان أوقات فرحه  
ومن قد رأى في الهند شيئاً بعينه  
وفها رجال هم خلاف نسائهم  
ومن قدمتي وسط النهار بطرنا  
وعشاق إقليم الصعيد به رأوا  
به باسقات النخل وهي حوامل  
وعندي علوم يمد هدى كثيرة  
وما علمتني ذاك أمي ولا أبي  
ولكنني جريتها فمقتها  
فيا بخت أمي بي ألا يا سرورها

لا يحتاج الى سوا في العقل وما يشبه السو ،  
غير أن ابن سودون يستغل ذلك نفسه ليعدث  
لك المفارقة حين تسمع وصف هذه الأشياء  
وأنها تحتاج الى عقل راق ، ثم تقرأ فإذا أنت  
أمام حقائق أولية . وإنه يحاول أن يأتي  
بأبسط ما يمكن من هذه الحقائق ليجمعك  
تقرب في اضحك . ويتطرق ابن سودون  
من هذه المقدمة إلى بيان ما رآه في البلدان  
المختلفة من عجائب ، وهو يبدأ بمصر فيروي  
لك حقائق عامة مأثورة ، ولكنك ما تروها  
حتى تضحك لأنه عرف كيف يثبت بتطرقك

أرأيت كيف يفس ابن سودون هزله في  
لينة للمفارقات ، فإذا الفكاهة تستوي له على  
هذه الصورة للتناقض ، فهو يبدأ حديثه بأن  
الانسان إذا سما عقله أخذت تدخل عليه هذه  
القينيات من مثل أن الأرض من فوقها السماء  
وأن السماء من تحتها الأرض ، وأن بين السماء  
والأرض أشياء متى انكشفت لنا رأيناها .  
وليس هذا كل ما يقف عليه الانسان حين  
يسمو عقله ، فانه يقف أيضاً على أن الناس  
من نسل آدم وأن أبا صاحبنا زوج لامي .  
وما من الجدة في هذه القينيات ؟ إنها

في الشطر الثاني . وما من شك في أنه حاول أن يقرب ما وسعه الاغراب حين أخذ يعرفنا بأن الرجال هناك يختلفون عن نساءهم اختلافاً شديداً لما لهم من لحى ، كأن الهوى خاصة من خواصهم رجال الهند دون سواهم . وأعجب من ذلك وأعرب أن من يمشى هناك وسط النهار تراء وسط النهار وقد مشى ، وهي مخالطة طريفة ويعود ابن سودون إلى مصر أخيراً . ونسب عن إقليم الصعيد ويسبب أن به ثماراً كأنها المراق لها نوى ، أرايت إلى هذا النظر أو قل هذا القياس الدقيق ؟ إنها علوم ابن سودون الكثيرة كما يقول ، تلك العلوم التي تجعله يقتنع بأنه من الناس ، ولقد تعلمها باجتهاده ورحلاته ، وما تعلمها من أم ولا أب بل ولا من زوج ولا من حما ، وإنما تعلمها من طريق تحقيقه وفطنته وذكاؤه ، وإنه لم يفتأ أمه بنفسه مردداً أنه يفوق على جبا . وحقا أنه كان جبا القرن التاسع الهجرى ، ولم يكن يعتمد في جبعوته على النوادر والنكت كما كان يعتمد جبا ، بل كان يعتمد على هذا الفن من المزل الذى لا يبعد إذا قلنا إنه تفوق فيه لا على جبا وحده بل على كل من سبقوه . وهو فن — كما رأينا — كان يعتمد على المفارقات المنطقية . وربما كان من أطرف القطع التي تصور ذلك قوله في رثاء أمه :

هذا البيت الذى جمعه يقص عليك أن الفجر بمصر يظهر قبل الشمس ، وأن الظهر يمر بشأ قبل المصير . وإنه ليؤكد ذلك كأنه شئ مشكوك فيه ، فيقول إنها حقيقة « بلا سراة » . وينقل ابن سودون بنامه من مصر إلى الشام فيروى له أن بها ناساً ظهر كل منهم وراءه ، كأن الناس على قسمين ، قسم هذا الذى يراه في الشام ، وهو قسم غريب ، ولذلك وقف ليدلنا عليه وعلى مبلغ ما رأى هناك من غرائب ، أما القسم الآخر فقد سكث عنه لأنه مفهوم ومعروف ، وهو إنما يروى المجهول غير المعروف . هذه قصة الناس هناك ، أما بدرهم فإن ضيائه يستقر حال النجم وأما شمسه فإن ضيائه ينتشر حال الصحو ، وهناك تسخن النار في الصيف ويبرد الماء في الشتاء ، كأن ذلك كله شئ خاص بالشام . ويترك الشام إلى الصين فإذا هو يحدثنا أن بها صينيًا يظن مثل ماذا ؟ « كصيني طرقت سوا سوا » . هل جاء ابن سودون بشئ ؟ إنه كما يقولون قرر بعد جهد جهيد الماء بالماء ، وهو يستمر في هذه المفارقة ، فالناس في الصين يضحكون في أوقات فرحهم ويبكون في أوقات حزنهم ، وينتقل من الصين إلى الهند فيحدثنا أن من رأى هناك شيئاً بعينه ، فقد رآه بعينه ! هل قال ابن سودون شيئاً أكثر من أنه غلطنا . فإذا هو يبيد ما قاله في الشطر الأول

فطالما لحقتى لحسن محبتى  
خوفا على خاطرى كيلا تبكى  
أقول أمبو نمى بالماء تسقى  
تقول : ها ها : بهز كي تنلى  
صوصو بيلي وكم كانت محبتى  
وبعد ذا كشكشتنى كي ترضى  
مكى وبقي له كانت تخشى  
تسر الملح من فوق وترقى  
على المنصة تلقانى بترقى

لموت أمى أرى الأحزان تحبى  
وطالما دلعتى حال تريقى  
أقول نمن نمى بالآكل تطعمى  
إن صحت فى ليلة وألاً لاسهرها  
كم كعلتنى ولى فى جبهى جعلت  
وربما كشكشتنى حين أغضها  
ومن فقيهى إن أهرب ورام أبى  
وزعطت فى طهورى فرحة وغدت  
ولى زواجى تصدت للجلاء عسى

وبعد ذلك ماتت أمه وأبني  
وأربعين سنين في حياي  
لي في من بعدها جودوا بآمين

ورث اولاداً ايضاً مثل توبيق  
وخلفتني يتيم ابن أربعة  
يعظم الله فيها الأجر لي وكذا

ففيها من ضحك في موضع الرثاء وما يطوى  
فيه من حزن . ولا يكتفي ابن سودون بذلك  
إذ نراه يعمد إلى محاكاة بكاء الأطفال وما يقرن  
بهذا السكاء من هز أمهاتهم لهم وقولهن ما هما  
ونحو ذلك . ثم يسترسل في الحديث عن حنو  
أمه عليه وكيف كانت تحمله وكيف كانت  
« تحنيه » ثم كيف كانت « تكشكته »  
وكيف كانت « تكشكته » . ثم يقص علينا  
كيف كانت « تحنيه » حين يهرب من الفقيه  
وأنها « زغرطت » يوم طهوره وزينته يوم  
زواجه . وأخيراً يعلن أنها خلفته يتيم ابن  
أربعة وأربعين سنين ، كما يقول . وكل هذه  
مفارقات فهو يقيم وهو في الوقت نفسه ابن  
أربعة وأربعين ، وهو باك وهو في الوقت  
نفسه ضاحك ، بل إنه ليضحك حتى يخرج  
بضحكه إلى هذا الهزل وما يتصل به من  
فكاهة . وفي أي موضع يصنع ذلك ؟ في  
الرثاء أو بمباراة أخرى في أكثر المواقف  
دعوة للحزن وأشدّها استثارة للبكاء ، وهو  
بلا زيب يجرحنا شعورنا لما اصطلحنا عليه  
في مثل هذا الموضع ، لكنه جرح ينتهي بنا  
إلى أن نضحك بل إلى أن نفرق في الضحك  
لأنه جاء على غير أمية وبدون انتظار ، وإنه  
لينبئ في ذلك غلو البلاء . وهذا هو وجه طرائقه  
وجال فكاهته . وارجع إلى ديوانه فستجد  
دائماً يعتمد على هذه الميانيات بين ما تنتظره  
وما يستبلك به من أشماره . ومن أطرف  
ما جاء من ذلك وصفه لفصلة زواجه إذ  
يقول :

وما من شك في أن كل من يستمع إلى  
هذا الرثاء يفرق في الضحك ، لأن ابن سودون  
اعتدى على الموقف التقليدي في مثل هذه  
الظروف اعتداء شديداً أو قل اعتداء صارخاً .  
وأي عدوان أبعد من هذا العدوان الذي  
يجد فيه شخصاً يقف بإزاء أمه — وقد لبث  
نداء ربها — ليرثيها وكأن كل كلمة في رثائه  
تبر عن دمة تتعذر من عينه ، فإذا هو يترك  
ذلك كله وما يتصل به من حشمة ووقار إلى  
مظهر جديد لم نره عند أحد من قبله ، وهو  
مظهر لا يتصل بالحزن ولا بالرثاء ، وإنما يتصل  
« بالفرح والسرور » كأنما يتحدث إلى أمه في  
أحد أعياد ميلادها ، وهي قائمة بين يديه  
تسمع إلى طرفه فتضحك ، وقد تقرب في  
حسب لأنه بعد أن بلغ أربعاً وأربعين سنة  
يحدثنا عن ذكرياتها القديمة . وهذه المخالفة  
في الموقف وما تنطوي عليه من مفارقة هي  
أساس فكاهة ابن سودون في هذه القطعة .  
نارجع إلى مطلعها فأنك تراه في الشطر الأول  
من مقطوعته يكاد ينهد من حزنه انهداداً قد  
فوسه الحوادث وحناه . ولكنك لا تقرأ  
الشطرا الثاني حتى تجد المفارقة ، فإذا هو يذكر  
كيف كانت أمه « تلحسه لحس تحنين » وكيف  
كانت « تدلمه » خوفاً على « خاطره » .  
ونستر فإذا هو يحكي لغة الأطفال ذاكرة  
أنه كان حين يقول نغم تأتي أمه له بالأسفل  
وحين كان يقول أميو تأتي له بالماء . أرايت  
صرامة الموقف وما يعليه على ابن سودون ؟  
إنه لا يعل عليه إلا هذه الفكاهة وما يطوى

ونجم طالعه بالسعد قد ظهرا  
أغصانه بالتهاني تنثر الزهرا

حل السرور بهذا المقدم مبتدرا  
والكل كالوجه الأرض فانمطت

بكل عود عليه لا ترى وترا  
على المراسم كي يقضوا به الوطرا  
حد الأشد وعقلى فى الورى اشترا  
أنى إذا نمت مع ظمري يكون ورا  
عقلى ولكن خوت فى عمرها كبرا  
بالسن من رمع أو سيف إذا بقرا  
فى عينها عمتش للجن قد سقرا  
فى كفها فليج ما ضر لو كسرا  
فى عمرها نوب كم قد رأت عبرا  
يوما وقد سببت فى جيدها شعرا  
أواء لو حاشها موت لها قبرا

والطير من فرحها فى دوحها صدحت  
تقول فى صدحها دام الهنا أبدا  
وكننت عند زفانى قد وصلت إلى  
فكننت أعرف من عقلى وكثرته  
هذا وعقل عروسى كان أصغر من  
فى السن قد طمعت ما ضر لو طمعت  
فى لونها عمتش ، فى أذنبا طرش  
فى بطنها بجم ، فى رجلها عرج  
فى ظهرها حذب فى قلبها كدر  
يا حسن قامتها العوجا إذا خطرت  
تظل تهتف بى : حسنا حظيت بها

الفتح كلها . وهو يمد إلى المبالغة فى هذه  
الفنون حتى يستقم ما يريد من إضحاك وتفكك .  
وأمن النظر فى القطعة فانك تجد يقف أثناء  
وصفه نبح هذه الروح المسكية ليدبر به  
بقامتها على ما فيها من عوج وأمت . بل على  
ما فى صاحبها من بجم وعرج وفليج وحذب  
وهذا هو التباين أو هو المفارقة التى تتبع  
من مكاهة ابن سودون ، وإنما المفارقة تميز  
من نظرائه الفكاهيين فى الشعر العربى ، بل  
فى الشعر المصرى نفسه وفتح لا تعرف  
أحدأ سبقه إلى هذا التفتت الواسع فى استخدام  
المفارقة على هذا النحو فى شعره ، فإذا هو  
يتحول كله إلى هذه الطرائف الفكاهية .  
وقد كان ابن سودون يدمج فى هذه المفارقة  
ضربا من التباه وإظهار النفلة كما مر فى  
الأمثلة السابقة وعلى نحو ما نجد فى قوله :

والقيل فىل والزراف طويل  
والطير فيما بينهن . يجول  
فالارض تثبت والنصون تميل  
ويرى له مهما مشى سيلول

وأنت تراه يمد فى هذه القطعة إلى المفارقة  
حتى يستخرج ما يريد من هزل وفكاهة .  
فقد بدأ شعره بالسرور وطالع السعد وما كان  
من مشاركة الطبيعة والطير للعروسين فى فرحهما ،  
وما نستمر حتى نراه يمد إلى التباه بل إنه  
ليملته ، فعقله على كثرته لم يكن يعرف به  
إلا أنه إذا نام كان ظهره من ورائه ، ومع  
ذلك فعقله أكبر من عقل زوجه . وقد ذهب  
بعد ذلك يعرض علينا زوجه هذه فى صورة  
مشوهة لا تنسجم مع مطلع شعره ، وهذا  
هو معنى ما نقوله من أنه يمد إلى ضروب  
من المفارقة والتباين فى هزله ، فبينما هو فى  
مستهل هذه القطعة يعلأ الجو بشراً وابتناسا  
لهذا الزواج الصميد ، إذ هو يعلؤه بعد ذلك  
كآبة وقبحا وكفهراراً لما صدم شعورنا به  
من وصفه لهذه الزوج القبيحة التى جمعت فنون

البحر ببحر والتخيل بتخيل  
والأرض أرض والسما خلافا  
وإذا تماصفت الرياح بروضة  
ولملاء يمشى فوق رمل قاعد

لنا فى هذه القطعة أقرب الأشياء من حسنا  
وذهب يرويه فى هذا الضرب من البله والساذجة

وهو لا يأتى بشئ غريب ومع ذلك فان  
شعراً من الضحك يلمينا به لأن ابن سودون جمع

ومى سداجة مياته لأن يصف كل ما يتصل به حتى لغة الأطفال مجدها في شعره كقوله :

ولما أن كبرت بمحمد ربي      وصار لنتهى عقل ابتداء  
بقيت أقول ثور ثور تاته      ودحو كخ وانبو مم آه

قد حشد في البيت الثاني كل ما يمكن من لغة الأطفال بوله في هذا الباب طرف كثيرة . وقد حكى في ديوانه كثيراً من أصوات

الحيوانات ؛ إذ نراه يقلد صوت الحروف والبقرة ، وقد قلد صوت الأوز مراراً . ومن طرفة قوله في « كتكوت » :

شريت لي كتكيت      فيمبو      زيق  
عريب      من البرد      ربي  
لو حليق فيه زماره      وحنك فيه مقاره  
يزمر      دويحك      رشيق  
أقول لو كنتك      يكتك      يحى  
يرغرف      خو      زعيق  
لو جناح لاح من جنبو      كلما اشرح لوح بو  
غيب      ولو ساق رقيق  
كبر صار شويطن      يسقر      أحوه  
ويصل      فييح      في الطريق

وما من ريب في أن هذه قطعة خفيفة ، وإلهامها مما أثار به ابن سودون من حالة الفكاهة التي لا نجد لها نظيراً بين من عاصروه ، فقد كان يعرف كيف يجمع الصفات والخصائص لكل شيء بما له ، وكانت تسعف في ذلك مخيلة لافطة تعرف كيف تقم أشتات الصورة

التور والبقر في المام ومن قبله هديك تحبل وتولد عجل أو عجله

في مصر والشام وفي غزه مع الزملا  
وذاك في الساقيا ياكل بفرقه

وإن الإنسان ليخيل إليه أن ابن سودون لم يترك شيئاً في حياته يمكن أن يستخرج منه لوناً من ألوان الفكاهة إلا بهته وعرضه أمام نظارته وقرائه . وقد ساق في ديوانه مجموعة من الحكايات والطرف النثرية ، وإنما لا نقل

قراءة ولا إضحكا وتفتنا في الإضحاك مما روينا من شعره بل لعلها تتفوق في كثير من جوانبها على هذا الشعر . وقد نعرض لها في مقال آخر ، أما الآن فحسبنا من شعره هذه التنبط الطائفة .

شرق ضيف



# من وراء البحار

## مصر في المجلات البريطانية

### رأى مجلة علمية

في مجلة « العالم » ، وهي من أكثر المجلات الانجليزية تدقيقاً في أخبارها وإذ يصدرها المعهد الملكي لدراسة الأمور الدولية فصل ( في عدد مايو ) عن بريطانيا ومصر ، ووجه النظر المصرية في تعديل المعاهدة ، وبما جاء فيه أن مشاكل مصر ناشئة إلى حد كبير عن مركزها الجغرافي الخاص . فثمة أكثر من ثلاثة آلاف سنة كان التسلط على مصر مفتاحاً للسلطة على جميع المساحات التي هي مهد الحضارة الفرثية . وفي العصور الحديثة صارت جميع المساحة التي نسميها عادة ، وللسهولة أكثر من التدقيق ، بالشرق الأوسط ، هي أهم مفتاح ستراتيحي ، لما لاحظ نابليون في سرعة ب وصار امتلاكها أو للقدرة على منع الغير من امتلاكها هو وسيلة النصر في الحروب العالمية . ولا يوجد في عصور التاريخ إلا القليل مثل التاريخ المصري الحديث تراه واضحاً وضوحاً ظاهراً في حوادثه . وهو لا يحتاج إلى فن للمؤرخين . سنة ١٧٩٨ ، وهي سنة الغزو الفرنسي ، هي أول سنة في تاريخ مصر الحديث . وقد جاءت مع جيوش نابليون آراء الثورة الفرنسية وجميع مثل الحضارة الفرثية ، وذئى وجود العلماء الذين أنقل بهم مركز قيادته إلى اكتشاف أقدم مدنيات العالم ، بفضل شامبلون وتابعيه وتعرف القرب بها . وبفضل مطابع الفرنسيين واحتذاء عاداتهم وتأثير طرقهم ، تأثرت عقول المصريين بطابع الغرب ، وصار للفرنسيين دور هام في حياة

الامة لمصرية . وكانت محاولة الفرنسيين فتح العالم مما فرض على مصر الدور الذي ما زالت تقوم به على أنها منتج لتحقيق الكثير من مصالح الدول العظمى ، وظلت مسرحاً لمناقشتهم . وبقيت شديدة الاتصال بالحياة الأوروبية وسياستها وآرائها وآلاتها وقها . وانصبت مصر بعدد كبير من أهل أوروبا ، أكثرهم من العناصر غير المرغوب فيها ، وكان ذلك أيضاً مما جاء بالبريطانيين .

لقد رأت حكومات بريطانية متتابعة أنها مضطرة إلى اعتبار التسلط على شرق البحر الأبيض المتوسط ، وهو الذي تمكن منه الانجليز لأول مرة بانتصار نيلسون في موقعة النيل ، نقطة أساسية في السياسة ، لا سيما أن للشرق الأوسط أهمية ستراتيحية وله علاقة بمصالح بريطانيا التي تمتد إلى جوانب العالم . وقوى هذا المظهر من السياسة الخارجية البريطانية منذ السنة السبعين من القرن الماضي بعد إنشاء قناة السويس . فملكة مصر ليست كبيرة الأهمية فقط من الوجهة الجغرافية العسكرية العامة ، ولكن بين حدودها يمر فيه الجزء الأكبر من السفن التي تربط المملكة المتحدة بالهند وممتلكات المحيط الهادى والشرق الأقصى . لذلك ظلت بريطانيا نحو مائة وخمسين سنة تلمب دوراً هاماً في العلاقات بين مصر وسائر أنحاء العالم . ومنذ احتلت الجيوش البريطانية مصر في سنة ١٨٨٠ صارت مسألة هذه العلاقات على صورة ما هم

للمفاوضات الحالية ، وذكر أنها تسير في جو  
غير ملائم ، فإن هيئة وفد المفاوضات التي  
اختارها رئيس الوزراء المصري قوية ، ولكن  
تأثيرها ضئيل لرفض الوفد الاشتراك فيها .  
وقال إن المبالغين الذين تطالب بهما الوطنية  
للمصرية الآن ما جلاء الجنود البريطانية عن  
مصر ، والاعتراف « بوحدة وادي النيل »  
وهو ما يعني وحدة مصر والسودان . ولقد  
كان للسودان دور مهم في الآراء السياسية  
المصرية على مدى التاريخ ، وهذا طبيعي إذ  
أنه منبع النيل ، فهو يلعب دوراً حيويًا في  
حياة مصر أهم من الدور الذي تلعبه مصر  
في حياة بريطانيا ومجموعة دول الامبراطورية .  
ومشكلة مستقبل السودان أكبر وأعمق من أن  
يبحث فيها الآن . ومن وجهة نظر المواقف  
للمصرية يلاحظ أمران : أولهما أن السودان ولو  
أنه أصبح تحت حكم ثنائي من إنجلترا ومصر  
فقد ظل في الواقع تحت إدارة موظفين إنجليز  
وهم يسرون به الآن إلى درجة متزايدة من  
الحكم الذاتي ، وثانيهما أن قوة الارغام التي تكون  
بيد الدولة المستولية على السودان إذا ما أرادت  
الضغط على مصر هي قوة في الواقع لا أحد  
لها . على أن هذه القوة لم تستعمل قط ، ومن  
غير المعقول أن البرلمان البريطاني يوافق على  
هذا النوع من الضغط الاقتصادي على الحياة  
للمصرية . ولكن الاحتمال موجود ، وقد  
أشار إليه إنجليز غير مسئولين في خطاب عامة  
لهم . على أن الأمر يتعلق بالثقة ، فإذا كانت الثقة  
متبادلة والتعبير عنها سخيا فليس ثمة سبب  
بحول دون ضمان مستقبل السودان ، بحيث  
يزيد نصيب أهله في السيطرة على مستقبلهم ثم  
في الوقت ذاته يجب أن تذهب مخاوف مصر .  
وربما كان مما يسترعى النظر ويبحث على  
التناؤل في الموقف بأجمه هو عدم وجود أي  
نوع من العداء الجنسي أو الوطني ، وتدرج  
العداء الشخصي .

ما لحياة مصر السياسية ، والآن صارت أداة  
الحكم في العلاقات بين إنجلترا ومصر هي  
معاملة التحالف والصداقة التي عقدت بينهما  
في سنة ١٩٣٦ .

ثم تكلم الكاتب عن العلاقات بين مصر  
وإنجلترا بعد الاحتلال ، فذكر مركز مصر  
عند عهد محمد علي ثم الأسباب التي أدت إلى  
الاحتلال بما هو معروف في الكتب الانجليزية  
التي نعت في سياسة بريطانيا نحو مصر ، وانتقل  
إلى الحرب العالمية الأولى وما كان من تقدم  
الروح الوطنية في مصر واهتمامها ، لا سيما على  
امر المبادئ التي أعلنتها الرئيس ولسن ورغبة  
مصر في تمثيلها بمؤتمر الصلح وعدم إيجابتها  
إلى تلك الرغبة ، وتأليف الوفد تحت زعامة  
للنور له سعد زغلول باشا الذي يعتبر أبا  
الاستقلال المصري ، وأثر تصريح فبراير سنة  
١٩٢٢ وعدم رضا الوطنيين عن مركز مصر  
السياسي الذي أوجده هذا التصريح ثم سوء الحالة  
الدولية الذي أدى إلى عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ .  
وقال إن مساعدة مصر في الحرب الأخيرة  
لها نصيب كبير في الجدل السياسي الحالي ،  
فالبريطانيون ينتقدون رغبتها في استرداد جميع  
مالها من دين كبير نشأ عن نفقات الحرب  
البدائية ، لا سيما إذا نظرنا إلى الموضوع في  
ضوء أن مصر لم تملن الحرب رسمياً إلا في  
مارس سنة ١٩٤٥ ولكن الواقع أن تعاون  
مصر في أثناء الحرب كان كاملاً وذا قيمة كبيرة  
وأنه لا الرأي العام ولا السياسيون أظهروا  
أي ميل للاستفادة من المأزق الذي كانت فيه  
بريطانيا . ولو نظرنا إلى ذلك في ضوء التاريخ  
للماضي للسنوات العشرين السابقة لوجدنا  
قصة العلاقات للمصرية الانجليزية أثناء الحرب  
قصة تسترعى النظر .  
ثم تكلم عن موقف الحكومة المصرية  
عند أزمة السويس ، وانتقل إلى ما تلا الحرب  
من حوادث داخلية حتى وصل إلى مرحلة

## رأى فى مجلة محافظة

يقتصد فى صدق القول اقتصاداً باعاً على  
الأسف أن المستعمرات المستقلة وافقت على  
هذا الانسحاب .

وفى اليوم التالى اى ٨ مايو حتى أن ينصر  
ماورال سمطس تمكدياً لذلك ، فاعترف بأن  
المستعمرات المستقلة أخبرت بأن بريطانيا  
ستتخذ هذه الخطوة الخطيرة جداً ، ولكن  
لم يؤخذ رأيها فى هذه الخطوة . وهذا التقب  
المزدوج الذى قام به رئيس الوزارة ليس  
من المناظر السارة ، ولكنه كان ذا فائدة  
كبيرة ، وقد كشف عن الواقع وهو أن  
المستعمرات المستقلة ، فيما يسمى بالاستشارات ،  
تخبر فقط بما تنوى الحكومة الامبراطورية  
عمله ، ولكنها لا تستشار فيما يجب أن تكون  
عليه السياسة الامبراطورية . والواقع أنه  
لا يوجد أية استشارات أو سياسة فى جميع  
الامور المرتبطة بالامبراطورية ، أى الامور  
التي لها مساس حيوى بالمستعمرات المستقلة ،  
بقدر ماساها بريطانيا . وقد صرح مستر أتلى  
فى أحد ارجاساته أن وزراء المستعمرات  
لا يطلب إليهم أن يسدوا موافقتهم فى مسألة  
خاصة بالملكة المتحدة ، لها أقرب هذا  
القول ! إن الدفاع عن الامبراطورية والدفاع  
عن مصر حيوى للامبراطورية بأسرها .

أشارت مجلة « ناشنال ريفيو » ، وهى المجلة  
الشهيرة التي تنطق بلسان المحافظين ، فى  
مرضها لحوادث الشهر ( فى عدد يونيو ) إلى  
للفاوضات المصرية ، وتصريح مستر أتلى  
بمجلس العموم البريطانى فى جلسة ٧ مايو حين  
أعرب عن نية الحكومة البريطانية فى الجلاء عن  
مصر . وقال محررها إنه مما لا يصدق أن  
حكومة تتخذ مثل هذه الخطوة دون أن  
تستشير غير مجرد أهوائها ، ودون أن تسأل  
للمستعمرات المستقلة التي ساعدتنا على الاحتفاظ  
بالبحر المتوسط ، فى المجلة الافريقية النيفة  
التي كانت فى سنة ١٩٤٠ - سنة ١٩٤٢ .  
هذا مما لا يصدق حتى من حكومة متقلبة  
قليلة التجربة مثل الحكومة البريطانية .  
ولكن هذا ما كان فعلاً . ولقد وقف المستر  
تشرشل الذى يعرف ما هى مصر وما هو  
الدفاع عنها فى التو وطلب استمرار المناقشة . وقد  
نوقش للموضوع بأكمله فى جلسة كبيرة الأهمية  
فى اليوم ذاته ، إذ كان حزب المحافظين بأكمله  
يؤيد زعيمه ، قال الدفاع عن مصر معناه الدفاع  
عن قناة السويس ، والدفاع عن القناة معناه  
الدفاع عن الامبراطورية البريطانية فى الشرق ،  
وعن جنوب إفريقية وأستراليا ونيوزيلاندة  
وفى هذه المناقشة صرح مستر أتلى وهو

## رأى سياسى محافظ

الوطنية التي كانت من ظواهر تاريخ العالم فى  
القرنين الأخيرين . وبينما مسك الشعب للعصر  
أخذ فى هذا التطور ، إذا بالمرکز الجغرافى  
لمصر لا يزال هاماً كما هو بل زاد أهمية  
فإن التقدم الحديث فى الهندسة واكتشاف آبار

وكتب الورد الترنكهام فى هذه المجلة  
المحافظة مقالاً عن « أمة النيل » ابتدأه  
بوصف ما حدث فى مصر من تطور وبقطة  
وطنية بفضل سعد زغلول . وقال إن هذه البقطة  
ليست بمستغربة بل هى مثال آخر للبقطات

عن الأذهان . ثم أخذ يستعرض العوامل الاستراتيجية في الشرق الأوسط على ضوء أن مصر مفتاح له ، فقال إن للمصالح السائدة للامبراطورية البريطانية قد نمت نمواً كبيراً منذ موقعة النيل في أيام نلسون ، وهو نمو لم يكن يحلم به قواده ، فسلطها وتجارها على بلاد الشرق أمدادها بقوة مالية تغلبت في آخر الأمر على محاولات نابليون بأجمعها .

وفي هذا القرن خاضت إنجلترا بحمار الحرب مرتين ، وكان للتعدي هو ألمانيا في المرتين مع انضمام تركيا إليها في المرة الأولى وإيطاليا في المرة الثانية ، ومع ازدياد للمصالح زيادة هائلة ، فقد أنشأت المهارة الفرنسية قناة السويس واحتلت بريطانيا مصر بعد بضع سنوات من شرائها لأسهم الحديد في القناة ، وأعادت بريطانيا (١) فتح السودان ، واكتشفت آبار الزيت في العراق وجنوب إيران . ولو أن الشرق الأوسط يخرج من يد الأمم المتحدة لما تمكنت من الانتصار على إيطاليا ثم ألمانيا ثم اليابان . لذلك كان من حسن الرأي ومن الجراءة السياسية المحمودة أن أرسلت بريطانيا جيشها الوحيد المدرع إلى مصر إلى خريف سنة ١٩٤٠ في وقت كانت فيه في خطر الفزو من البحر . وما يدل دلالة واضحة على أهمية الشرق الأوسط أن تيار الحرب إنما اتخذ وجهته الحاسمة بعد الانتصار البريطاني في المدين . أجل ! إن هذه اللقطة لم تكن لتنجي الشرق الأوسط لو سقطت ستالينجراد ، إلا أن الانتصار في ستالينجراد لم يكن لينجي روسيا لو لم يحمل الجيوش البريطانية من للمستعجل الزحف الجنوبي على حقول البترول الروسية ، بأن كسرت شوكة هجوم المحور على مصر والقنال . ثم تكلم عن معاهدة سنة ١٩٣٦ مع مصر وإخلاس الجانبين في تنفيذها مما أدى إلى خروج مصر من الحرب سالمة وغنية وحررة . على أن مظاهر الحرب غيرت من وجه

البترول والتغلب على الجو ، كل هذه الأمور زادت للتل القديم تحقيراً ، وهو الذي يقول إن مصر هي المركز الاستراتيجي للعالم . وقد أشار إلى أن الامبراطورية البريطانية صارت مع الجمهورية الأمريكية والاتحاد السوفيتي أكبر الدول شأنًا ، ولكنها في مركز أصعب من مركزي القوتين الأخيرتين ، فمما دولتان أرضيتان كبيرتان تحت حكومة مركزية واحدة تجري مواصلتهما داخل حدودهما ، ولا يمكن أن تصل هذه المواصلات عنهما إلا بفزو كبير . ومما من الوجهة السياسية والاقتصادية والحربية قادرتان على الاكتفاء بنفسهما ، في حين أن بريطانيا مؤلفة من أمم متفرقة ذات سيادة ، ومواصلاتها تتوزع على العالم حيث يكون تأمين هذه المواصلات البحرية والبحرية متوقفاً على صداقة بعض الدول الأجنبية ومن أهمها مصر . وسلامة المواصلات الامبراطورية تتوقف على حسن علاقاتها مع جميع أمم الشرق الأوسط . حسن النية في جميع تلك المنطقة شرط ضروري لسلامة استراليا وحررتها ، وكذلك نيوزيلندة وجنوب أفريقيا ، وحلقة كبيرة من المستعمرات البريطانية والأراضي المحمية ، ولبريطانيا نفسها . ولذلك يتوقف الكثير من الأمور على الحكمة السياسية نحو مصر بعد أن تسلطت عليها نزعة الحماسة الوطنية الآن بحيث صار أعقل زعمائها غير قادرين على توجيه هذه النزعة في سهولة .

وقال إن البحث في هذه السياسة على أساس القواعد الحربية أو للمادية وحدهما مناه عدم فهم للمشكلة القائمة . هذا ، مع أن مشاكل الامبراطورية نفسها لا يمكن تسويتها على هذا الأساس ، فكيف يبك غريب عنها . فالوطنية لا تخضع للمادة . والواجب أن تقوم العلاقات على التعاون للتين الصلي مع مصر وغيرها من بلاد الشرق الأوسط . وقال إن هذه الاعتبارات يجب ألا تغيب

الدول الكبرى التي تحتكر وسائل الحرب ،  
ومما له مغزاه أن أكبر قوتين حرييتين  
مستئنتين بنفسيهما لا تظهران أى ميل  
للاعتدال على الضمانات الدولية . فروسيا ترفض  
فكرة السيطرة الدولية على الدانوب ، وتطالب  
في إصرار بميناء في شرق البحر المتوسط ،  
وبقاعدة حربية في الدردنيل ، في حين  
لا يخطر على بال الولايات المتحدة أن تجعل  
قناة بناما تحت مسئولية دولية .

وهو يرى أن القوة الجوية والثقلية البحرية  
لم تقيرا من أهمية الدفاع المحلى لقناة السويس ،  
ويؤكد أن أمريكا وروسيا يشاطران هذا  
الرأى فيما يتعلق بالدفاع عن الطرق للناحية  
الهامة لديهما .

وهو يلوم الحكومة البريطانية على تركها  
في الجلاء عن القاهرة والاسكندرية بصرف  
النظر عن أى اعتبار آخر ، وقال إن  
المعاملات الدفاعية لا تمس حرية الأمم الصغيرة  
فإن الأمم الكبيرة نفسها تحاول عقد مثل هذه  
للمعاهدات .

واختتم مقاله ذاكرة أنه قلبه مع الوطنيين  
للمصريين ، وأن علاقات مصر مع جميع الأمم  
يجب أن تكون علاقة الأمة ذات السيادة في  
أرضها . ويبدى أسفه على أن السياسة  
البريطانية لم تظهر ذلك في وضوح . ومع  
ذلك يمزو إلى للتطرفين من المصريين عدم  
ضمهم لمراعى بريطانيا .

القاهرة والاسكندرية ، وامتلات مصر  
بالجنود والمنشآت العسكرية ، وصارت بلداً  
محظلاً ، مع أن حكومتها قد ساعدت في ظروف  
الحرب . ولقد أخذت الوطنية المصرية تنتظر  
إلى هذه الحال بين التلق . ولقد مضت ثلاث  
سنوات على معركة العلمين ، وصارت الحرب  
بعبدة ومع ذلك ظلت صعوباتها قائمة . وكان من  
الواجب الجلاء عن القاهرة والاسكندرية في  
أسرع فرصة بمجرد زوال الظروف المقتضية  
لبقاء الجنود فيها ، ولكن شيئاً من ذلك لم  
يكن ، فهاجت خواطر المصريين .

وقال إن حكومة المحافظين غير مسئولة عن  
ذلك ، لأنه تبه الحكومة الحالية إلى هذا  
الامر عند ما كان في منصبه بمصر ( فقد كان  
وزير دولة في مصر واسمه سير ادوارد جريج قبل  
منحه لقب لورد ) على أثر انتهاء الحرب  
اليابانية .

ومع ذلك فقد نقد الكاتب تصريح  
الحكومة البريطانية بالجلاء ، وقال إنه لا يسر  
للفاوضات بل يزيد لها صعوبة ، إذ يؤيد هذا  
التصريح الوهم القائل بأنه يمكن ضمان سلامة  
مصر بغير إقامة منشآت دائمة على القناة .  
وزعم أن مصر لا تحتل عبء الدفاع عن  
نفسها ، فإن ذلك العبء يخلل تنظيماتها  
الاقتصادية والاجتماعية . وانتقد القول بأنه  
يمكن ضمان القناة وما جاورها بالضمانات الدولية ،  
فإن الضمانات الدولية تتطلب تبادل الثقة بين

## ظهر حديثاً

إميل لودفيج نقله عن الألمانية الأستاذ محمود إبراهيم السوقي - الجزء الأول  
( داو الكاتب للمصرى )

والسجام بديع ، أقبل الناس على كتبه كما يقبلون على قصة ، بل أقبل بعضهم عليها أكثر مما يقبلون على قصة ، فكثير من الناس لا يحلو لهم الخيال الصرف ، وهم في هذا الكتاب وأمثاله يجدون بشئهم من خيال يستعمل لآحياء الحقيقة .

كان مما أتى به ليتون سترينشي في كتابة السير دقة للملاحظة مع جمع الخلال الصغيرة البسيطة التي تلازم للمرء في حياته ، كاجاء بروح الفكاهة المريرة والتسامح . أما موروا الفرنسي كما ترى في خير ما وضعه من سير ، كأرييل التي هي حياة شلي ، ودوراثيلي ، فقد جاء بتلك الأناقة التي يشترك فيها كبار الكتاب الفرنسيين ، مع توضيح الشخصية بسوق مثبات الشواهد التي تقوت للملاحظ العادي .

وجاء إميل لودفيج ، الألماني ، بشئ آخر ، لا أستطيع أن أقول إنك تحبه فيه روح الفكاهة ، فليست الفكاهة من صفاته البارزة ، ولا أستطيع أن أقول إنه أنيق في كتابته واضح التحليل ، فليس ذلك من صفاته البارزة ، وإنما ميزة أسلوبه هي تلك القوة التأثيرية الناشئة — فيما أظن — عن تلمحه لمحو المسرح والدراما قبل أن يتجه نحو الأدب القصصي وكتابة السير .

والواقع أن إميل لودفيج كان في مبدأ حياته لا يفكر إلا للمسرح ، ففي الثالثة والعشرين من عمره ألف دراما عن لورنزو دي مديسي ،

لأريب في أن كتابة سير العظماء قد اتخذت في القرن العشرين اتجاهها لم يعرف من قبل ، فقد كانت كتب السير ، لاسيما في القرن التاسع عشر ، عبارة عن أسفار مطولة مملّة لا يكاد يمتثلها غير أصدقاء الأسرة التي نجم منها العظم . وكان أكثر هذه الكتب يوضع باتفاق بين الأسرة والمؤلف ، وفي هذه الكتب يحاول المؤلف أن يبرز المحاسن إن وجدت ، أو يعزو لصاحب السيرة ما يستطيع من فضائل ، ويخفي من الرذائل ما وجد إلى ذلك سبيلا .

ولكن هذا النوع الجديد من الكتابة صعد ليأخذ إلى مصاف الآداب ، وأقبل عليه القراء حتى كان في وقت من الأوقات وما زال ، إلى حد ما ، أحب ألوان الأدب إلى الجمهور . وكان الفضل في ذلك لثلاثة أسماء : ليتون سترينشي الأديب الإنجليزي ، وأندريه موروا الأديب الفرنسي ، وإميل لودفيج الأديب الألماني ، ومنذ أخذ هؤلاء الثلاثة ينقطعون انقطاعاً تاماً ، أو إلى حد كبير ، لكتابة السير ، برزت أسماء عشرات من الأدباء الذين يعتنون بهذا اللون من الأدب عناية كبيرة ، ويجدون جمهوراً كبيراً من القراء في جميع أنحاء العالم .

لعل ليتون سترينشي ( ١٨٨٠ — ١٩٣٢ ) كان أول هؤلاء الثلاثة ، فهو عند ما نشر كتابه «عظماء من عصر فيكتوريا» ورسوم فيه صور أربعة من العظماء بطريقة جديدة حية ، وأصفاً فضائلهم غير مغرق فيها ، ومشيراً إلى أنهم في غير قوة وفي أسلوب مكه

الذي نشره في سنة ١٩٢٢ ، وأضأت دار الكتاب للمصري إلى المكتبة العربية في هذه الأيام . فهو مجموعة صور متتابعة ومناظر رائعة تصور حياة ذلك البطل خير تصور وقد وجد المؤلف خير من ينقله إلى اللغة العربية ، فقد نقله الأستاذ محمود إبراهيم دسوقي وهو خير من ينقل عن الألمانية في أمانة ودقة وحفاظة على الأصل معنى ومبنى ، مع ملاحظة أسلوبه وعملوته الأمانة حتى في نقل الأسلوب وقد أبت دار الكتاب للمصري إلا أن يظهر هذا الكتاب في صورة بدئية ، فحررت الصور التي ازدادت بها الطبعة الألمانية خير إخراج ، كما أن غلاف الكتاب جاء آية في حسن الذوق ، وهذه أمور يهملها الناقدون عادة ولكن من الواجب أن ينوهوا بها حتى يزداد الاهتمام بالانتقال النقي في الكتاب العربي .

ولما لرغوا لا تتواني الدار في إخراج الجزء الثاني قريباً ، حتى يستطيع القارئ المتشوق أن يتابع قراءة هذا السفر بأمله

وفي الخامسة والعشرين فكر في مسرحية ينظمها شعراً ثابليون ، ولم يتجه إلى كتابة السير إلا حين درس حياة بسمارك ليخرج مسرحية ، ثم بدا له أن هذه المسرحية لن تمثل على مسرح ألماني ما كان ولهم الثاني غريم بسمارك جالساً على العرش . وعلى ذلك وضع صورة قلبية عن بسمارك ونشرها في سنة ١٩١١ . وفي نهاية الحرب العالمية الأولى كان لودفيج في الثانية والثلاثين من عمره قصد إلى منطقة البحيرات الإيطالية حيث عاش في تلك المناظر الساحرة ، وهو يضع مؤلفاً كبيراً عن حياة جيبي .

فأميل لودفيج إذن كان يحمله الأول كاتباً مسرحياً ، وذلك لتحدي كتيبه توه في النمط ومحاولة للتأثير ، كما تحدى فيه ميلا إلى استعمال طرق المرح . ويفقد أحياناً السيطرة المسرحية - كأنه في كتابه عن بهوفن - فيصبح الكتب مجرد مجموعة من النوادر ، أما في الكتب القوية ، فانت نجد قوة تأثير مألوفة ، كما في كتابه عن جيبي . وفي سفره عن ثابليون

### أسامة بن منقز تأليف الأستاذ محمد أحمد حسين ( مطبعة دار الكتب المصرية )

فلقد كان مولد هذا الأمير من آل منقذ الذي وضع هذا السفر ، قبل نحو ثلاثة أشهر من تلك الدعوة التي نشرها البابا إوبان الثاني من أرض فرنسا ، حين انتقل إليها خاصة من روما ، لنشر دعوته إلى الحرب الصليبية لـ مؤتمر كليرمون من أعمال أوقان ، ولقد ذهب من طائفة حركته الديني مصحوباً بالكرادلة والأساقفة ، في موكب كوكب منتهر ، وكلفه بخطب بفصاحة واقتناع الرسل .

نجحت دعوة البابا ، واحتضمت جيوش المتطوعين من أتقياء المسيحيين والاسلام ، وفدت هذه الجيوش إلى البلاد السورية حيث

عندما عثر المستشرق الفرنسي درنيبورج في أثناء بحوثه وتنقيحاته بمجموعة قصر الاسكوريال على النسخة الخطية الوحيدة لكتاب « الاعتبار » لأسامة بن منقذ ، رأى أمامه صورة واضحة لحياة أمير من أمراء العصر الذي عرف نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبي وغيرهما من سلاطين الاسلام ، وهم الذين وقفوا في وجه الغزوات التي شنها الفرنج على البلاد الاسلامية ، وأرادوا بها استخلاص الأماكن المقدسة من يد المسلمين وأراد الأمراء منهم أن يحققوا مطالبهم ، وأن يقتطعوا لأنفسهم ملكاً في البلاد الاسلامية .



الحياة الفرسان في عصره ، وهي لا تختلف في كثير من صورة أمتانهم من فرسان الغرب ، فيها البطولة والشجاعة وجرأة الحياة وتحملها ، وفيها الحداثة والديسية والندرة ، فهي صورة تجمع بين قوة السيف وقوة القلم . فقد كان أسامة محاربا قويا ، وكان كذلك أدبيا له شعر وله رسائل ، بل كان أدبيا متفوقا على كثيرين من أدباء عصره ، ويكفي أن تقارن نثره في كتاب الاعتبار بنثر العماد الاصفهاني مؤرخ صلاح الدين في كتابه عن حياة هذا العاهل الاسلامي ، لتعرف قيمة أسامة في نثره السهل وحكايته الطلية على غير ما هو مألوف في زمنه من استعمال السجع والمحسنات البديعية التي تكاد تختفي معالم للنق .

على أننا قبل أن نحاول قراءة أسامة الذي عني به الاوربيون عناية كبيرة يجب أن نعرف تاريخه وتاريخ زمنه ، ومن محاسن المصادقات أن وضع لنا الاستاذ محمد أحمد حسين كتابا عن أسامة ، وهو كتاب غزير المادة دقيق في تحقيقاته ، وهو يصف لنا حياة أسامة بن منتد وما كان في زمنه من أحداث خير وصف . ويزودنا بكل المراجع التي يمكن أن يحتاج إليها الباحث في هذا الباب . وهو كتاب يدل على نهضة حقيقية في فن كتابة التأريخ قام بها مؤلف جدير بهذا العمل بفضل دراساته وتقافته .

استطاعت أن تستولي على الأماكن المقدسة وأنشأ بعض الأمراء المسيحيين لهم ملكا . في هذا العصر المضطرب نشأ وعاش أسامة ابن منتد سليل بيت كانت له الإمارة على بلدة حصنة اسمها شيزر قريبة من مدينة حلب للمروقة ، وكانت إمارة مستقلة بين الامارات الاسلامية المديدة ، التي وجدت في تلك الجهات من سوريا ، وكانت هذه الامارات لا تقتسأ تتطاحن فيما بينها ، وبذلك وجد الأعداء من الفرنج سبيلا إلى الدخول . ولا ريب في أن صغر هذه الامارات وضعفها ، مع حب الأثرة التي تملأ نفوس زعمائها جعلتها تلك سياسة أقل ما يقال فيها ، إنها معوجة ، وإنها أحيانا تستحل الندرة والحداثة .

غير أن أسامة لم يتول إمارة شيزر فقد تولى الإمارة بعد أبيه عنه ، وموجس منه خيفة ، فاضطر إلى ترك وطنه ، وربما كان ذلك من محاسن المصادقات ، إذ بعد وفاة عمه تولى ابن عمه الإمارة ، وحدث في عهده زلزال مخيف هدم فيها هدم من مدن سوريا حصن شيزر وقضى على جميع آل منتد وقد كانوا مجتمعين في ولية ، ولم ينج منهم إلا من كان خارج البلاد ومنهم أسامة .

عاش أسامة عيشة فارس من فرسان البلاد الاسلامية ، ورسم في كتابه صورة حية

اسماعيل وهو مجموعة وثائق نشرها باللغة الفرنسية الاستاذ جورج جندي بك والامستاد چاك تاجر ( مطبعة للمهد الفرنسي )

امين المكتبة الملكية الخاصة بالقصر الملكي ، فان نشر مثل هذه الوثائق الرسمية مما يساعد الباحث في تاريخ تلك الحقبة على تعرف الحقيقة في عصر زاه يعد من أهم عصور تاريخ مصر الحديث ، ولا ريب في أن مصر إذا كانت قد عرفت معنى الاستقلال في عهد مؤسس الدولة العلوية

من أئمن المجموعات التاريخية القيمة التي ظهرت في عالم الطباعة الفرنسية بعصر تلك المجموعة من الوثائق الرسمية عن المفقور له الحديوي إسماعيل ، وهي التي قام على نشرها كل من المالمين الفاضلين جورج جندي بك رئيس المحفوظات التاريخية وچاك تاجر بك

بعد أن قدته فترة طويلة ، فإن نهضتها الحقيقية ،  
ومجاراتها لتيار الحياة الحديثة ، ودخولها معترك  
هذه الحياة على قدم المساواة مع الدول  
الأوربية ، واتجاهاتها إلى المدينة الحديثة ، كل  
ذلك قد تم في عهد المغفور له الحديوي إسماعيل .  
وهذه الوثائق تطلعتنا على جوانب النضة  
في كثير من تصرفات هذا الماهر . وإنا نرجو  
أن يصدر المؤلفان الطبعة العربية منها قريباً  
فيكون فضلها على الباحثين في تاريخ هذه  
الفترة مضاعفاً .

ألفريد رى مرسب بقلم الأستاذ صلاح الدين الشريف ( مطبعة المنتطف والنظم )

هذا الكتاب من لواحق المنتطف الشهيرة  
وأخشي أن يكون الحصول عليه صعب المأل .  
ولكني رأيت فيه من أناقة الأسلوب وحسن  
السرمد ما أحببت منه أن أنوه بمؤلفه الفاضل ،  
وأرجو أن أرى له في المستقبل القريب من  
الكتب الأدبية أو القصص ما يضيف به جديداً  
إلى المكتبة العربية . فإن هذه اللواحق بطبيعة  
الحال محدودة الحجم لا تسمح للافاضة في البحث .

حسن محمود

التعليم في رأى التامسي للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ( مطبعة لجنة التدريس  
والترجمة والنشر بالقاهرة )

نواة هذا الكتاب رسالة مخطوطة في  
التربية وضعها المحافظ المحدث أبو الحسن على  
ابن محمد بن خلف القابسي في القرن الرابع  
للهجرة ، وعنوانها على ما يرجعه الدكتور  
الأهواني : « الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين  
وأحكام المعلمين والمتعلمين » .  
وهي مخطوطة فريدة ليس منها إلا نسخة  
واحدة في المكتبة الأهلية بباريس ، كتبها  
ناسخها في أوائل القرن الثامن للهجرة .  
والقابسي فقيه محدث مكفوف البصر مغربي  
النسب والدار ، توفي في أوائل القرن الخامس  
للهجرة ، وله مؤلفات عدة من بينها هذه  
المخطوطة التي وقع عليها الدكتور الأهواني  
بجعلها نواة بحثه هذا للمتع الذي حصل به  
على الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول ، ثم  
جعله بين دفتي هذا الكتاب .  
وعنوان الكتاب لا يدل على كل ما اشتمل  
عليه ، فإكان أجدره لو أراد المطابقة بين  
الاسم ومضمونه أن يجعل عنوانه « التربية عند  
العرب على توالى المصور » . بل لعل هذا  
العنوان لا يدل كذلك على الكتاب دلالة  
الوصف على موصوفه ، فقد كانت نظرة  
المؤلف في موضوعه شاملة محيطه تتجاوز  
الأبعاد والمسافات وتتناول الموضوع من أقصى  
مراحيبه ، فلم يقتصر في بحثه على عرض رأى  
القابسي في التعليم وتقدمه والموازنة بينه وبين  
آراء غيره من أهل النظر في هذا الفن ، بل  
جعل هذا البحث نواة لحديث ضائق الذبول  
واسع المدى يتناول فنون التربية من قريب  
ومن بعيد ، في أسلوب مرسل وعرض منطقي  
سليم .  
وكانت القاعدة الأساسية التي اعتمد عليها  
البحث بكل ما تناوله من الأصول والفروع ،  
هي « أن تفسير حالة التعليم في عصر من

هؤلاء ذات أثر كذلك في تكوين آرائهم .  
وقد قسم المؤلف كتابه فصولاً في فكان  
الفصل الأول من حياة القابسي ، والثاني من  
يئته وطريقته في التأليف ، والفصول التالية  
بعد هذين عن تاريخ التعليم ووسائله وأهدافه  
ومظاهره واختلاف أحواله عند المسلمين على  
اختلاف المصور ، ثم كان الفصل العاشر إجمالاً  
لآراء المسلمين في التربية والتعليم . وجاءت  
الخاتمة بعد ذلك بقرار القاعدة التي بنى عليها  
المؤلف بحثه ، فإذا انتهى مما أراد جمل  
رسالة القابسي ذيلاً لكتابه ، فشرها مصححة  
مضبوطة مبنية على ما وسمه الجيد . فها  
إذن كتابان لا كتاب واحد ، فمن شاء فليكتسب  
النفع حيث أراد : من كلام الأهواني في صدر  
الكتاب ، أو من رسالة القابسي في ذيله ، فسيجد  
هنا وهناك شيئاً يستحق أن يفرغ له وقتاً يطول  
أو يقصر ، فيشأ أسباب اللذة والمنفعة جميعاً .

المصور يقتضي النظر إلى آراء المربين وصلة  
آرائهم بالمذاهب العقلية التي يعتقونها ، ويقتضي  
النظر إلى حالة المجتمع الذي تفرع عنه التعليم  
كمظهر من مظاهر الحياة العقلية .  
على هذه القاعدة واه المؤلف بفصل آراء  
القابسي في التعليم ، ويحاول تحليل أسباب  
اختلاف بينها وبين آراء غيره من أهل النظر  
في هذا الفن ، فيربط بين رأي كل منهم  
ومذهبه ، وبينه وبين الحياة الاجتماعية في  
عصره . وفي سبيل تأييد هذه الفكرة أورد  
ما أورد من آراء النزالي وابن سينا وابن  
خلدون وإخوان الصفا وغيرهم من ذوي  
المذاهب الفلسفية أو النزعات الصوفية أو  
السلفية أو أهل الفكر الحر ، وأوضح في  
جلاء كيف كان اختلاف مذاهبهم العقلية ذا  
أثر واضح في اختلاف رأيهم في التعليم ،  
وكيف كانت الحياة الاجتماعية في عصر كل من

### الروسي بقلم مارون عبود ( منشورات دار المكشوف — بيروت )

فهو يسميه « الزروس » ، والروسي هي  
تلك الكرات القائمة على أعناقها بين أكتاف  
الناس وكواهل الحيوان ، ولكن لهذا اللفظ  
مع ذلك معاني جمة في أذهان قرائه ، وإنما  
يريد المؤلف معنى واحداً من تلك المعاني ،  
فهو إنما يريد أن يتحدث عن « رؤساء »  
الآدب في العربية منذ كانت العربية ، أو  
بمباراة أخرى : يريد أن يتحدث عن زعماء  
الشعر في العربية على اختلاف المصور . فذلك  
هو موضوع الكتاب كما يبدو لي ، وقد  
اختار أن يكون عنوانه « الزروس » وليس  
بين كلمتي الزروس والرؤساء كبير فرق في  
المعنى ولا في الاشتقاق اللغوي ، فهو عنوان  
صادق الدلالة على موضوعه ، ولكنه عنوان  
« خطابي » كذلك !

قلت لنفسي حين مضيت في قراءة الفصول  
الأولى من هذا الكتاب : هذا كتاب يستحق  
أن يقرأه كل أديب في العربية ، إنه كتاب  
جديد . . . جديد جداً . . . إنه « فن » لم  
يسبق إليه سابق — أعرفه — في العربية . . .  
ومضيت في قراءته ، إنني لا أريد  
أن يفوتني هذا « الجديد » .

هذا كاتب من كتاب العربية يمالج « علم  
الآدب » في أسلوب من أساليب « الفن » ،  
ولعلم أسلوب غير أسلوب الفن ، فلهه أراد  
أن يقتحم على غير « أهل التخصص » فيعلمهم  
بطف حيلته على الدخول من الباب حين  
يسوق إليهم « العلم » في هذا الأسلوب  
« الخطابي » الرشيق .

وكان عنوان الكتاب فناً من فن الكاتب ،

وليس من شأنى فى هذا الباب ان أقنع ،  
والا لو وجدت مجال القول ذا سعة . وإنما كل  
قصدي هو التعريف والبيان والعرض ؛ فليس  
من شأنى إذن أه ألتبع آراء المؤلف فذرع  
أنه أسباب الرأى فى كذا وكذا واخطأه فى  
كيت وكيت ، وإنما لى شأن آخر ، ولكن  
ذلك لا يمتنع — على كل حال — أن أصرح  
عن إعجابى بالكاتب وكتابه ، فان فى طبعى  
الغنى والثورة ، وفى هذا الكتاب عنف  
ومودة ، وحسبه هذا إحسانا يستمر ما وراءه .  
والآن ما هى هذه الرؤوس ، أو من هم  
أولئك الرؤساء فى الشعر العربى ؟

هذه فصول متتابعة ، يتحدث فيها المؤلف  
عن الأوائل فى الجاهلية ، فيأخذ فى نوع من  
الحديث عن امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ،  
وعنترة ، وغيرهم من الأوائل ، فى أسلوب  
طريف ورأى . . .

ثم يقضى فى الحديث عن الشعر بعد الاسلام ،  
ويقض فيها يصف من شعر عمر بن أبى ربيعة  
« أبى جوان » أو دون جوان العربى كما يريد  
أن يصفه ، وشعر جرير ، فيسمى العصر  
الأموى بهذين الشاعرين : عصر الهجاء ،  
وعصر الغزل . ولعله فيما كتب من هذا الباب  
لم يأت بجديد فى الرأى ، ولكن له أسلوباً  
وقفاً جديدين ، وعلى مائدته كثير من التوابل ؛  
ثم يتحدث عن عصر الترف أيام العباسيين ،  
ويتعقب أبا نواس شاعر الخمر ، أو شاعر  
الحلاعة ، ثم يقضى فى آثار يشار بن برد ،  
زعيم الخلفاء ، فيصف من خبره ، ومن شعره ،  
ويصور نفسه تصويراً بارعاً وشيقاً ، كأن  
قد رأيت وجلس إله وتابسته وكشفت عن  
مكتون صدره . فإذا فرغ من بشار يتحدث  
إليك عن المصارعين الأربعة : أبى تمام ،  
ودعبل ، وابن الرومى ، والبحتري ، فإذا

بلغ المتن سماء « الرأس الضخم » . وهنا ترقب  
ما يقول الأستاذ مارون عبود عن المتن ،  
ذلك الرأس الضخم الذى ملأ الدنيا وشغل  
الناس ، ولكنه لا يتحدث إليك عن المتن ،  
وإنما يتحدث عن طه حسين .

ويقضى فى الحديث عن طه حسين وقد خيل  
إليه أنه يتحدث عن المتن ، حتى يستغرق من  
الكتاب ما يقرب من مائة صفحة فى مناقشة كتب  
طه حسين « مع المتن » . وحسب حديثاً عن المتن  
أن يستغرق هذا القدر من صفحات الكتاب  
فى مناقشة كتاب ألفه طه حسين عن المتن  
ماذا قال ؟ لا أدرى ! ليس هذا شأنى  
ولكنه شأن الناقد ؟

وكأنما كان انقطاعه عن موضوع الكتاب  
فى هذه الصفحات التى تحرب من المائة سبباً  
إلى عدوله عن التهج الذى التزمه فى الفصول  
الأولى من الكتاب ؛ فلما هم أن يرجع نسي  
موضوعه وعدل عن طريقته ، فجاء حديث  
بعد ذلك عن الشريف الرضى على أسلوبه فى  
الحديث عن المتن ؛ فلم يكتب عن الشريف  
وإنما كتب عن زكى مبارك والدكتور  
محفوظ ؛ يشهد كتابهما عن الشريف الرضى  
ويقرهما بفنه اللاذع .

ثم تآنى بعد ذلك فصول قصيرة عن بعض  
الرؤوس الصغيرة ، فيتحدث عن البهاء زهير  
وابن نباتة وابن الفارض ، وينغم الرؤوس  
بالحديث عن أحمد شوقى ، وفصل أخير عن  
الشعر بين الناقد والملم

هذا هو الكتاب . وما أرانى قد وصلت  
كما هو فى نفسه ، وكما وثقت صورته فى نسي ؛  
وما يطيب لى أن أفرض على القراء صورة  
لعلها فى مرآتهم غير ما هى لى مرآتى ؛ فلت  
أنصحهم إلا بأن يقرأوا ذلك الكتاب ، فان  
فيه فناً جديداً . . .

# في مجلات الشرق

## دقيقة واحدة ١

ونذم ؛ ولو تمهلنا دقيقة واحدة لتغير الأمر في كثير من هذه ، ولكننا أقرب إلى الصواب وإلى ... السعادة .

« تمهل دقيقة واحدة قبل أن تحكم على هذا المبرور الذي « يقرئك » ، وذلك السافل الذي تلتفه ، وهذا الطبيب الذي نمدحه ، وذلك الشخص الذي تذمه ، فقد تنقلب ممالك الآيات تماماً . . . »

« تمهل دقيقة واحدة قبل ولقد جربت أنا ذلك فربحت ... لجرىها أنت ! ... »

من مقال طريف للدكتور صبحي أبو غنيم في العدد ١١٨ من مجلة « الصياد » لبنان :

« جرب دوما قبل أن تعطى رأيا ، أو حكما ، أن تمهل دقيقة ، دقيقة واحدة ، قبل الحكم ، في المرض ، في الأدب ، في السياسة في كل شيء ، وثق أنك لن تندم . »

« أنت وأنا وذلك نمر في حياتنا بمئات من المشاكل كل يوم ، في الصنعة ، والناس ، والحياة ، « فترقب » ، ونلن ، ونمدح ،

## الحياة معرض

ماديات « بآنس الأفراد وبآنس الجمهور منها فائدة لمصالحهم . ووسيلة النجاح في هذا الشأن أن تكون « صيرفيا » لبقا في عرض مآلديك من علم أو فن ممتاز في « معرض الحياة الصام » . . . »

« وإجادة العرض وحسن الاعلان يقومان على دعائم مركزة من إقناع الأفراد وإقناع الجماهير بأن مروضاتك قيمة تحوى الشيء الكثير من وفد مصالحهم الخاصة والعامة ، وبقدر ماوفق في هذا الاقناع تكون المتفوق الناجح في الحياة ! »

وفي عدد أبريل من مجلة « المنهل » التي تصدر في مكة المكرمة — بقلم عبد القدوس الأنصاري :

« ليس الأمر الذي ينجحك اليوم في الحياة الاجتماعية الحاضرة ، أن تكون ذا ثراء عريض من العلم ، أو ذا ثراء موفور من الأدب ، أو من أي شيء آخر ذي قيمة مثنوية في الحياة ، فالعصر اليوم كما ترى « عصر المادة » فهي تسيطر على كل شيء . والذي ينجحك إذن في هذا الجو للمادى أن تستطيع « إحالة جوهرياتك » إلى « طائفة

## رسالة الأمة العربية

يقول في جزء منه :

« تتفاوت الأمم في عظمتها بنسאות مديها ؛ فعض الأمم تعمل لهدف مادي

وفي عدد يونية من مجلة « الأدب » — لبنان مقال للأستاذ أبي مدين الشافعي بعنوان « البصر النسبية في القومية العربية »

## في مجالات المشرق

مضطرة إلى خدمة الأفراد والتضحية بحق الجماعة لأرضاء شهوات الفرد، ويحدد الإيمان من الغضب الذي يدفع إلى الاستقام العنيف واستعمال القوة لأسكات الحق، كما أن الإيمان يحدد من الفطمة الناشئة عن غرور النصر ونشوته . . .

« إن الخطر الذي أحرق العالم يتهدد ويهدد الباقي من الانسانية بالفناء . والآن نرى أنفسنا وسط المصيبة ، ومن الواجب أن تقوم برسالتنا إلى العالم ، وصوت البعث الربيعي يصر عن هذا الاتجاه ، إذ يقول : إن الأمة العربية التي أظهرت في الماضي شخصية قوية فذة وحملت رسالة كان لها أعظم الأثر في تقدم الانسانية ، لا يزال الآن في قدرتها ومن واجبها أن تؤدي رسالتها الضرورية بين مجموعة الأمم . . . »

خاص بها ، وبمضها الآخر يعمل لهدف معنوي خاص به ، وأمم أخرى تحملت رسالة شاقة ، وحملت رسالتها بروحية تقوم على خدمة الانسان . . . وكانت رسالة الأمة العربية في أن ترفع الحضارات في العالم وتكمل نقصها وتؤديها بكل إخلاص مهما تحملت في سبيل ذلك من تضحية . . .

« إن حروب العرب كانت دائماً تنتهي إلى نتائج تضمن للانسان حريته وتضمن له الطمأنينة ، فلا يخاف على ماله وعرضه ، ويقاوم الرجل في سبيل فكرة سامية لا في سبيل أغراض مادية وتوسيع الحدود الحيوية والحصول على أرض غنية . ويقوم الإيمان بدور كبير في تنظيم الحياة الفردية والاجتماعية ويكمل الشخص بنفسه عند حد في لده ، فلا يتدفق الاندفاع الخفيف الذي يجمل الحكومات

## هذا دمي !

وفي العدد ١٩ من مجلة « الرابطة » البغدادية ، للشاعر احمد الصافي النجفي :

وأهدت تمنى صباى من ظلى	أبعوضه حطت على قدى
كفى عليها ، فصل منتقم !	أهملتها حق ارتوت ، ضحوت
فلا ، وأطفأ لوعة الضرم	كل شئ من وجد صاحبه
يجرى بجسك ، فانتظر نقي !	أغنى ، إنك كالبعوض : دمي
أسنك دماءك ، بل سفتك دمي !	واعذر إذا عذر البعوض ، فلم

## سيادة اللغة !

وكثير من رجال المستشرقين ، سياسيين وغير سياسيين ، يدرسون لغتنا ، لا تكريماً لها ولا تقديراً أيضاً ، وإنما لأنها لغة القوم « السودين » ما في هذا شك ، وإلا فلماذا لا يدرسون لغة الانجليزية ؟ ولماذا يدرسون الانجليزية غير العربية : الفارسية والهندية والصينية وغيرهما من لغات الامر التي للانجليز

ومن مقال عنوانه « مبلغ حاجة اللغة العربية إلى الإصلاح » بقلم هادي محي الحفاجي في العدد ١٧ من مجلة « النوى » التي تصدر في النجف — العراق :

« نحن اليوم وكثير من الأمم أمثالنا ندرس اللغة الانجليزية ، لا تكريماً ولا تحديراً لها ، وإنما لأنها لغة « السادس »

إليه غيره : وإنما سادت اللغة العربية والأدب العربي وقتاً ما بسيادة أهلها وقوتهم وسلطانهم ، شأنها في هذا شأن الإنجليزية اليوم والفرنسية قبل الحرب ، وإلا فلماذا لم تسد اللغة العربية في الجامعة ؟ ولماذا لم تسد في القرون للظلمة ؟ ولماذا لا تسود اليوم ؟

مما لي في بلادها ؟ أتدبراً وتكريماً لكل هذه اللغات . أم لنأيات أخرى غير التكريم والتقدير ؟

أما كون اللغة العربية « سبعة اللغات » والأدب العربي « سيد الآداب » فهذا ما لم يكن ولن يكون مطلقاً ، فكل لغة ميزة ليست للأخرى ، ولكل أدب فضل يقتصر

### كن معلماً

وهو أفضلها ، وثانيهما في الأعمال ، وهو أخسها . إن الذين يظنون الناس ويرشدونهم في كل فرع من فروع الحياة الأدبية والمادية ولا يعملون بشيء مما يقولون ، لا يثمنون تحت حصر . . .

« أقول إنه ليس لك إلا خلق واحد ، وإنك تعمل كل مائة وسبك في سبيل تنفيد للبداية السيامة التي تدين بها مهما كلفك ذلك ؟ حسن جداً . إنك قدوة صالحة تستحق الاقتداء والاتباع ، ولكنك لم تفعل حتى الآن سوى نصف واجبك ، لأنه لا يجب فقط أن تسلك السبيل السوي ، وإنما يجب أن تحمل الآخرين على سلوكه أيضاً ، وأن تقدم لهم كل معونة ممكنة على بلوغ هذا الغرض ! »

ومن مقال بعنوان « الأزمة الخفية » في عدد مايو من مجلة « العلم الجديد » — بغداد ، بقلم الدكتور محمد مهدي البصير : « صديق

« إنك تشكو من الشكوى من أخلاق هذا اليوم ، وتشكو على الناس ظلمهم إلى الله ، وتكالبهم على المادة ، وبسببهم عن الأمانة ، وتباللهم في سبيل المصلحة الخاصة ، وأشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل .

« إنني أوافقك على هذا موافقة تامة . فلتبحث عن السبب الذي نشأت عنه هذه الأزمة فاتها لم تنشب فجأة ومن غير سبب . إنه من اللبذ أن تقرر أن المجتمع الحاضر يعيش على حلقين مختلفين ، ويجري في حياته على مبدأين متضادين ، يصطنع أحدهما في الأقوال ،

### أدب المغرب

« النوع الأول هو نوع الطبقة التي تكتب بالشكلية الأندلسية بحيث لا يتبدل ولا تتغير ، ويمكننا أن نحمل زعيم هذه الطبقة الأديب الكبير السيد محمد بن الفضل غريبط ، ذلك المغربي الأندلسي الموهوب صاحب كتاب فواصل الجنان في أدبه ووزراء الزمان ، ومصابح القصائد التي تتخذ شكلية السبب والتشعر على تلك الطريقة ، ومثله .

أصدرت مجلة « الثريا » التي تصدر في تونس عدداً ممتازاً في شهر مارس الماضي لتعريف ببلاد المغرب ، لناحية زيارة محررها السيد بور الدين بن محمود لتلك البلاد . وفيها على كلمة من مقال في ذلك العدد عنوانه « أدب المغرب كما أراه » بقلم الأديب المغربي السيد عبد الكبير الكنتاتي : « أما اليوم فنحصر في أواخر ثلاثة



الأسلوب الصحي الجديد ، وقد ظهر استعداد  
من سائر شبابنا للسير على طريقته ، وهو في  
غالب أحواله يحاول تقليد كبار الكتاب  
المصريين ، خصوصاً الكتاب الذين ظهروا  
على مسرح مجلة « الرسالة » التي تتمتع بمقام  
ممتاز عند شباب المغرب . . .  
« على أننا لم نصل حتى الآن إلى تكوين  
اتجاه موحد لدينا الجديد ، ذلك لأن الثقافة  
في المغرب كانت ، وربما لا تزال ، مقصورة على  
قوة مخصصة ، ثم لانعدام أساليب النشر التي  
هي أكبر عامل على إيجاد الكتاب الجديد ،  
إذ لا يوجد كاتب أو شاعر خلقت معه جبهة  
وإنما البيئة والعوامل والمشجعات هي التي  
توجد الكتاب والشاعر ! »

للتقائات على طريقة الحريري ويدبح الزمان  
الهمداني .

« أما النوع الثاني فهو ليس بالاندلسي  
المحض ولا فيه من العناصر ما يجعله مغريباً  
محضاً ، وليس هو بالأسلوب الجديد ، بل يعتمد  
على غامة اللفظ وسمو المعنى وسبك الموضوع ،  
وأستطيع أن أجعل زعيم هذه الفئة في النثر  
العلامة الجليل مولاي احمد النخعي ، وهو  
مؤلف كتاب الشعر والشعراء من عهد الحكم  
الادريسي السعيد إلى الآن ، ومؤلف كتاب  
ظريف فيمن قال كلمة فعرف بها — وأجمل  
زعمائها في الشعر الشاعر للقلبي الأستاذ الجزولي  
الرباطي . . .

« ثم هناك النوع الثالث ، وهو ذلك

# VALEURS

CAHIERS TRIMESTRIELS DE CRITIQUE ET DE LITTÉRATURE  
PUBLIÉS AVEC LA COLLABORATION DES ÉCRIVAINS DE FRANCE  
ET DU PROCHE-ORIENT.

Directeur: ETIEMBLE.

## SOMMAIRE DU CINQUIÈME CAHIER

GUSTAVE FLAUBERT  
LETTRES INÉDITES OU AUTHENTIQUES A DU CAMP

JULES SUPERVIELLE  
ÉLÉMENTS D'UNE POÉTIQUE

ALBERT CAMUS  
LA PESTE BROUILLE LES CARTES

EDITH BOISSONAS  
POÈMES

HENRI CALET  
LE DIEU DES FLANDRES

JEAN GRENIER  
LA POÉSIE DE L'ESPACE

NICOS ENGONOPOULOS  
BOLIVAR  
(traduit et présenté par Robert Levesque)

GEORGES SCHEHADE  
MONSIEUR BOB'LE

N. BALADI, ETIEMBLE, E. FORTI, M.G.,  
G. HENEIN, KARAM, H. EL KAYEM, E. SIMON.

EXPOSITION SALINAS,  
REVUE DES LIVRES, NOTULES, LES REVUES,  
BULLETIN.

# LA REVUE DU CAIRE

REVUE DE LITTÉRATURE ET D'HISTOIRE

## SOMMAIRE DU NUMERO DE JUIN

- RAYMOND SAVIOZ ..... Un maître et un disciple au XVIII<sup>e</sup> siècle.  
JACQUES KAISER ..... De la « Liberté capitaliste » au « Contrôle collectiviste ».  
RENE SUDRE ..... Le Jubilé scientifique du Professeur Vincent.  
BERNARD GUYON ..... Réflexions sur l'art de Péguy (suite).  
JACQUES DOMBASLE ..... Les Ecrivains français et l'Allemagne.  
ROBERT KEMP ..... La Querelle d'Amphitryon.  
JEAN-LOUIS DESTOUCHES . Magnétisme terrestre et relativité.

## CHRONIQUE DES LIVRES

Jean DUPERTUIS

تباع كتب  
دار الكتب المصري  
في المكتبات الشهيرة

وإن أردتم أن تصلكم كتبنا  
رأساً بالبريد فارسلوا إلى الدار نحن  
ما تختارون منها مع إضافة أجرة  
البريد المحددة .

أتمت دار الكتب المصرية طبع  
كتاب أنساب الخليل لابن الكلبي  
وهو معروض للبيع يومياً ونحن  
النسخة للجمهور ٢٥٠ ملياً ولباعة  
الكتب ٢٠٠ ملياً ولمن يشتري  
عشر نسخ فأكثر .



# الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

تصدرها دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية

وتطبع بمطبعتها

رئيس التحرير

طه حسين

سكرتير التحرير

حسن محمود

إدارة الكاتب المصري

٥ شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

الاشتراك

يدفع مقدماً باسم « الكاتب المصري »

١٠٠ قرش في السنة لمصر والسودان

١٢٠ قرشاً في السنة للخارج أو ما يعادلها

مجلة الكاتب المصري تفي بكل ما يرد إليها من المقالات  
والرسائل ولكنها لا تلتزم بنشرها ولا ردها

التمن بمصر : ١٠ قرش



# في أرجاء العالم العربي